بسم الله الرحمن الرحيم

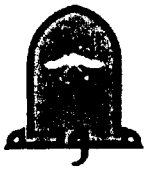

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

جهود رمضان عبد التواب اللغوية

عصام سلامة محمد البديرات

رسالة
مقدمة إلى
عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على
درجة الماجستير في اللغة العربية / قسم اللغويات

جامعة مؤتة 2004

جامعة مؤته

إجازة رسائل جامعية

عمادة الدراسات العليا

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب عصام سلامة البديرات والموسومة بـــ:

"جهود رمضان عبد التواب اللغوية".

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

القسم : اللغة العربية وآدابها

الاسم	التوقيع	التاريخ	
أ.د عبدالقادر مرعي		٢٠٠٤/١/٤	مشرفا
أ.د. يحيلى عبابنة		٢٠٠٤/١/٤	عضوا
أ.د. زهير المنصور		٢٠٠٤/١/٤	عضوا
أ.د فارس بطاينة		٢٠٠٤/١/٤	عضوا

عميد الدراسات العليا

د.ذياب البدايـــــة

الإهداء

أهدي هده الرسالة إلى أمي وأبي وإلى أشقائي زهير ومحمد وحسام ووسام وشادي وإلى براعم المستقبل : لمى وتسنيم وبراءة ودنيا وضياء وليث وكرم ومحمد وعلاء وجازم .

كما أهديها إلى جميع الأصدقاء الدين ساندوني . كما أهديها إلى الفارس الدي ما زال في قلوبنا . كما أهديها إليها لأنها هي .

عصام البديرات

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان من أستاذي الفاضل الدكتور عبد القادر مرعي على ما بذل من جهد ورعاية متواصلين مدة دراستي في برنامج الماجستير ، وتفضله بقبول الإشراف على رسالتي هده وتقويم ما اعوج منها بملاحظاته القيمة .

كما أتقدم بجزيل الشكر لأعضاء لجنة المناقشة الفاضلين الأساتذة الدكتور يحي عبابنة والدكتور زهير المنصور والدكتور فارس بطاينة على تفضلهم بقبول مناقشة هده الرسالة وإبداء ملاحظاتهم القيمة عليها .

عصام البديرات

جدول المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
جدول المحتويات	ج
الملخص باللغة العربية	د
الملخص باللغة الإنجليزية	هـ
الفصل الأول :سيرة حياة رمضان عبد التواب المقدمة	1
سيرة حياة رمضان عبد التواب	3
الفصل الثاني: جهوده في الدراسات الصوتية	27
مخارج الأصوات وصفاتها	27
بيننا وبين القدماء في وصف الأصوات	42
الفونيم	50
أصوات العلة (الحركات)	52
المقاطع الصوتية	55
اثر النظام المقطعي	56
المماثلة الصوتية	58
المخالفة الصوتية	62
كراهية توالي الأمثال	65
قانون السهولة والتيسير	71
الحذلقة والمبالغة في التفصح	73
الاشتقاق الشعبي	75
الفصل الخاطئ	75
أخطاء السمع	76
العادات اللغوية للشعوب	77
قانون الأصوات الحنكية	77
النبر والتنغيم	79
انتقال النبر	81
التغييرات التاريخية للأصوات	83
ظاهرة الهمز	87
ألقاب اللهجات	100
اللهجات	112

لحن العوام 115
الفصل الثالث : جهوده في الدراسات الصرفية 123
أبنية الأفعال 123
اثر الوزن الشعري في أبنية الأفعال 130
مراحل تطور الأفعال المعتلة في اللغة العربية 133
ألف المقصور ياء 135
الفصل الرابع : جهوده في الدراسات النحوية 139
قضية الإعراب 139
الإعراب وترتيب الجملة 146
لغة أكلوني البراغيث 147
ذو الموصولة 148
الفصل الخامس : جهوده في الدرس الدلالي 151
الاشتقاق 151
الترادف 154
التضاد 158
المشترك اللفظي 164
النحت 167
التعريب 169
التطور الدلالي 172
القياس 174
تجديد الألفاظ 178
بلى الألفاظ 178
الخط العربي 180
الفصل السادس : جهوده في الدراسات السامية المقارنة والترجمة 184
جهوده في الدراسات السامية المقارنة 184
جهوده في الترجمة 189
الفصل السابع : منهجه في تحقيق التراث 198
الفصل الثامن : مصادر دراسته 217
الخاتمة 225
الرسائل الجامعية التي اشرف عليها 229
قائمة المصادر والمراجع 236-245

الملخص

جهود رمضان عبد التواب اللغوية

عصام سلامه محمد البديرات

جامعة مؤتة ٢٠٠٤

تبحث هذه ا لدراسة الجهود اللغوية للدكتور رمضان عبد التواب، الذي كان من أوائل الدارسين العرب الذين التفتوا لأهمية دراسة العربية في إطار المنهج المقارن مع أخواتها اللغات السامية ، متأثراً في ذلك بأستاذه إبراهيم أنيس وقد اتبعت في دراستي هذه المنهج التقريري والتفسيري .

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وثمانية فصول وخاتمة :

أما الفصل الأول : فاشتمل على حياة رمضان عبد التواب وأعماله وكتبه وأبحاثه .

وتناول الفصل الثاني : جهوده في الدراسات الصوتية، واشتمل على مخارج الأصوات وصفاتها، وبيننا وبين القدماء في وصف الأصوات والفونيم، أصوات العلة والحركات والمقاطع الصوتية وأثر النظام المقطعي في بنية الكلمة والمماثلة الصوتية والمخالفة الصوتية وكراهية توالي الأمثال وقانون السهولة والتيسير والحذلقة والمبالغة في التفصح والاشتقاق الشعبي والفصل الخاطئ وأخطاء السمع والعادات اللغوية للشعوب وانتقال النبر والتغييرات التاريخية للأصوات وظاهرة الهمز وألقاب اللهجات واللهجات ولحن العوام.

الفصل الثالث : جهوده في الدراسات الصرفية واشتمل هذا الفصل على أبينة الأفعال، وأثر الوزن الشعري في أبنية الفعل ومراحل تطور الأفعال المعتلة، وألف المقصور ياء.

الفصل الرابع : جهوده في الدراسات النحوية، واحتوى هذا الفصل على قضية الإعراب، والإعراب وترتيب الجملة ولغة أكلوني البراغيث وذو الموصولة.

الفصل الخامس : جهوده في الدرس الدلالي وتناولت في هذا الفصل الاشتقاق والترادف والتطور الدلالي والقياس والتطور الدلالي وتجديد الألفاظ وبلى الألفاظ والتضاد والنحت والتعريب والخط العربي.

الفصل السادس : جهوده في الترجمة والتعريب والدراسات المقارنة.

الفصل السابع : منهجه في تحقيق التراث.

الفصل الثامن : مصادر دراساته والخاتمة والمصادر والمراجع.

Abstract

The Linguistic contributions of doctor Ramdan Abdeltwab

Esam Salameh AL- Bdeirat
Mu,tah university 2004

This study investigates the linguistic contributions of doctor Abedel-Tawab who was one of earliest Arab researchers who payed attention to the importance of studying Arabic language within a methodological comparative framework together with ,the Semitic languages , being influenced by his professor Abraham Anees. This study follows the descriptive , explanatory as well as reportage methodology

This study has emerged in an introductory chapter eight chapters and conclusion in this regard the first chapter is wholly devoted to the life , works , books as will as the researches of Ramadan Abd-AlTawab. The second chapter discusses his contributions in phonological studies Actually it includes the places in which sounds are uttered as will as their features , the periapt between as and the earnest people in describing the phonemic sounds , vowels and infections , phonemic syllables the effect of syllabic system on the strnctur of the word , phonetic assimilation , phonemic dissimulation , the dislike of having successive homorgamc sounds , the law of simplicity , having rhetoric in speech , folk derivation the errors the historical developments for those sounds having overt glottal stap dialects nicknames , dialects nicknames dialects, colloquial speech instead of standard on.

The third chapter discusses his contributions on morphological studies . It includes the internal structuring of verles the effect of rhyme on the structuring of verbs , the stages through which vocalic versos develop the shortening of the vowel alf in Arabic.

The fourth chapter discusses his contributions on syntactic studies , In particular , it focuses the issue of parsing or syntactic function , parsing and sentence ordering , the language of by presumptive pronouns.

The fifth chapter focuses on his contributions on semantic lessons .

It discusses derivation, synonymy and semantic development onalogh , semantic development and renewal of terms, Opposition extractin terms form compound words, having foreign woods written in Arabic alphabets .

The sixth chapter Frances on his methodology in investigation tradition.

Chapter seven facuses on his contribution on translation, and comparative shades .

Chapter eight includes the resources of his studies in addition to the conclusion and the references or bibliography

الفصل الأول

سيرة رمضان عبدالتواب

المقدمة.

تناولت في هذه الدراسة جهود رمضان عبد التواب اللغوية ، وقد اخترت هذا الموضوع ؛ لما لهذا العالم الجليل من فضل في خدمة العربية ؛ فقد اتسعت جهوده اتساعاً كبيراً، فلا تكاد تجد حقلاً من حقول الدراسات اللغوية، إلا وتجد لهذا العالم يداً فيه، فقد تناول في البحث كثيراً من القضايا الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية وفقه اللغة والدراسات السامية وحقق الكثير من تراث العربية، وأعاد تحقيق عددٍ من الكتب المحققة، وكان تحقيقهُ يذهب بما سبقه من تحقيق ؛ دليلاً على دقة هذا العالم وتميزه في هذا الجانب ... وله أيضاً عددٌ من الكتب في الدراسات السامية المقارنة، كما أنه لم يغفل الترجمة فترجم عدداً من الكتب الهامة التي أغنت المكتبة العربية .

وقد اعتمدت في دراستي هذه على المنهج الوصفي التقريري ، في عرض جهود رمضان عبد التواب، وحاولت أن أُحقِّق أمرين من هذا البحث :

الأول : تتبع ما قاله رمضان عبد التواب في كثير من مسائل اللغة وكيفية دراسته لها من مثل دارسته للجانب الصوتي من مخارج، ومواقف القدماء والمحدثين من علماء الأصوات من بعض القضايا الصوتية ، والتطور اللغوي الذي طرأ على كثير من الأصوات، والقوانين الصوتية التي وضعها لتفسير هذا التطور . وغيرها من القضايا.

كما عرضت موقف عبد التواب في كثير من مسائل فقه اللغة من مثل : الاشتقاق، والنحت والترادف، والمشترك اللغوي والتضاد والتعريب . وظاهرة الإعراب في اللغة، وموقفه من الخط العربي .

كما عرضت جهوده في الدراسات السامية والترجمة . وتتبعتُ مصادره التي أفاد منها.والكشف عن منهج رمضان عبد التواب في دراسته ظاهرة الهمز ومحاولته تسهيل كتابتها على المتعلمين . وتفسره لعددٍ من مواضع الهمز تحت ما سمَّاه بالحذلقة والمبالغة.

ثانياً : الكشف عن منهجه في التحقيق ؛ وبيان الأسس التي اعتمد عليها في تحقيق التراث، التي صار بها رأس مدرسة صارت تعرف بين جمهرة المحقِّقين بالمدرسة الرمضانية في التحقيق .

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وثمانيةِ فصول وخاتمةٍ :

أما الفصل الأول : فاشتمل على حياة رمضان عبد التواب وأعماله وكتبه وأبحاثه .

وتناول الفصل الثاني : جهوده في الدراسات الصوتية، واشتمل على مخارج الأصوات وصفاتها، وبيننا وبين القدماء في وصف الأصوات والفونيم، أصوات العلة والحركات والمقاطع الصوتية وأثر النظام المقطعي في بنية الكلمة والمماثلة الصوتية والمخالفة الصوتية وكراهية توالي الأمثال وقانون السهولة والتيسير والحذلقة والمبالغة في التفصح والاشتقاق الشعبي والفصل الخاطئ وأخطاء السمع والعادات اللغوية للشعوب وانتقال النبر والتغييرات التاريخية للأصوات وظاهرة الهمز وألقاب اللهجات واللهجات ولحن العوام.

الفصل الثالث : جهوده في الدراسات الصرفية واشتمل هذا الفصل على أبينة الأفعال، وأثر الوزن الشعري في أبنية الفعل ومراحل تطور الأفعال المعتلة، وألف المقصور ياء.

الفصل الرابع : جهوده في الدراسات النحوية، واحتوى هذا الفصل على قضية الإعراب، والإعراب وترتيب الجملة ولغة أكلوني البراغيث وذو الموصولة.

الفصل الخامس : جهوده في الدرس الدلالي وتناولت في هذا الفصل الاشتقاق والترادف والتطور الدلالي والقياس والتطور الدلالي وتجديد الألفاظ وبلى الألفاظ والتضاد والنحت والتعريب والخط العربي.

الفصل السادس : جهوده في الترجمة والتعريب والدراسات المقارنة.

الفصل السابع : منهجه في تحقيق التراث.

الفصل الثامن : مصادر دراساته والخاتمة والمصادر والمراجع.

الفصل الأول

سيرة حياة الدكتور رمضان عبد التواب

اسمه : رمضان حسن عمر حسن عمر عبد الفتاح إبراهيم عبد التواب .

ولادته : ولد في بلدة قليوب، مركز قليوب محافظة القليوبية في منتصف شهر رمضان في الصباح الباكر من يوم الجمعة، الموافق الحادي والعشرين من شهر فبراير، عام ألف وتسعمائة وثلاثين من الميلاد. (عبد المجيد وآخرون،21،2001)

بدأ مشواره العلمي في المدرسة الأولية في الفرقة الأولى، ويذكرُ أنه في صغره، كان يملأ المنزل بالطباشير، يكتب بها على الأرضية والحوائط . (عبد المجيد وآخرون،22،2001)

بدا التفوق على رمضان عبد التواب منذ الصغر، فكان دائماً يتفوق على زملائه وقد حفظ رمضان عبد التواب القرآن الكريم، وهو في الصف التاسع، ولكثرة أسئلته حول تفسير بعض الآيات، كان الرجل الذي يقوم على تحفيظه القرآن يحار معه . (عبد المجيد وآخرون،22،2001)

وبعد ذلك دخل " المعهد الديني " بعد اجتياز امتحان في القرآن والحساب والإملاء يقول عن هذه المرحلة: " هل تصدق أننا كنا نحفظ ألفية ابن مالك في السنة الأولى من المعهد الديني دون أن نفهم معناها ؟ إنني ما زلت أذكر قول ابن مالك :

بذا لمفرد مذكر أشر بذي وذه تي تا على الأنثى اقتصـــر

(ابن مالك ، 2002 ،27)

وما كنت أعرف ما هذه (الذه تيتا !) عندما سمعتها لأول مرة " . وكان كالعادة مبرزاً في فرقته، فكانت تظهر النتيجة دائماً معلنةً أنه أول الدفعة، وبعد ذلك أنهى امتحان الثانوية وتأهل لدخول كلية دار العلوم . (عبد المجيد وآخرون،23،2001)

وفي دار العلوم تقدم لاختبار القبول وكان على ثلاث مراحل، وكان عدد المتقدمين حوالي (ألف وخمسمئة) طالبٍ والامتحان كان تحريراً ثم شفوياً ثم شخصياً، الامتحان التحريري كان فيه ست مواد غير منظورة : بمعنى أنه لا يوجد كتاب معين، إنما أنت تمتحن في النحو فأنت تعرف النحو، تمتحن في

التاريخ الإسلامي فأنت تعرف كل التاريخ الإسلامي، وأنت تمتحن في الأدب وتاريخ الأدب فأنت تعرف كل تاريخ الأدب، تعرف كل البلاغة ... ودخل رمضان عبد التواب الاختبار التحريري فنجح من ألف وخمسمائة طالب سبعمائة طالب ورسب الباقون – ودخل الاختبار الشفوي وكان في حفظ القرآن الكريم وفي القراءة، ومعنى القراءة هنا التقليب على الجانبين كلِّ مسائل النحو والصرف والعروض والبلاغة . وظهرت النتيجة وإذا بثلاثمئة طالب يرسبون ويبقى أربعمائة طالب وبعد ذلك دخل لاختبار الشخصي، ونجح فيه مع مئتي طالب دخلوا كلية دار العلوم . ويصف رمضان عبد التواب هذه المرحلة : " دخلنا دار العلوم (مئتا) طالب علماءَ نعرف كل ما ينبغي علينا معرفته في فروع العلم المختلفة، فلا عجب بعد هذا إذا درسنا فلسفة العلم، بعكس الحال عندنا الآن، الطلاب يحتاجون إلى الفباء . الإملاء وقواعده والقواعد الأولية في النحو والصرف . كان الذين يدخلون دار العلوم في ذلك الزمان البعيد أساتذة يدرسون فلسفة العلم، يقف فيهم إبراهيم أنيس بنظرياته، يقف فيهم عباس حسن بغوصة في بطون أمهات كتب النحو، يحاضرنا في (حتى) أربعة أشهر ويقول سأكرر القول في (حتى) حتى تملوا (حتى) كانت هذه دار العلوم آنذاك " (عبد المجيد وآخرون،2001م،24-25)

وكان رمضان عبد التواب محبّاً للقراءة منذ الصغر يقول عن هذا : " وكنت في إجازات الصيف أعكف على كثير من الكتب الأدبية، وقرأت لكبار الكتاب مثل الرافعي والعقاد وطه حسين وغيرهم، وكنت أتبارى مع أصدقائي الذين يشاركونني هواية القراءة في قراءة وحي القلم بالذات، من يفهم السحاب الأحمر أو أوراق الورد، وكنت أتفق مع موزع الصحف أن يأتيني بكل الصحف التي كانت تصدر آنذاك، فكان يُحضِرُها إليَّ ويتقاضى نصف ثمنها بشرط أن يستردها سلميةً معافاة قبل منتصف النهار، أما المجلات فكان يبقيها عندي يوماً آخر ويحصل أيضاً على نصف الأجر ومن آن لأخر كنت أقتني بعض الكتب من سور الأزبكية ومن المكتبات ومن الباعة المتجولين أيضاً حتى كوّنت مكتبة من عيون التراث العربي شعراً ونثراً، وعرفت طريق دار الكتب المصرية وأنا في الثانوية، وفي أيام الإجازات الصيفية كنت احضر إليها في الصباح الباكر ولا أنصرف إلا

عند موعد الإغلاق، وكان في يدي كشكول كلّما انتهى اشتريت آخر لأنقل فيه مختاراتي من الشعر والنثر والأخبار ومعنى أنني أكتبه أنني أحفظه، فكانت محفوظاتي مجموعةً هائلةً من النصوص في كل العصور لدرجة أنني أذكر وأنا أؤدي امتحان الليسانس الشفوي – وكانت اللجنة مكونة من الأستاذ عباس حسن والشاعر علي الجندي وجاء امتحان النصوص فقال لي علي الجندي : قل لي شيئاً من النصوص التي تحفظها، فقلت له : من أيِّ عصرٍ ؟ ففتح عينية متعجباً وقال : أتحفظ كلَّ العصور ؟ قلت نعم، قال : هات من العصر الجاهلي قلت: لمن ؟ قال : وهناك اختيار أيضاً في العصر الجاهلي ؟ قلت نعم يا سيدي قال هات شيئاً لامرئ القيس، قلت : أي قصيدة لامرئ القيس المعلقة أم البائية أم الدالية ؟ قال أتحفظ كلَّ هذا لامرئ القيس قل ما تشاء انتقلت من امرئ القيس إلى علقمة إلى طرفة، ثم قال لي في النهاية : فتح الله عليك يا بني، أنا لا أُري الدرجة لصاحبها على الإطلاق، ولكن سأريك إياها، ووضع يده على درجات زملائي السابقين ووضع (20) من (20) وقال : ليت عندنا مثلك عشراً إذن لاستقام أمرنا . وتخرج رمضان عبد التواب من دار العلوم سنة 1956 وكان ترتيبه الأول بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وحصل على 92.5 % وكان الثاني في الترتيب الدكتور عبد الصبور شاهين وحصل على 82.5 % . (عبد المجيد وآخرون،2001م،25-26)

ولم ينتظر رمضان عبد التواب أن تعلن الكلية عن رغبتها (بمعيدين) فاتفق مباشرة مع أستاذه المرحوم إبراهيم أنيس أن يسجل للماجستير وحضر السنة التمهيدية للماجستير، وفي نفس السنة دخل إلى كلية التربية ليدرس المناهج التربوية وطرق التدريس، مع أن هذا ممنوع ولكن أستاذه إبراهيم أنيس فرّغه فكان يعطيه مكافأة تفرغ . وقضى رمضان عبد التواب السنة بكلية التربية، وكان على يقينٍ من أنه لن يفيد من هذه الكلية في حياته المستقبلية لذا لم يكترث بعلومها إلا بشيئين هما الدرس العلمي وقاعة البحث، قاعة البحث نفذ فيها كتاب " مستقبل الثقافة في مصر " وكان نقداً شهد له كلُّ أساتذة الكلية الذين حضروا المناقشة، ويأسف رمضان عبد التواب على ضياع هذا البحث . أمَّا الدرس العملي والذي كان يأخذه في مدارس مثل النقراشي النموذجية الإعدادية والأورمان الثانوية فقد أفاده هذا فيما بعد فالذي يستطيع أن يبسط المعلومات لطالب صغير وأن يرتقي

بمستواه يستطيع أن يفعل ذات الشيء مع طالب الجامعة ما دام عالماً في مجاله. (عبد المجيد وآخرون،2001م،26-27)

أمَّا البعثة إلى ألمانيا، فقد أعلنت كلية عين شمس عن بعثة إلى ألمانيا مدتها خمس سنوات، التخصص فقه اللغة العربية، وتقدم رمضان عبد التواب لهذه البعثة مع (13 طالباً) من أبناء كلية الآداب، غير أنه كان المرشح الوحيد، الذي حصل على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف وممتاز في مادة فقه اللغة. (عبد المجيد وآخرون،2001م،27)

وعن صعوبة هذه المرحلة وكيف تغلب عليها يقول رمضان عبد التواب : " وتوجّهت إلى جامعة ميونخ، غير أنني في أول يوم بل في أول محاضرة وكانت محاضرة في علم النفس، فوجئت بأنني لا أعرف شيئاً مما يقوله الأستاذ، لا أعرف إلا أدوات الربط : ثم إلى غير لكن أمَّا بقية الكلام فكان بالنسبة لي هيروغليفية فذهبت منزعجاً إلى أستاذي الدكتور شبيتالر الذي كان مشرفاً عليَّ في رسالة الدكتوراه – وما يزال حياً – وحكيت له قصتي فقال لا تحزن، أنت تتكلم الألمانية بصورة جيدة غير أن الذي استمعت إليه الآن هو لغة علم مليئة بالمصطلحات، وإن أردت نصيحة فاقرأ مجموعة من الكتب أو المقالات التي تفهم مضمونها سلفاً، أي أنك تعرف النحو أو التاريخ الإسلامي فاقرأ كتاباً ألمانياً عنها حتى لا تكون منشغلاً بالمضمون مع الشكل، وعملت بنصيحته فقرأت في الفصل الأول مع إجازته – وهو حوالي خمسة أو ستة أشهر – حوالي ثلاثين كتاباً ومقالة لا تعجب بعد ذلك أنني كنت في الفصل الدراسي الثاني أفهم كما يفهم الألمان وأنافسهم وكنت أحضر في الفصل الثاني لغتين ساميتين جديدتين عليَّ تماماً هما السريانية والحبشية وكنت أدرسها بالألمانية" .(عبد المجيد وآخرون،2001م،28-29)

وعن ماهية التعليم الجامعي في ألمانيا يقول رمضان عبد التواب : " المهم أن دراستي في ألمانيا علمتني أشياء كثيرة منها أن الجامعة في بلادنا ليست جامعة وإنما للأسف الشديد امتدادٌ للمرحلة الثانوية، أما الجامعة في الخارج فهي مكتبة كبيرة يعمل فيها الأستاذ موجهاً والعبء الأكبر على الطالب، الأستاذ يدخل ليرسم المنهج العام للمحاضرة ويقول : " يجب أن تقرأوا المراجع كذا وكذا ثم يأتي في المحاضرة التالية ليناقش الطلاب ويسألهم ويستبين منهم ما قرأوه وهكذا يكون كلُّ

طالب إيجابياً في المحاضرة ليست المحاضرة مجرد إلقاء وكتاب مقرر إطلاقاً ".
(عبد المجيد وآخرون،2001م،29-30)

ومن أساتذة رمضان عبد التواب في هذه المرحلة شبيتالر ، والبروفيسور "فيسمان " أستاذ علم اللغة في جامعة ميونخ، وهو من الأساتذة الذين كان لهم صيتٌ كبيرٌ في العالم، وله معجم مصطلحات لغوية، شارك فيها معظم علماء العالم، وأخرجه قبل أن يتوفى في حوالي عشر كراسات، هذه الكراسات وصل فيها إلى حرف (II) ويذكر رمضان عبد التواب عن هذا العالم أنه حاضرهم فصلاً دراسياً كاملاً عن الكلمة، ثلاث أشهر وهو يشرح المراد بالكلمة، وما موقع هذه الكلمة في الكلام، ومم تتكون وما علاقتها بالأصوات وعلاقة الأصوات بعضها ببعض. (عبد المجيد الطويل وآخرون،2001م،30-31)

رجع الدكتور رمضان عبد التواب من البعثة وكان قد أنهى دراسته في اللغة العربية والمقارنة باللغات السامية، ولم يكتفِ بذلك بل إنه في فتـــرة دراسته حصَّل عدداً كبيراً من اللغات، فبجانب الألمانية والتي أصبح مبرزاً فيها بطبيعة الحال، وبجانب الأكادية، درس الفارسية والتركية وتزود بزادٍ من الفرنسية، ودرس اللاتينية مجبراً كما درس العبرية والسريانية والحبشية والسبئية والمعينية.
(عبد المجيد وآخرون،2001م،32) .

تسلم رمضان عبد التواب عمله في آداب عين شمس، وكان عنده نفس الحماس والهمة والنشاط التي تعودها في ألمانيا، ولكنه صدم من الجو الذي وجده في الكلية فيصف هذه المرحلة قائلاً : "كنت حين التقي بمجموعة من الزملاء في الكلية، أتناقش معهم في موضوع من الموضوعات التي كنت أشغل نفسي بها، فأجد أزواراً ونفوراً وبعضهم يقول لي : " ما زلت في حماس الشباب واندفاع الشباب (بكرة هتبقى زينا) ولي موقف مع أحد الأساتذة الكبار في القسم ممن يشار إليهم بالبنان سألته ذات يوم عن تلامذة عبد القاهر الجرجاني – وهو متخصص في عبد القاهر الجرجاني – وحكيت له قصَّة مخطوطةٍ حصلت عليها من دير الإسكوريال، وهي مجهولة المؤلف والعنوان غير أن صاحبها يروي عن الجرجاني وكنت في شوق وشغف شديدين إلى معرفة مؤلف هذه المخطوطة، وبعد أن استمع إليّ بتفصيل مملٍ حمل حقيبته تحت إبطه وقال : فتح الله عليك يا

بني، ولم يزد بكلمة واحدة ! فصدمت صدمة عنيفة وقلت : الآن حصحص الحق سأعمل منفرداً ولن ألقى بالاً لهؤلاء الناس الذين تحجرت عقولهم وأصبح كلُّ همهم البحث عن المال والمحاضرات الزائدة والانتدابات الخارجية والدرجات وما إلى ذلك أما العلم فلا، وللأسف الشديد هذا هو ديدن الجامعات عندنا ولا يوجد إلا قلة قليلة هي التي انصرفت إلى العلم ". (عبد المجيد وآخرون،2001م،33-34)

ومن هنا بدأ رمضان عبد التواب مشواره في الجامعة نشيطاً كعهده مثابراً، حتى أنه استحق درجة الأستاذ المساعد من غير أن يسعى إليها، فقد وجد نفسه يتقدم بأربعة عشر مقالة وكتاباً وتحقيقاً والمطلوب للترقية كان ثلاثة فقط . وفي الأستاذية وجد نفسه يقدم أكثر من ثمانية وعشرين قطعة للترقية يقول رمضان عبد التواب: "لدرجة أن المرحوم مهدي علام أسرَّ إليَّ يوماً فقال : ما هذا الكم الهائل يا رمضان متى سَنقرأ لك كلَّ هذا ؟ ابحث لنا عن شخص هنا أو هناك ليقتسم معك هذا الإنتاج ونرقيه معك ! قالها بلفظ :(ابحـــث لنا عن ملطوش نرقيه معـــاك). (عبد المجيد وآخرون،2001م،34)

وكان هذا الاجتهاد ديدن رمضان عبد التواب في تأليفه لكتبه التي لم تأتِ دفعةً واحدةً ولكنه اعتمد طريقة الجذادات فاجتمعت لديه (ستون) ألف جذاذة يمكن أن تستخرج منها في كل دقيقة موضوعاً كاملاً ليكتب فيه موضوعاً قد يصلح مقالةً، لندوة، لمؤتمر، لفصل في كتاب يقول : "لذلك كلُّ كتبي لم تؤلف من أولها إلى آخرها وإنما كتبت فصولاً ومقالات وبحوثاً في ندوات ومؤتمرات ثم جمعت في أبواب وفصول معينة، فصول في فقه اللغة العربية، بحوث ومقالات في اللغة، كتابي الجديد دراسات وتعليقات في اللغة الكتاب الذي ألفته من أوله لأخره دفعة واحدةً ؛ لأنه كان قد جمع له من فترة طويلة هو وكتاب لحن العامة والتطور اللغوي لأنه موضوع متوحد.(عبد المجيد وآخرون،2001م،34-35)

والمطلع على سيرة المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب التي جاءت في كتاب (نصوص ودراسات لغوية) المهدى له من طلبته في شتى أنحاء الوطن العربي، يشعر بفتنة الدكتور رمضان عبد التواب بالجامعات الغربية طريقة التعليم الجامعي فيها، وبعد قراءتي لما تحدث عنه وإلى بعض المقارنات التي عقدها بين

التعليم الجامعي عندنا وبينه عند الغرب أرى أنه حق له ذلك الإعجاب. (عبد المجيد وآخرون،2001م،35-36)

أمَّا الإدارة التي يصفها رمضان عبد التواب بـــ (الإدارة الملعونة) فقد عمل وكيلاً للكلية وعميداً للكلية ورئيساً لقسم اللغة العربية حوالي عقد من الزمان (1980-1990) عشر سنوات سماها بالعشر العجاف لأنه لم يخرج فيها كتاباً، يعتبره من إنتاج تلك المرحلة، وإنما كان ما أخرجه في هذه المرحلة جاهزاً معداً من قبل. (عبد المجيد وآخرون،2001م،38-39)

وبقى لي أن أسجل عتبي على أحمد طه صاحب (شريط الذكريات) المهدى إلى رمضان عبد التواب، لأنه لم يتحدث عن رمضان عبد التواب الشاعر وأظن شيخنا المرحوم رمضان عبد التواب أحب الحديث عن هذا الموضوع، ولعلي على ضعفي ألبي له هذه الرغبة؛ ذلك أنني عندما زرت مصر بقصد جمع كتب الدكتور رمضان عبد التواب وأبحاثه والرسائل العلمية التي أشرف عليها، وأثناء زيارتي لمنزله بمدينة نصر ولقائي بابنيه الدكتور كمال، والمهندس عمرو أطلعني المهندس عمرو على أوراق خاصة بالدكتور رمضان عبد التواب رحمه الله وكانت بخط يده، خطٌّ جميل، فوجدت فها شعراً لا أدعي بأنني ناقد ولكن الذي اطلعت عليه قصائد مكتملة وقطعاً ونتفاً تخرج ديواناً وقد نقلت بعض الأبيات منها :

نعم اللقاء

يا حبُّ مالك قد بلغت بي المدى ... وعدوت في قلبي المطاع السيدا
وحرمتني طيب المنام ولم يكن ... قلبي لحكمك خاضعاً متعبِّداً
أتراك تزعم ما تشاء وتدَّعي ... أن الهوى قبلُ كان بلا هُدى
ولأنني حين اهتديت لحبها ... ملَّكتها قلبي وكان الموصدا

قلب ضاع

أقول لقلب ضاع مني: أنا الذي ... وهبتك محبوبي كفيتك عُذَّالي
فلا تلقَ محبوبي عبوساً ومغضباً ... وأسرع إلى روحي وأعلمه أحوالي

ثم قالت

ثُمَّ قالت أين أنت قلت مهلاً ... هل نسيتِ كيف صار الحبُّ خِلاًّ
هل نسيتِ كيف طار النوم عَنِّي ... عن جفوني عن وسادي قد تولى
هل رأيت كيف جفَّ العود مِنِّي ... كيف أخطو بشفع العكاز رجْلاً
فاذكريني واذكري أيام صفوي ... قد شربنا كأسها طَّلا فطلاًّ
وهصرنا غُصنها حين التقينا ... فتهادى حُسْنها عَقْلا ونقلاً
يا حبيباً كان رمزاً لحياتي ... أين دمعٌ كان ترياقاً وظِلاً
وشعاعاً من عيونٍ ناعساتٍ ... في سناه رقَّ قلبي وابْتهلاًّ
يا حياتي كنتِ سعداً حين صرتِ ... لحياتي بلسماً قولاً وفِعْلاً

عاش رحمه الله محباً للعلم ، وكان في آخر أيامه – كما حدثني ولده الدكتور كمال – قد خرج من المستشفى على مسئوليته الشخصية ؛ ليناقش رسالتي ماجستير. توفى رحمه الله في 2001/8/27 . رحم الله الدكتور رمضان عبد التواب وأسكنه فسيح جنانه ونفعنا بعلمه .

مؤهلاته :

1- الليسانس الممتاز في اللغة العربية والعلوم الإسلامية من كلية دار العلوم – جامعة القاهرة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى سنة 1956 م .
2- الدبلوم العامة في التربية، من كلية التربية بجامعة عين شمس سنة 1957م.
3- الدكتوراه في اللغات السامية، من جامعة ميونخ بألمانيا الغربية، بمرتبة الشرف الأولى سنة 1963 م .

الوظائف التي تسلمها :

1- مدرس بمدرسة النقراشي النموذجية الإعدادية بالقاهرة من 1957/10/27.
2- عضو بعثة جامعة عين الشمس للحصول على الدكتوراه من جامعة ميونخ بألمانيا الغربية " ديسمبر 1957 يناير 1963 " .

3- معيد بكلية الآداب – جامعة عين الشمس من 1963/1/9 .

4- مدرس بكلية الآداب – جامعة عين شمس من 1963/5/29 .

5- أستاذ مساعد بكلية الآداب – جامعة عين شمس من 1969/2/11 .

6- أستاذ مساعد للعلوم اللغوية بكلية الآداب – جامعة عين شمس من 1974/8/1.

7- أستاذ معار بكلية الآداب – جامعة الرياض من 1973/9/1 .

8- أستاذ معار بكلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من 1976/9/1.

9- وكيل كلية الآداب – جامعة عين شمس لشئون التعليم والطلاب من 1980/9/24.

10-عميد كلية الآداب – جامعة عين شمس من 1982/1/21 .

11-عميد كلية الآداب – جامعة عين شمس للمرة الثانية من 1985/2/5 .

12-رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب – جامعة عين شمس من 1986/9/1.

الهيئات العلمية والندوات والمؤتمرات والجوائز العلمية :

1- عضو الجمعية الدولية للأبحاث الشرقية (IGoF) منذ عام 1964 .

2- عضو جمعية المستشرقين الألمانية (DMG) منذ عام 1986 .

3- أستاذ زائر بجامعة فرانكفورت للدراسات اللغوية المقارنة في عام 1968 .

4- عضو مؤتمر المستشرقين الألمان في فورتسبورج في عام 1968 .

5- عضو مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، منذ عام 1971 .

6- أمين سر الجمعية اللغوية المصرية، منذ عام 1969 .

7- عضو ندوة خبراء اللغة العربية المنعقدة في الرياض بالسعودية في عام 1977.

8- خبير اللهجات الغربية بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، منذ عام 1978 .

9- مقرر لجنة إحياء التراث الإسلامي بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية منذ عام 1979.

10- عضو ندوة اللهجات العربية المنعقدة بجامعة أسيوط في مارس 1981 .

11- أمين اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة المساعدين (في اللغة العربية) من عام 1980 م .

12- عضو الندوة الأولى عن التراث العربي بالقاهرة، في إبريل 1981 .

13- أستاذ زائر بجامعة ام درمان الإسلامية، خلال شهري يناير وفبراير من عامي 1981/80 .

14- رئيس شعبة البرديات العربية بجامعة عين شمس منذ عام 1981 .

15- رئيس شعبة الدراسات الإنسانية بمركز بحوث الشرق الأوسط، منذ عام 1981.

16- عضو ندوة الشيخ جلال الدين السيوطي المنعقدة بجامعة أسيوط في إبريل 1982 .

17- مقرر اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين (اللغات الشرقية) منذ عام 1983 .

18- عضو مؤتمر اللغة العربية في الجامعات، المنعقد في ديسمبر بالإسكندرية عام 1981 .

19- عضو لجنة الدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس الأعلى للثقافة، منذ عام 1983.

20- أستاذ زائر بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية بالرياض في يناير 1983 .

21- عضو الدورة الثامنة للسانيات المنعقدة في الرباط بالمغرب في أغسطس 1983.

22- عضو الندوة العلمية لطه حسين في مدريد بأسبانيا في إبريل 1983 .

23- ممثل جامعة عين شمس في الإحتفال بالعيد الخمسيني بمجمع اللغة العربية بالقاهرة في فبراير 1984 .

24- أستاذ زائر بجامعة صنعاء في مارس 1984 .

25- عضو مؤتمر التراث والمعاصرة المنعقد بجامعة المنيا في 1984/3/17 .

26- حائز على جائزة آل البصير العالمية في الدراسات الأدبية واللغوية لعام 1983/82 .

27- أستاذ زائر بمجامعتي فاس ومكناس بالمغرب في نوفمبرر 1984 .

28- ممثل جامعة عين شمس في ندوة العلاقات المصرية التركية المنعقدة في إسطنبول في ديسمبر 1984 .

29- أستاذ زائر بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسطنطينية وجامعة بتنة بالجزائر في إبريل 1986 .

30- عضو لجنة " المصطلح النقدي " المنعقدة في جامعة فاس في نوفمبر 1986 .

31- عضو مهرجان " طه حسين " المنعقد في كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا في مارس 1988 .

32- عضو مؤتمر " النقد الثاني " المنعقد في جامعة اليرموك بالأردن " أربد " في يوليو 1988 .

33- أستاذ زائر بجامعة مؤتة في الأردن في فبراير 1989 .

34- عضو مهرجان الشاعر " عرار " المنعقد في جامعة اليرموك بالأردن " اربد " في ابريل 1989 .

35- عضو المجمع العلمي العراقي ببغداد من 1989/2/28 .

36- عضو مؤتمر " النقد الثالث " المنعقد في جامعة اليرموك بالأردن " في يوليو 1989 .

37- عضو ندوة " الدس الشعوبي " المنعقد في بغداد في ديسمبر 1989 .

38- عضو ندوة " المداخلة اللغوية بين اللغة العربية " واللغات الرومانسية 1990 .

39- عضو الملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي المنعقد في مدينة وهران بالجزائر من 18 – 1993/4/20 .

40- عضو ندوة جلال الدين السيوطي في مؤتة بالأردن من 2 –6 /1993/10.

41- عضو ندوة " التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي " المنعقدة في طرابلس بليبيا (كلية الدعوة الإسلامية) في 20–23 ديسمبر 1995 .

42- عضو مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الدينية للحفاظ على التراث العربي الإسلامي المنعقد في عمان بالأردن في 24-29 سبتمبر 1996 .

43- عضو مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الدينية الموسع للحفاظ على التراث العربي والإسلامي المنعقد في جاكرتا (اندونيسيا) في 26 -31 أكتوبر 1997م .

أولاً : المؤلفات :

1- التذكير والتأنيث في اللغة – دراسة مقارنة في اللغات السامية – القاهرة 1976 .

2- لحن العامة والتطور اللغوي – القاهرة 1967 .

3- فصول في فقه العربية – القاهرة 1973 ط أولى القاهرة 80-1982 ط ثانية القاهرة 1987 ط1 ثالثة .

4- العبرية : قواعد ونصوص مقارنات باللغة السامية – القاهرة 1977 .

5- نصوص من اللغات السامية مع الشرح والتحليل والمقارنات – القاهرة 1979.

6- في قواعد الساميات : العبرية والسريانية والحبشية مع النصوص والمقارنات – القاهرة 1981 " ط أولى " – 1983 " ط ثانية " – 1988 " ط ثالثة " .

7- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي – القاهرة 1982 – 1985.

8- التطور اللغوي : مظاهرة وعلله وقوانينه – القاهرة 1981 – 1983 " طبعة ثالثة مزيدة " 1990 .

9- بحوث ومقالات في اللغة – القاهرة 1982-1988 .

10- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين – القاهرة 1986 .

11- مشكلة الهمزة العربية ..... في تاريخ الخط العربي وتيسير الاملاء والتطور اللغوي للعربية الفصحى، القاهرة 1994 .

12- دراسات وتعليقات في اللغة – القاهرة 1994 .

13- العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق – القاهرة 1998.

ثانياً : الكتب المترجمة

1- اللغات السامية ليتدور نولدكه – القاهرة 1963 .

2- الأمثال العربية القديمة لرودلف زلهايم – بيروت 1971–1984 .

3- تاريخ الأدب العربي كارل بردكلمان (الرابع والخامس) – القاهرة 1975.

4- فقه اللغات السامية لكارل بردكلمان – الرياض 1977 .

5- العربية : دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ليوهان فك – القاهرة 1980 .

ثالثاً : الكتب المحققة :

1- لحن العوام لأبي بكر الزبيدي – القاهرة 1964 .

2- البلاغة لأبي العباس المبرد – القاهرة 1965 " ط أولى، 1985 " ط ثانية.

3- قواعد الشعر، لأبي العباس ثعلب – القاهرة 1966 ط أولى، 1995 ط ثانية".

4- ما يذكر ويؤنث من الأنسان واللباس، لأبي موسى الحامض – القاهرة 1976.

5- الحروف للخليل بن أحمد الفراهيدي – القاهرة 1969 .

6- المذكر والمؤنث، لابن فارس اللغوي – القاهرة 1969 .

7- الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها – لابن السكيت – القاهرة 1969.

8- المذكر والمؤنث، لأبي العباس المبرد – القاهرة 1970 .

9- كتاب الثلاثة، لابن فارس اللغوي – القاهرة 1970 .

10- البلاغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، لأبي البركات بين الأنباري – القاهرة 1970 .

11- كتاب البئر، لأبي عبدالله بن الأعرابي – القاهرة 1970، بيروت 1983.

12- كتاب الأمثال، لأبي فيد مؤرخ السدوسي – القاهرة 1971، بيروت 1983 .

13- زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء، لأبي البركات بن الأنباري، بيروت 1971 – 1987 .

14- القوافي وما اشتقت ألقابها منه، لأبي العباس المبرد – القاهرة 1972 .

15- مختصر المذكر والمؤنث، للمفضل بن سلمة – القاهرة 1972 .

16- كتاب الأمثال، لأبي عكرمة الضبي – دمشق 1974 .

17- المذكر والمؤنث، لأبي زكريا الفراء – القاهرة 1975 " ط أولى " – 1990 " ط ثانية " .

18- الممدود والمقصود، لأبي الطيب الوشاء – القاهرة 1979 .

19- الوافي بالوفيات، للصفدي (الجزء الثاني عشر) فيسبادن 1979 .

20- ذم الخطأ في الشعر، لأبن فارس اللغوي – القاهرة 1980 .

21- اشتقاق الأسماء، للأصمعي – القاهرة 1980 .

22- ثلاثة كتب في الحروف، للخليل بن أحمد وابن السكيت والرازي – القاهرة 1982 .

23- الفرق، لابن فارس اللغوي – القاهرة 1982 .

24- ما يجوز للشاعر في الضرورة، للقزاز القيرواني – القاهرة 1982 .

25- التطور النحوي للغة العربية، لبسر لبرجستراسر – القاهرة 1982 .

26- ما تلحن فيه العامة، للكسائي – القاهرة 1982 .

27- عمدة الأدباء في معرفة ما يكتب ويكتب بالألف والياء، لأبي البركات بن الأنباري – القاهرة 1982 .

28- ضرورة الشعر، لأبي سعيد السيرافي – بيروت 1985 .

29- شرح كتاب سيبويه، لأبي سعد السيرافي – (الجزء الأول) الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة 1986 .

30- الخطب والمواعظ، لأبي عبيد القاسم بن سلام – القاهرة 1986 .

31- الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام – القاهرة 1989 (الجزء الأول.

32- نجدة السُّؤَّال في علم السؤال، لأبي البركات بن الأنباري – عمان 1989 .
33- شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي – (الجزء الثاني) الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة 1990 .
34- لوح الضبط في علم حساب القبط، لابن المغربي – تحقيق ودراسة – مجلة معهد المخطوطات العربية – يوليو 1968 .

رابعاً : المقالات العلمية :

1- حول أوائل بعض سور القرآن الكريم – حوليات آداب عين شمس 1963.
2- حول لحن العوام، لأبي بكر الزبيدي – مجلة – " مجلة " المجلة " بالقاهرة 1966.
3- قضية الإعراب بين أيدي الدارسين – مجلة – " المجلة " القاهرة 1966 .
4- رسائل في اللغة، نقد وتعريف – مجلة " الأقلام " العراقية 1966 .
5- السليقة اللغوية والضرائر الشعرية – مجلة " الأقلام " العراقية 1966 .
6- نور القبس المختصر من المقتبس، للمرزباني – مجلة " المجلة " بالقاهرة 1967 .
7- التعبير عن الجنس في اللغة – مجلة " الأقلام " العراقية 1967 .
8- القرآن الكريم محور الدراسات العربية – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1967 .
9- في التاريخ القديم لمشكلة فلسطين– مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1967.
10- أوابد العرب في الجاهلية وموقف الإسلام مهنها – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1967 .
11- القراءات القرآنية وحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1967 .
12- نظام المقاطع الصوتية وأثره في أبنية اللغة – مجلة " الأقلام " العراقية 1967.
13- الخط العربي وأثره في نظرة اللغويين القدامى إلى أصوات العلة – مجلة " المجلة " بالقاهرة 1968 .

14- كتاب " العين " للخليل بن أحمد : نقد وتعريف – مجلة " الأقلام " العراقية 1968 .

15- ترجمة القرآن الكريم بين المعارضة والتأييد – مجلة " الرسالة الإسلامية " بالعراق 1969 .

16- من خرافات التلمود (1–2) – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1969.

17- كراهة توالي الأمثال في أبنية العربية – مجلة " المجمع العلمي العراقي " 1969.

18- إصلاح المنطق " لابن السكيت – مجلة " تراث الإنسانية " القاهرة 1970 .

19- جيمية " هميان بن قحافة السعدي " جمع وتحقيق – مجلة " مجمع اللغة العربية " القاهرة 1971 .

20- مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء – مجلة " المجمع العلمي العراق" 1971 .

21- رسائل في النحو واللغة، لأبن فارس والرماني – مجلة " الأقلام " العراقية 1971 .

22- المستشرقون والقرآن الكريم (1–6) مجلة " منبر الإسلام " القاهرة 1971.

23- اليهود عدو الإسلام الأول – مجلة " منبر الإسلام " القاهرة 1971 .

24- شعر، عمرو بن أحمد الباهلي " : نقد وتعريف – مجلة " مجمع اللغة العربية " دمشق 1972 .

25- لامية " منظور بن مرثد الأسدي " جمع وتحقيق – مجلة " مجمع اللغة العربية " القاهرة 1972 .

26- في أصول البحث العلمي وتحقيق النصوص – مجلة " المورد " العراقية 1972 .

27- صيغة " افعأل " في العربية، وأثر الوزن الشعري في أبنية العربية – مجلة " مجمع اللغة العربية " دمشق 1973 .

28- أبنية الفعل في اللغات السامية – مجلة " كلية اللغة العربية.

29- أسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيبويه – مجلة " مجمع اللغة العربية " دمشق 1974 .

30- التطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس – مجلة " الموسم الثقافي " لجامعة الرياض 1974 .

31- التطور اللغوي وقوانينه– مجلة " كلية اللغة العربية " الرياض 1975 .

32- التغيرات التاريخية والتركيبية للأصوات – مجلة " مجمع اللغة العربية " دمشق 1975 .

33- تحقيق التراث : أساليبه وأهدافه – مجلة " قافلة الزيت " الرياض 1977 .

34- نظرية " المحاكاة الصوتية " ومناسبة اللفظ للمعنى – مجلة " قافلة الزيت " الرياض 1977.

35- الركام اللغوي للظواهر المندثرة في اللغة – مجلة " المجلة العربية الرياض 1977 .

36- التطور اللغوي وقانون السهولة والتسيير – مجلة " مجمع اللغة الغربية – القاهرة 1975 .

37- العربية بين المدرس ومنهج التدريس – ضمن كتاب : : ندوة خبراء القاهرة 1978 .

38- الجغرافيا اللغوية وأطلس برجشتراسر – مجلة " مجمع اللغة العربية " القاهرة 1976 .

39- القزاز القيرواني وكتابه في ضرورة الشعر (1–2) مجلة " مجمع اللغة العربية " القاهرة 1977–1979.

40- أسباب الشذوذ في اللغة – مجلة التذكارية لعيد ميلاد سبيتالر ، السبعين1980.

41- الغريب في اللغة وألفاظ القرآن الكريم – مجلة " منير الإسلام " القاهرة 1980 .

42- الألفاظ المترادفة في الاستعمال القرآني (1–2) – مجلة " منبر الإسلام " القاهرة 1980 .

43- حرف القاف : هل يختفي من اللغة العربية – مجلة " المجلة العربية " بالرياض 1981 .

44- من امتداد اللهجات القديمة في اللهجات المعاصرة – ضمن دراسات في اللهجات العربية – القاهرة 1981 .
45- تراثنا اللغوي في حاجة إلى التهذيب – مجلة " مجمع اللغة العربية " بالقاهرة 1981 .
46- العلاقة العضوية بين اللغة العربية والإسلام – مجلة " العروة الوثقى " بالقاهرة أغسطس 1982 .
47- التعريب بين القرآن ومجامع اللغة – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة سبتمبر 1982 .
48- اللغة القرآنية واللهجات العربية – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1982 .
49- القرآن ليس كمثله قول – مجلة " العروة الوثقى " بالقاهرة سبتمبر 1982 .
50- العربية الفصحى ولغة القرآن الكريم – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1982.
51- من الخصائص اللغوية لقبيلة طيء القديمة – مجلة " المجلة العربية " بالرياض 1982 .
52- فواصل الآيات بين المعنى والنغم الموسيقي – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1982 .
53- اللغة العربية قديمة جديدة – مجلة " العروة الوثقى " بالقاهرة أكتوبر 1982.
54- الشعر الجاهلي حقيقة ثابتة – مجلة " العروة الوثقى " بالقاهرة ديسمبر 1982.
55- بلاغة الحذف في اللغة القرآنية – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1982 .
56- تصريفات الخطاب بين العربية الفصحى والأسلوب القرآني – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1983 .
57- الأزهر الشريف حصن العربية وعلوم الدين – مجلة " منبر الإسلام " في العيد الألفي للأزهر 1983 .
58- مصادر جلال الدين السيوطي في كتابه " المزهر " – مجلة " الدارة " السعودية 1983 .

59- الشعوبيون واللغة القرآنية – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1983 .

60- علم اللغة والاحتجاج للقراءات – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1983.

61- القسم في الأسلوب القرآني – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1983 .

62- الإعراب ونظام الجملة في اللغة العربية – مجلة " منبر الإسلام بالقاهرة 1983 .

63- الكناية والتصريح في اللغة القرآنية – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1983.

64- التعريض والتلويح في اللغة القرآنية – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1983.

65- خواطر من تجاربي في تحقيق التراث – مجلة " مركز البحوث " بالرياض 1983 .

66- انتشار الإسلام وضرورة ترجمة القرآن الكريم – (1-2) – مجلة " منبر الإسلام " القاهرة 1984 .

67- أهمية السماع في تعلم اللغة (1-2) مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1984 .

68- المستشرقون وافتراءاتهم على الإسلام (1-4) مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1984 .

69- بشريات المولد النبوي الشريف – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1985 .

70- تراثنا اللغوي في حاجة إلى التهذيب – مجلة " مجمع اللغة العربية " بالقاهرة 1981 (ظهرت 1985) .

71- العربية الفصحى وتحديات العصر – مجلة " كلية اللغة العربية " بالرياض 1984 .

72- من امتداد اللهجات العربية القديمة في بعض اللهجات المعاصرة – مجلة " المجمع العلمي العراقي " 1984 .

73- الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس اللغوي – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1987.

74- فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1987 .

75- رأي في تفسير الشواذ في لغة العرب – مجلة " مجمع اللغة العربية " بالقاهرة 1982 (ظهرت 1985).

76- سيبويه جامع النحو العربي، للدكتور فوزي مسعود : عرض وتقديم – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1987 .

77- من إبداع الباحثين والمحققين – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1987 .

78- الفراء المفسر النحوي الكوفي صاحب القول المأثور : " أموت وفي نفسي شيء من حتى " – مجلة " منبر الإسلام " القاهرة 1987 .

79- معجم العربية الفصحى الذي يصدر في ألمانيا الغربية – مجلة " مجمع اللغة العربية " بالقاهرة ضمن بحوث العيد الخمسيني للمجمع 1984 .

80- العمد لعبد القاهر الجرجاني – تحقيق البدراوي زهران : نقد وتعليق – مجلة " علام الكتاب " بالقاهرة 1988 .

81- تهذيب الألفاظ العامية، للشيخ محمد علي الدسوقي : عرض وتعليق – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1988 .

82- لغة القرآن وتحديات العصر – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1989.

83- الزواج بمصر في صدر الإسلام من خلال أوراق البردى – مجلة " منبر الإسلام بالقاهرة 1989 .

84- عقود البيع بمصر في صدر الإسلام من خلال أوراق البردى مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1988 .

85- معاجم المصطلحات العربية – مجلة " كلية الآداب والعلوم الإنسانية " بفاس 1988.

86- المعاصرة في تراثنا اللغوي القديم – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة نوفمبر 1989.

87- الفكر اللغوي عند العرب والدرس الحديث – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة ديسمبر 1989

88- التراث العربي ومناهج المحدثين في الدرس اللغوي – مجلة " الفكر العربي" بيروت 1990.

89- المنهج الوصفي للغة بين القدماء والمحدثين – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة أغسطس 1990.

90- ضرورة التزاوج بين التراث والمعاصرة في الدرس اللغوي – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة سبتمبر 1990.

91- الثبات اللغوي والإبداع الأدبي – مجلة " الفكر العربي " بيروت 1990 .

92- الشعوبيون الجدد وموقفهم من العربية الفصحى – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة نوفمبر 1990 .

93- العلمانية والمد الشعوبي – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة ديسمبر 1990 .

94- تحقيق النصوص ومسئولية المراجع – مجلة " المورد العراقية " بغداد 1990.

95- مناسبة اللفظ للمعنى، وفكرة المحاكاة لأصوات الطبيعة في اللغة – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة فبراير 1991 .

96- القرآن الكريم وظاهرة المشترك اللفظي في اللغة – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة فبراير 1991 .

97- نشأة الدراسات العربية وارتباطها بالقرآن الكريم – مجلة " منبر الإسلام "بالقاهرة أغسطس 1991 .

98- اللغة القرآنية وثبات العربية الفصحى – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة نوفمبر 1991 .

99- زيادة الباء للتوكيد في اللغة القرآنية – مجلة " منبر الإسلام ط بالقاهرة ديسمبر 1991 .

100- من تجربتي في تحقيق نسبة الكتاب وتوثيق عنوانه – مجلة " معهد المخطوطات العربية " القاهرة 1990 .

101- تراث لحن العامة وأهميته في التاريخ اللغوي للعربية – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1992 .

102- محاولات تنقية العربية الفصحى في الأندلس على يدي أبي بكر الزبيدي – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1992 .

103- الشفاء في بديع الاكتفاء، لشمس الدين النواجي – تحقيق محمود حسن الشيباني – نقد وتعليق " صحيفة دار العلوم " بالقاهرة 1992 .

104- ابن هشام اللخمي والعربية الفصحى في الأندلس – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1993 .

105- لغة الإمام الشيخ محمد الغزالي في مؤلفاته – نظرة تحليلية – الكتاب التذكاري لعيد ميلاد الغزالي السبعين – القاهرة 1993 .

106- التطور الصوتي والدلالي في الفصحى واللغة القرآنية – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1993 .

107- اللغة وحدود الإبداع عند الأديب – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة 1993.

108- الدرس اللغوي عند العقاد – مجلة " منبر الإسلام ط بالقاهرة 1993.

109- تعليم اللغات الأجنبية ومستوى الدارسين للعربية – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة يوليو 1994 .

110- معاجم المصطلحات العربية وقضية التعريب والترجمة في الوطن العربي– مجلة منبر الإسلام " بالقاهرة أغسطس 1994 .

111- من مشكلات العربية المعاصرة – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة أكتوبر 1994 .

112- الإسلام والحضارة الحديثة – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة يناير 1995.

113- العربية لغة العلم – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة يوليو 1995 .

114- التعليم الابتدائي حجر الأساس في العملية التعليمية " " مجلة التربية " في قطر مارس 1995 .

115- الدرس اللغوي عند العقاد : الميزات والمآخذ – " مجلة التربية " في قطر سبتمبر 1995 .

116- الاقتراض اللغوي بين التركية والعامية المصرية – مجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة يوليو 1996 .

117- (لو) الشرطية في اللغة القرآنية – مقالة بمجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة – اغسطس 1996 .

118- القرآن الكريم والشعر الجاهلي – مقالة بمجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة ، أكتوبر 1996 .

119- كتاب الوجوه والنظائر، للدامغاني – تحقيق محمد أبو العزم الزفيتي – عرض ونقد . مقالة بمجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة – نوفمبر 1996 .

120- من أوهام الباحثين في قراءة البرديات والنقوش والمخطوطات – مقالة بمجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة، يونيو 1997 .

121- البشارات بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم – مقالة بمجلة " منبر الإسلام " بالقاهرة، يوليو 1997 .

122- قضية إحياء المخطوطات : منهج معهد المخطوطات في نشر التراث – بحث ألقي في ندوة العيد الذهبي لمعهد المخطوطات، ونشر في مجلة المعهد (1/40) مايو 1996 .

123- مصادر الإمام السيوطي في كتابه : الأشباه والنظائر في النحو، وقيمتها التاريخية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (3/71) يوليو 1996.

124- كتابان في اللغة، لابن الأجداني – مجلة معهد المخطوطات (2/40) نوفمبر 1996 .

125- كفاية المتحفظ لابن الأجداني وأثره في الدرس اللغوي للعربية " منبر الإسلام ن سبتمبر 1997 .

126- الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي " منبر الإسلام " بالقاهرة – اكتوبر 1997 .

127- كتاب معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي " منبر الإسلام " نوفمبر 1997 .

128- المذكر والمؤنث، لأبي العباس المبرد " منبر الإسلام " ديسمبر 1997 .

129- من الذكريات البعيدة في الشهر الكريم " منبر الإسلام " ديسمبر 1997 .

130- الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر " منبر الإسلام " ديسمبر 1997 .

الفصل الثاني

جهوده في الدراسات الصوتية

لم تحظَ الدراسات الصوتية عند القدماء بالاهتمام الذي حظيت به الدراسات النحوية، واشتهر من بين العلماء في دراسة الأصوات في العصر الأول الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي عنى كثيراً بدراسة الأصوات وموسيقى اللغة، فألف في الإيقاع والنغم وأخيراً حين بدا له وضع معجمٍ لألفاظ اللغةِ، رتبه على حسب مخارج الأصوات وهذا المعجم هو معجم العين. (انظر عبد التواب ،14،1997)

وتتوزع اللغة في نظر عبد التواب مجموعةٌ من الأنظمةِ التي تبدأ بالنظام الصوتي، بصوامته وصوائته، وفونيماته، ومقاطعه، وما يسود من ظواهر النبر والتنغيم وغيرها، وتمر بالكلمات من حيث بناؤها ومورفيماتها، ودلالتها على المعاني المختلفة، في أذهان الجماعةِ اللغويةِ التي تستخدمها، وتنتهي ببناء الجملةِ، ووظيفة الكلمات في داخل الجمل، وعلاقة بعضها ببعض، وغير ذلك . (انظر عبد التواب، 1981 ،11)

وقد تناول عبد التواب عدداً من القضايا الصوتية سنعرضها في هذا الفصل :

مخارج الأصوات وصفاتها

الأصوات الشفوية

وهذه الأصوات في العربية: الباء والميم، والواو(في مثل: ولد) . أمَّا صوت الباء، فيتم نطقه عند رمضان عبد التواب، بضم الشفتين ورفع الطبق ليغلق ما بين الحلق والتجويف الأنفي، مع ذبذبة الأوتار الصوتية .(عبد التواب، 1997، 42)

ويتفق رمضان عبد التواب في هذا مع كثير من علماء الأصوات يقول إبراهيم أنيس:"يتكون بأن يمر الهواء أولاً بالحبجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه بالحلق ثم الفم حتى ينحبس عند الشفتين منطبقتين انطباقاً كاملاً"(أنيس،1961 ،46) ولكن حدوث الصوت لا يتم حتى تنفرج الشفتان يقول إبراهيم أنيس: " فإذا انفرجت الشفتان سمعنا ذلك الصوت الانفجاري الذي يسمى بالباء "(أنيس، 1961 ،46) وفي هذا يقول محي الدين رمضان: " ويتم حدوث صوتها

... فلا ينفذ إلاّ بانفراج الشفتين إذ يتذبذب الوتران الصوتيان ويسمع صوتها "(رمضان، 1979 ، 60)

ويصفه رمضان عبد التواب بأنه صوت شديد مجهور مرقق(عبد التواب، 43) ويتفق عبد التواب مع أنيس في أن عدم ذبذبة الأوتار الصوتية عند نطق هذا الصوت تؤدي إلى أن: " ينتج عندنا صوت آخر مهموس لا وجود له في العربية، ولكنه يوجد في اللغات الأوروبية، وبعض اللغات السامية، وهو صو(P) فهو النظير المهموس للباء العربية.(عبد التواب ،1997 ،43)

ويبدو أن مصدر أنيس وكذلك رمضان عبد التواب واحد وهو المستشرق برجشتراسر الذي ذكر ما ذكره العالمان ويضع طريقةً للوقوف على الفرق بينهما يقول: " وأسهل طريق للوقوف على الفرق بينهما هو سدُّ الأذنين بالأصابع،فإنه يسمع إذاً عند نطق الباء، رنَّةٌ لا تسمع عند نطق الياء ".(برجشتراسر، 1994، 13)

ويشير إبراهيم أنيس إلى أن القدماء حرصوا على الجهر بهذا الصوت وهو مشكل بذلك الرمز المسمى، فأضاف إليه القدماء صوت ليس قصيراً جداً يشبه الكسرة وسمعوا تلك الظاهرة بالقلقلة .(أنيس، 1961، 46)

ويشبه الباء المجهورة في الانكليزية صوت " b " في الألفاظ الآتية

bark و boat و baby (انظر رمضان ،1979 ،160)

صوت الميم: وصوت الميم عند رمضان عبد التواب صوت أنفي، ينطق بأن تنطبق الشفتان تماماً فيحبس خلفهما الهواء، ويخفف الطبق، ليتمكن الهواء من الخروج عن طريق الأنف، مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية وبقاء اللسان في وضع محايد.(عبد التواب، 1997، 43)

ويصفه عبد التواب بأنه صوت مجهور(عبد التواب، 1997، 43)، ويصفه برجشتراسر بأنه من الأصوات المتوسطة، وهي صفة بين الشدة والرخاوة(برخشتراسر، 1994، 14) ويشبهه الإنكليزية صوت " b " وفي نطق الألفاظsmall و came و make) (رمضان ،1979 ،160)

صوت الواو:

ويغفل رمضان عبد التواب الحديث عن مخرج هذا الصوت في موضع وصفه لمخارج الأصوات الشفوية، ليعود ويصفها عند حديثه عن الحركات موضحاً الفرق بين صوت الواو والضمة الحاصلة يقول: " أمَّا إذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، بحيث لا يحدث للهواء المار بهذه المنطقة، أي نوع من الحفيف، مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية فإن الصوت الذي ينتج عن ذلك هو صوت الضمة الخالصة(u)، فإذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، أكثر من هذا، بحيث يسمح للهواء الخارج بالاحتكاك، وإحداث نوعٍ من الحفيف، نتج عن ذلك صوت: " الواو" ؛ ولذلك يعد علماء الأصوات صوت " الواو " من الأصوات الشبيهة بالحركات" smivowel كذلك ؛ لأن الفرق بينه وبين الضمة الخالصة في قرب أقصى اللسان من سقف الحنك على الواو، أكثر منه مع الضمة ".(عبد التواب،1997، 93)

ويصفهُ رمضان عبد التواب، بأنه"، صوت مجهور، بينه وبين صوت الضمة(وهو من الأصوات المتحركة) فرق بسيط جداً: " في قرب أقصى اللسان من سقف الحنك مع الواو، أكثر منه مع الضمة "(عبد التواب،1997، 93)

ويشبهـــه في الإنكليزيـــــة نطـــــق صوت " w " وصوت " ou " في مثل we , wourd , wife , wise(رمضان، 1979، 165)

الأصوات الشفوية الاسنانية:

وهي في العربية صوت واحد، صوت الفاء، يقول الدكتور: " وليس منها في اللغة العربية إلا صوت الفاء".(عبد التواب،1997، 43) ويتفق في ذلك مع عدد من علماء العربية(انظر عبد التواب،1997، 43)

أما نطق هذا الصوت فيقول عبد التواب: " ينطق بأن تتصل الشفة السفلى بالأسنان العليا، اتصالاً يسمح للهواء أن يمر بينها فيحتك بهما، مع رفع مؤخر الطبق، لسد التجويف الأنفي، وإهمال الأوتار الصوتية يجعلها لا تتذبذب "(عبد التواب،1997، 43 وانظر أنيس،1961 ،47)

وربما كان له أصل في اللغة العربية ينطق مشدّداً، ومفخماً ثم تطور صوت الفاء.وهذا ما يفهم من كلام سيبويه على نطق للباء مستهجن يشبه الفاء.(انظر كانتينو 1966، 43)

وهذا الصوت عند رمضان عبد التواب، صوت رخو مهموس مرفق ويتفق مع أنيس(أنيس1961 ،47)، في حديثه عن نظيره المجهور فيقول رمضان: " لا وجود له في اللغة العربية وإنما يوجد في اللغات الأوروبية، وهو صوت(v) في الإنكليزية وصوت(w) في الألمانية مثلاً ؛ فهذا الصوت يشبه الفاء العربية في كلِّ شيءٍ ؛ إلا أنه يختلف عنها في أن الوترين الصوتيين يهتزان معه ؛ ولذا فإنه صوت مجهور، في حين أن الفاء العربية صوت مهموس".(عبد التواب،1997 ،43)

ويتفق رمضان عبد التواب مع ماريو باي على أنَّ نطق هذا الصوت من الشفة والأسنان ليس من طبيعة كلِّ اللغات البشرية ؛ إذ ينطق اليابانيون صوت الفاء بطريقة تجعلها شفوية صرفه مهموسة احتكاكية، عن طريق إرسال الهواء من بين الشفتين شبه المفتوحتين، كما يحدث حينما نحاول إطفاء عود كبريت . أمَّا الإسبانيون فينطقون الـــ(ف) بنفس الطريقة، مع تذبذب الوترين الصوتيين، ليحدث الجهر.(ماريو باي 1973 ،83)

ويشبهه في الإنكليزية صوت " F " بلا اختلاف في الألفاظ:

Fit , Fence , fun, كما تسمع في أربعة أزواج من حروف الإنكليزية وهي: ph, gh في مثل: philosophy, enough(رمضان، 1979 ،175).

الأصوات الأسنانية:

وهي عند رمضان عبد التواب: الثاء والذال والظاء(عبد التواب ، 1979 ،44) قال سيبويه: " وما بين حرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء . والذال والثاء"(سيبويه، 1317 هـ ،405/2)

ويعرب رمضان عبد التواب عن عجبه من تصنيف الخليل لهذه الأصوات اللغوية يقول: " ولسنا نَدْري لماذا عدَّ الخليل بن أحمد هذه الأصوات الثلاثة لثوية"(رمضان عبد التواب ،1997 ،44) حين قال الخليل: " لأن مبدأهامن اللثة "(الفراهيدي 1967، 65/1) وتابعه في هذا ابن يعيش الذي يقول: " والظاء والذال والثاء في حيز

واحد، وهو ما بين طرف اللسان، وأصول الثنايا، وبعضها أرفع من بعض وهي لثوية، لأن مبدأها من اللثة "(ابن يعيش د.ت ،1250/10)

فالثاء: ينطق هذا الصوت بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا، بحيث يكون هناك منفذ ضيقٌ للهواء، ويكن معظم جسم اللسان مستوياً ويرفع الطبق ليسد المجرى الأنفي ، بأن يلتصق بالحائط الخلفي للحلق ويتم ذلك، مع عدم وجود ذبذبة في الأوتار الصوتية .(عبد التواب ، 1997 ، 44)

ويصف رمضان عبد التواب هذا الصوت بأنه، رخو مهموس مرقق(رمضان عبدالتواب) وينفي الدكتور وجود نظير مفخم لهذا الصوت ويشير إلى غلط الدكتور محمود السعران حين قال عن صوت الظاء: " إنه مطبق الثاء، أي أنه بين هذا الصوت(الظاء) وبين الثاء، ما بين الصاد والسين "(محمود السعران ،1962، 191 وانظر عبد التواب 1997 ،44)

ويرى رمضان عبد التواب أن اللهجة العامية قد استعاضت عن هذا الصوت، بصوتين آخرين هما السين والتاء نحو قولنا:

ثقيل > تقيل . ونحو: ثابت > سابت .(عبد التواب ، 1997 ،44)

ويشبه في الإنكليزية صوت الحرفين " th " في نطق بعض الألفاظ مثل: think, thank , sympathy(رمضان ،145،1979)

أمَّا الذال: فننطق هذا الصوت كما ننطق صوت الثاء: " مع فارق واحد هو أن الأوتار الصوتية تهتز عند نطق الذال، ولا تهتز عند نطق الثاء "(عبد التواب ،1997 ،45 وحسّان ، 1979 ،127).

يقول أنيس: " يتكون بأن يندفع مع الهواء ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين "(أنيس ،1961، 48)

ويصفه رمضان عبد التواب بأنه صوت رخو مجهور مرقق، وهو نظير الثاء المجهور .(رمضان عبد التواب ،1997 ،45) ومثل ذلك قول أنيس .(أنيس ،1961، 48)

ولقد ضاع هذا الصوت في اللهجة العامية المصرية، وحلّ محله صوتا الدال والزاي نحو: ذهب > دَهب ؛ ذَيْل > ديل .

ونحو ذِكر > زِكر، ذُل > زُل .(عبد التواب ،1997، 45)

وشبيههُ في الإنكليزية صوت الحرفين " th في مثل:

this , then , the , with(رمضان ،1979، 125)

أمَّا الظاء: فننطق هذا الصوت كما ننطق صوت الذال: " مع فارق واحد، وهو أنَّ مؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبق مع الظاء، ولا ترتفع مع الذال .(عبد التواب، 1997، 45)

ويشير رمضان عبد التواب إلى ملاحظة سيبويه لهذا الأمر حين قال " لولا الأطباق في الظاء لكانت ذالاً "(سيبويه 1317 هـ ، 406/2)

ويصفه رمضان عبد التواب بأنه صوت رخو مجهور، مفخم وهو نظير الذال المفخم . وقد فُقدت هذا الظاء في اللهجة العامية المصرية وحلَّ محلَّها صوتا الضاد والزاي المفخمة، نحو ؛

ظل > ضل ؛ ونحو ظلم > زُلم وغير ذلك .(عبد التواب، 1997، 45-46)

ويشبهه في اللغة الإنكليزية صوت الحرفين " th" في بعض نطقه، وفي موضع مِنْ اللفظة مثل: though , thy , thus(رمضان، 1979، 150)

الأصوات الاسنانية اللثوية:

ويرى رمضان عبد التواب أن هذا المخرج من أغنى مخارج العربية بالأصوات، ففيه تنطق الأصوات التالية:

الدال، والضاد، والتاء، الطاء، والزاي، والسين، والصاد.(عبد التواب 1997 ،46)

ونعرض لمخارجها عند رمضان عبد التواب:

أمَّا الدال: فينطق: " بأن تلتصق مقدمة اللسان باللثة والأسنان العليا، التصاقاً يمنع مرور الهواء ورفع الطبق ليسد التجويف الأنفي، مع ذبذبة الأوتار الصوتية، وبقاء مؤخرة اللسان في وضع أفقي، ثم يزال السدُّ بانخفاض مقدمة اللسان، فيندفع الهواء المحبوس إلى الخارج "(عبد التواب، 1997، 46)

ويتفق في هذا مع إبراهيم أنيس الذي يقول: " إنَّ الصفة التي تجمع بين هذه الأصوات الأربعة عدا اتحاد مخارجها، هي الشدة، فعند النطق بكل منها ينحبس الهواء عند المخرج، فإذا انفصل العضوان المكونان للصوت سُمِعَ ما يشبه الانفجار، مما يميز هذه الأصوات بالشدة "(انيس ،1961 ،49)

ويصفه رمضان عبد التواب أنه صوت شديد مجهور(عبد التواب، 1997، 46)

ويتفق في هذا مع إبراهيم أنيس .(أنيس، 1961 ،49)

أمَّا الضاد: فينطبق بالطريقة نفسها التي ينطق بها الدال " مع فارق واحد هو ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق، في النطق بصوت الضاد.(عبد التواب، 1997، 46)

ويتفق في هذا مع إبراهيم أنيس، فالضاد من أصوات الإطباق، فعند النطق بهذا الصوت ينطبق اللسان على الحنك الأعلى متخذاً شكلاً مقعراً كما يرجع إلى الوراء قليلاً .(أنيس ،،1961 ،49)

ويصفها الدكتور رمضان عبد التواب حسب نطقنا لها الآن بأنها صوت شديد مجهور مفخم، وتعد المقابل المفخم المطبق للدال .(عبد التواب، 1997، 46)

أمَّا التاء: فتنطق بنفس الطريقة التي أشرنا إليها في نطق صوت الدال: " مع فارق واحد، هو عدم إعمال الأوتار الصوتية في التاء، وتركها تهتز وتتذبذب مع صوت الدال ".(عبد التواب، 1997، 46)

ويتفق رمضان عبد التواب في وصفها مع إبراهيم أنيس بأنها صوت شديد مهموس مرقق وهي نظير الدال المهموس.(عبد التواب ،1997 ،46، أنيس ، 1961 ، 51)

أما الطَّاء: فهي تنطق عند رمضان عبد التواب كالتاء: " ولا فرق بينهما إلا في أن مؤخرة اللسان، ترتفع نحو الطبق عند نطق الطاء ولا ترتفع نحوه في نطق التاء".(عبد التواب، 1997، 46-47)عن وضعه مع التاء، فاللسان مع الطاء يتخذ شكلاً مقعراً منطبقاً على الحنك بالأعلى ويرجع إلى الوراء قليلاً .(أنيس ،51،1961)

ويصف رمضان عبد التواب الطاء بأنه صوت شديد مهموس مفخم، وهي تقابل التاء في الترقيق والتفخيم .(عبد التواب، 1997، 46 ، أنيس ،1961 ،51-52)

أما الزاي: فيتم نطقها عند رمضان عبد التواب: " بوضع طرفي اللسان في اتجاه الأسنان ومقدمته مقابل اللثة العليا، مع رفع الطبق تجاه الحائط الخلفي للحلق فيسد المجرى الأنفي، ويتُّم كلُّ هذا مع وجود ذبذبة في الأوتار الصوتية "(عبد التواب، 1997، 47)

ويسمي إبراهيم أنيس هذه الأصوات(السين والصاد والزاي) بالأصوات الأسلية، ويشير إلى أن القدماء كانوا يسمونها بـــ(أصوات الصفير).(أنيس ،1961 ،64)

يقول إبراهيم أنيس " فللنطق بالزاي يندفع الهواءُ من الرئتين ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه من الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج وهو التقاء أول اللسان(مشتركاً مع طرفه عند بعض الأفراد) بالثنايا السفلى أو العليا على النحو المتقدم شرحه مع السين ".(أنيس ،1961 ،64)

ويصفه رمضان عبد التواب بأنه صوت رخو مجهور مرقق . نظير الزاي المفخم، لا وجود له في العربية الفصحى، وإن وُجدَ في العامية، في ذلك الصوت الذي يحلُّ محلَّ الظاء العربية أحياناً في مثل:

ظَلم > زُلم ونحوه .(عبد التواب، 1997، 46)

أما السين: فلا يفترق في نطقه عن الزاي غير أن الأوتار الصوتية تهتز مع الزاي ولا تهتز مع السين(عبد التواب، 1997، 47) ويتفق في هذا مع إبراهيم أنيس الذي يرى أن للسين أنواعاً مختلفة تختلف باختلاف اللهجات العربية، بل وباختلاف الأفراد أحياناً . ولكن الكثرة الغالبة منا الآن ينطقون بالسين من أول اللسان(مشتركاً معه طرف اللسان في بعض الأحيان) حين يلتقي بأصول الثنايا العليا . وتتميز السين أيضاً باقتراب الأسنان العليا من السفلى فلا يكون بينهما إلا منفذٌ ضيق جداً.(أنيس ،1961 ،63)

ويفرق أنيس بين السين العربية والإنجليزية بأن السين في العربية عالية الصفير.(أنيس ،1961 ،64)

ويصفها رمضان عبد التواب بأنها صوت مهموس مرقق وهو نظير الزاي المهموس .(عبد التواب، 1997 ،47)

أما الصاد: فتنطق عند رمضان عبد التواب كما تنطق السين غير أن مؤخرة اللسان ترتفع مع الصاد ناحية الطبق.(رمضان عبد التواب ،1997 ،47) وهو بهذا يؤكد قول أنيس بأن الصاد يشبه السين في كلِّ شيء سوى أن الصاد من أصوات الإطباق.(أنيس،196 ،64)

ويصف رمضان عبد التواب صوت الصاد بأنه رخو مهموس مفخم، وهي نظير السين المفخم . (عبد التواب ، 1997 ،47)

الأصوات اللثوية: وهي عند رمضان عبد التواب اللام، والراء والنون عبد التواب، 1997 ،47 ، أنيس 1961 ،52) وقد سَمَّى بعضُ القدماء هذه الأصوات الثلاثة بالأصوات الذلقية . عبد التواب ،1997 ،47)

ونبدأ بمخرج اللام وعند رمضان عبد التواب حيث يتم هذا الصوت عنده: " بأن يتصل طرف السان باللثة، ويرتفع الطبق، فيسد المجرى الأنفي عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق هذا مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية " .(عبد التواب، 1997 ،47)

وصوت اللام عند رمضان عبد التواب صوت جانبي: " ومعنى أنه صوت جانبي، أن أحد جانبي اللسان، أو كليهما، يسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور بينه وبين الأضراس، في الوقت الذي لا يمكنه فيه المرور، من وسط الفم، لحيلولة طرف اللسان المتصل باللثة دون ذلك "(عبد التواب ، 1997، 47-48)

وعند إبراهيم أنيس للام نوعان مرققة ومغلظة(أنيس ، 1961 ،53) ويفرق رمضان عبد التواب بين هاتين اللامين المرققة والمفخمة : " في وضع مؤخرة اللسان بالنسبة للاثتين، إذ إنها ترتفع ناحية الطبق، في حالة اللام المفخمة، وتنخفض إلى قاع الفم في حالة اللام المرققة، فالفرق بين نطق اللامين هو نفس الفرق بين صوتي السين والصاد ، 19" .(عبد التواب 1997 ،48)

ولا يوجد في الخط العربي رمز مختلف لكل لام من اللامين لأنها عبارة عن عائلة صوتية(فونيم) واحدة .(انظر عبد التواب ، 1997 ،48)

ويصفه رمضان بأنه صوت جانبي مجهور(عبد التواب ، 1997 ،47) وعند إبراهيم أنيس اللام صوت متوسط بين الشدة والرخاوة ومجهور أيضاً .(أنيس ، 1961 ، 53)

أمَّا الراء: يقول رمضان عبد التواب عن طريقة نطق هذا الصوت: " يتم نطقه بأن يترك اللسان مسترخياً، في طريق الهواء الخارج من الرئتين فيرفرف اللسان، ويضرب طرفه في اللثة ضربات متكررة . وهذا معنى وصف الراء بأنه صوت تكراري، هذا بالإضافة إلى حدوث ذبذبةٍ في الأوتار الصوتية، عند نطق هذا الصوت " .(عبد التواب ، 1997 ، 48)

ويرجع رمضان عبد التواب عدم قدرة نطق الأطفال لهذا الصوت، إلى ضعف العضلات المتحركة لمقدمة اللسان عندهم وقصورها عن إحداث الاهتزازات السريعة المكررة لهذه المقدمة .(انظر عبد التواب 1997 ،48-49)

والفرق بين الراءين المرققة والمفخمة، كالفرق بين اللامين المرققة والمفخمة. ويذكر رمضان عبد التواب أن القراء يرققون الراء إذا كسرت، أو كانت ساكنة بعد كسر، مثل كلمة: رِزق رِجس، حِرمان وذلك على العكس من يَرْجون، تَحْرُم.(عبد التواب،1997 ،49)

ويصف رمضان عبد التواب صوت الراء بأنه صوت تكراري مجهور.(عبد التواب ، 1997 ، 48)

أمَّا النون: فينطق عند رمضان عبد التواب: " بجعل طرف اللسان مُتَّصلاً باللثة، مع خفض الطبق، ليفتح المجرى الأنفي، وإحداث ذبذبة في الأوتار الصوتية، ومعنى الأنفية في هذا الصوت، أن الهواء الخارج من الرئتين يمر في التجويف الأنفي، محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف، وهي بهذا الوصف كالميم، تماماً، غير أن الفرق بينهما أن طرف اللسان مع النون يلتقي باللثة، فيمتنع مرور الهواء عن طريق الفم، بعكس الميم فإن الذي يمنع مرور الهواء من الفم معهما، هما الشفتان".(عبد التواب ، 1997 ، 49)

وينبه رمضان عبد التواب إلى قول تمام حسان(حسان ، 1979 ، 106 – 107) بأن هناك أنواعاً أخرى من صوت النون، بأن هذه ليست إلا مظاهر مختلفة لفونيم واحد وهي جميعاً للنون .(عبد التواب ، 1997 ، 50)

ويصفه رمضان عبد التواب بأنه صوت أنفي مجهور(عبد التواب ،1997، 49) ويضيف إبراهيم أنيس إلي أنه صوت مجهور متوسط بين الشدَّة والرخاوة.(أنيس، 1961 ، 55)

الأصوات الغارية:

"وهي في العربية الفصحى:الشين والجيم والياء".(عبد التواب، 1997 ،50)

أما الشين: فتنطق عند رمضان عبد التواب: " برفع مقدمة اللسان تجاه الغار، ورفع الطبق، ليسد المجرى الأنفي، بالتصاقه بالجدار الخلفي للحلق، ويتم ذلك كُلُّهُ،

دون إحداث ذبذبات في الأوتار الصوتية، فإذا مرَّ الهواء في الفراغ الضيق ، بين مقدمة اللسان والغار سَبَّبَ نوعاً من الاحتكاك والصفير".(عبد التواب ، 1997 ، 50)

ويصف الدكتور رمضان عبد التواب الشين بأنها: صوت رخو مهموس مرقق وليس في العربية نظير مجهور للشين، إلا أنها قد تجهر بتأثير الأصوات المجهورة المجاورة لها، مثل الشين في كلمة: " مشغول " وهذه الشين، توجد في نطق الشوام للجيم العربية فنحن غير هذه الشين المجهورة بالرمز(ج) ونطقها يماثل نطق الصوت الأخير في الكلمة الفرنسية:(rouage = رُوج).(عبد التواب ، 1997،50 – 51)

صوت الجيم: ويتم نطقه عند رمضان عبد التواب: " بأن يندفع مقدم اللسان، في اتجاه الغار فيلتصق به.... وبذلك يحتجز وراءه الهواء الخارج من الرئتين، ثم لا يزول هذا الحاجز فجأة، كما في الأصوات الشديدة، وإنما يتم انفصال العضوين ببطء فيترتب على ذلك أن يحتك الهواء بالعضوين المتباعدين احتكاكاً شبيهاً بالاحتكاك الذي نسمع صوته مع الشين المجهورة(ج) ؛ وعلى ذلك تعدُّ هذه الجيم في الحقيقة:صوت دال مغوّر يعقبـــه صوت شين مجهور".(عبد التواب ، 1997، 51)

صفته: يقول الدكتور رمضان عبد التواب وهي: " كما نسمعها الآن من مجيدي القراء، فإنها صوت مجهور يجمع بين الشدة والرخاوة وهو ما سبق أن سميناه بالصوت المزدوج " .(عبد التواب ، 1997 ، 51)

وينفي رمضان عبد التواب وجود مثل هذه الجيم في اللهجات الحالية إلا في لهجة من لهجات صعيد مصر، وبعض أماكن الجزيرة العربية كما أصبحت كافاً مجهورة تنطق من الطبق، مع إعمال الأوتار الصوتية في نطق القاهريين، أي أن مخرجها انتقل إلى الخلف. وهي في لهجة آهل سوريا عبارة عن شين مجهورة كما تطورت في نطق بعض أهالي الصعيد، إلى دال اسنانية لثوية، بانتقال مخرجها إلى الأمام .(انظر عبد التواب،1997 ،51)وهو في هذا كله يتفق مع إبراهيم أنيس .(انظر أنيس ، 1961 ، 65 –66)

أما صوت الياء: فينبه الدكتور رمضان أننا نقصد الياء التي هي من بين الأصوات الصامتة، الياء التي في مثل " يقول " و " ينصر " وما أشبه ذلك . وبينه

وبين صوت الكسرة الخالصة(وهو من أصوات العلة أو الحركات) فرق يسير جداً.(عبد التواب، 1997 ، 51)"ذلك أن وضع مقدمة اللسان مع الياء أقرب إلى سقف الحنك، من وضعها مع الكسرة، والفراغ بينهما أقل، بحيث يسمح للهواء المار بالاحتكاك، فيحدث الحفيف الذي يسمع مع صوت الياء ولا يسمع مع صوت الكسرة"(عبد التواب، 1997 ، 92)

ويضيف رمضان عبد التواب بأن صوت الياء صوت مجهور.(عبد التواب1997 51)

الأصوات الطبقية: يقول رمضان عبد التواب: " وهي في العربية الفصحى: الكاف والغين والخاء ".(عبد التواب ، 1997 ، 53)

ويخالف رمضان عبد التواب في هذا أستاذه إبراهيم أنيس، الذي أدخل الكاف في مخرج(أصوات أقصى الحنك) كما أدخل الغين والخاء في مخرج(الأصوات الحلقية).(أنيس ، 1961 ، 68)

أما الكاف: فيقول رمضان عبد التواب عن مخرج هذا الصوت: " يَتم نطقه " برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق وإلصاقه به، وإلصاق الطبق بالحائط الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي مع إهمال الأوتار الصوتية وعدم اهتزازها ".(عبد التواب، 1997 ، 53)

ويتفق رمضان عبد التواب مع أستاذه إبراهيم أنيس في وصف هذا الصوت: "بأنه صوت شديد مهموس مرقق ".(أنيس ، 1961 ، 69 وعبد التواب ، 1997 ، 53)

ويشير إلى ما أشار إليه إبراهيم أنيس من أنه ليس في العربية الفصحى نظير مجهور لصوت الكاف، وإنما نظيره المجهور هو الجيم القاهرية، التي يرمز لها بالرمز:(گ) المستعار من الخط الفارسي، لنفرق بينها وبين الجيم الفصيحة. وهذه الجيم القاهرية، نسمعها كذلك في بعض اللغات السامية، كالعبرية والسريانية والحبشية، وهو صوت سامي قديم، وهو لا يفترق عن الكاف في شيء سوى أن الجيم القاهرية مجهورة والكاف مهموسة ".(عبد التواب ، 1997 ، 53)

أما الغين: " فيتم نطقه برفع مؤخرة اللسان حتى يتصل بالطبق اتصالاً يسمح للهواء بالمرور، فيحتك باللسان والطبق في نقطة تلاقيهما، وفي نفس الوقت يرتفع الطبق، ليسد المجرى الأنفي مع حدوث ذبذبات في الأوتار الصوتية(عبد التواب ، 1997، 54)

ومخرج الغين عند إبراهيم أنيس من: " أدنى الحق الى الفم " فعند النطق به يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين اصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدناه إلى الفم، وهناك يضيق المجرى فَيُحدِثُ الهواءُ نوعاً من الحفيف، بذلك تتكون الغين "(أنيس ، 1961 ،70)

ويتفق رمضان عبد التواب مع إبراهيم أنيس(أنيس ، 1961 ، 70) في وصفه الغين بأنه صوت رخو مجهور ويضيف بأنه مرقق .(عبد التواب ، 1997 ، 45)

كما ويشير رمضان عبد التواب إلى أن سيبويه وغيره من القدماء قد عَدُّوا صوت الغين من أصوات الحلق .(عبد التواب:1997: 54)

أما الخاء: فيقول بأنها لا تفترق في طريقة نطقها عن الغين، إلا في أن الأوتار الصوتية تهتز مع الغين ولا تهتز مع الخاء .(عبد التواب:1997: 54)

ويتفق في هذا مع إبراهيم أنيس الذي يقول: " تشترك الخاء مع الغين في كلِّ شيء، غير أن الغين صوت مجهور نظيره المهموس هو الخاء . فكلٌ من الغين والخاء صوت رخو ومخرجهما واحد: فعند النطق بالخاء يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدناه إلى الفم ".(أنيس ، 1961 70-71)

الأصوات اللهوية: يقول رمضان عبد التواب: " لا يوجد منها في العربية الفصحى إلا صوت القاف " .(عبد التواب ، 1997 ، 54)

أما إبراهيم أنيس فقد جعل هذا الصوت تحت مخرج أصوات أقصى الحنك"(انظر أنيس ، 1961 ، 67)

أمَّا عن نطق هذا الصوت فيقول: " ينطق برفع مؤخر الطبق، حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، ليسد المجرى الأنفي ورفع مؤخر اللسان حتى يتصل باللهاة والجدار الخلفي للحلق مع عدم حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية، فينحبس الهواء ثم ينفجر بعد انفصال العضوين المتصلين، وعلى ذلك فلا فرق بين القاف والكاف إلا في أن القاف أعمق قليلاً في مخرجها ".(عبد التواب ، 1997 ، 54)

ويتفق في وصفه للقاف مع أنيس(أنيس ، 1961 ، 67) ويقول: وهو كما ينطق به مجيدو القراءات في مصر صوت شديد مهموس "(عبد التواب ، 1997 ، 54)

الأصوات الحلقية: وهي عند الدكتور رمضان عبد التواب: " العين والحاء"(عبد التواب ، 1997 ، 55) وهو بهذا يخالف أستاذه إبراهيم أنيس الذي جعل الأصوات الحلقية ستاً هي: " الغين . الخاء . العين .الحاء . الهاء . الهمزة "(انظر أنيس ، 1961، 70)

أما العين فيقول: " يتم نطقه بتضييق الحلق عند لسان المزمار، ونتوء لسان المزمار إلى الحلق، حتى ليكاد يتصل بالحائط الخلفي للحلق وفي نفس الوقت يرتفع الطبق، ليسد المجرى الأنفي، وتهتز الأوتار الصوتية "(عبد التواب ، 1997 ، 55)

كما يصف العينَ بأنه: " صوت رخو مجهور مرقق "(عبد التواب ، 1997 ، 55)

أما الحاء: فيتم نطقه كنطق العين مع فارق واحد، وهو أن الأوتار الصوتية لا تتذبذب معه بخلافها مع العين .(عبد التواب ، 1997 ، 55)

ويصفه عبد التواب بأنه صوت رخو مهموس مرقق، وهو النظير المهموس للعين .(عبد التواب ، 1997 ،55)

ويشير رمضان عبد التواب(عبد التواب ، 1997 ، 55) إلى فطنة ابن جني إلى هذا الفرق بين الحاء والعين ؛ فقال: " ولولا بُحَّةٌ في الحاء لكانت عيناً ... ولأجل البُحَّة التي في الحاء، ما يكررها الشارق في تنحنحه. وحكى أن رجلاً من العرب، بايع أن يشرب علبة لبنٍ ولا يتنحنح، فشرب بعضه، فلمَّا كَظَّهُ الأمر قال: كبش أملح، فقيل له: ما هذا ؟ تنحنحت ؟ فقال: من تنحنح فلا أفلح، وكَرَّر الحاء مستروحاً إليها، لما فيها من البُحَّة، التي يجري معها النفس وليست كالعين التي تحصر النفس "(ابن جني ، 1954 ، 246/2)

الأصوات الحنجرية: وهي عند رمضان عبد التواب صوتا الهمزة والهاء.(رمضان عبد التواب ، 1997 ،56)

ينطق صوت الهمزة بإغلاق الأوتار الصوتية إغلاقاً تاماً يمنع مرور الهواء، فيحتبس خلفهما ثم تفتح فجأة، فينطلق الهواء متفجراً.(عبد التواب ، 1997 ، 56)

ويصفه بأنَّهُ:" صوت شديد مهموس مرقق"(عبد التواب ، 1997 ،56) ويتأتَّى حكم رمضان هذا، من ناحية أن الأوتار الصوتية معه يغلق تماماً، فلا يحدث فيها ذلك الاهتزاز اللازم لصفة الجهر.(عبد التواب ، 1997 ،56)

وخلافاً لما قاله سيبويه وغيره من القدماء، يتفق رمضان عبد التواب مع تمام حسّان في عدم إمكانية أن يكون هذا الصوت مجهوراً ولكن قد يأتي هذا الصوت مسهلاً أي أنَّ إقفال الأوتار الصوتية ربما لا يكون تامّاً حين النطق به، بل قد يكون إقفاله تقريبياً.(حسّان ، 1979 ،125 ، عبد التواب ، 1997 ، 56)

" وفي حالة التسهيل هذه يحدث الجهر، ولكن المجهور حينئذ ليس وقفة حنجرة(همزة) بل تضييقٌ حنجري أشبه بأصوات العلة منه بهذا الصوت".(حسّان: 1979،125)

أما الدكتور إبراهيم أنيس(أنيس ، 1961 ، 72) فيصف صوت الهمزة بأنه صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس . وهذا الرأي هو الراجح عند الدكتور كمال بشر إذ يقول: " والقول بأن الهمزة صوت لا بالمهموس ولا بالمجهور، هو الرأي الراجح، إذ إن وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها، لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر، أو ما يسمى بالهمس ".(بشر ، 1970 ، 143)

ويستغرب الدكتور رمضان هذا الرأي الذي لم يرضَ عنه جمهرة الدارسين للأصوات ؛يقول الدكتور أيوب: " يقرر الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوية، أن الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس . وبالرجوع لتعريف الدكتور أنيس للجهر والهمس في الكتاب نفسه، نجد أنه يصف الجهر بأنه صوت موسيقي، يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين، اهتزازاً منظماً، ويصف الصوت المهموس، بأنه الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان. ومعنى هذا أن الأوتار الصوتية، إما أن تتذبذب فيحدث الجهر، أو لا تتذبذب فيحدث الهمس، ولا ثالث لهاتين الإمكانيتين . ومن ثم فإن وصف الدكتور أنيس للهمزة، بأنها ليست مجهورة ولا مهموسة . وصفٌ غير دقيقٌ ".(أيوب ، 1968 ، 183)

أمَّا الهاء: فيقول رمضان عبد التواب عن كيفية نطق هذا الصوت: " يتم نطقه بأن يحتك الهواء الخارج من الرئتين، بمنطقة الأوتار الصوتية دون أن تحدث ذبذبة لهذه الأوتار، ويرتفع الطبق ليسد المجرى الأنفي، ويتخذ الفم عند النطق بالهاء نفس الوضع الذي يتخذه عند النطق بالحركات".(عبد التواب 1997 ، 58 – 59)

ويضيف قائلاً: " لولا هذا الحفيف الذي يحدث بمنطقة الأوتار الصوتية، لما سمع غير صوتِ الزفير العادي، كما أن انعدام الذبذبات هنا، هو الذي يميز الهاء عن الحركات.(عبد التواب ، 1997 ، 59)

ويرى رمضان عبد التواب أن الأمر التبس على الدكتورين تمام حسَّان وإبراهيم أنيس عندما عدَّا هذا الصوت مجهوراً فاشتبه عليهم صوت الهاء بصوت الحركات يقول إبراهيم أنيس: " الهاء عادة صوت مهموس يجهر به في بعض الظروف اللغوية الخاصَّة ".(أنيس ، 1961 ، 71)

ويقول تمام حسَّان: " يتم النطق به بتضييق الأوتار الصوتية إلى مرحلة في منتصف الطريق بين الهمس والجهر، حتى إذا مَرَّ هواءُ الرئتين بينهما كان لاحتكاكه بهما أثرٌ صوتيٌّ لا هو بالحسِّ(يقصد جرس الصوت الذي يتردد صداه في حجرات الرنين في الجهاز النطقي، وهي حالة الجهر) ولا هو بالتنفيس ... هذا الأثر الصوتي فيه بعض الذبذبة ، وهو ما يجعلنا ننظر إلى هذا الصوت باعتباره مجهوراً".(حسَّان،131،1979)

وننهي حديثنا عن مخارج الأصوات وصفاتها عند رمضان عبد التواب، بأن عدد الأصوات التي ينتجها جهاز النطق، لم يُمكن حصرها بدقة حتى الآن، وهذا ما قاله ماريو باي وهذا يرجع في رأي ماريو باي: " إلى أن أقلَّ انحرافٍ في المخرج لا يمكن أن يعطي نتائج مختلفة، تدركها الأجهزة الحساسة، مثل " السبكروجراف " أو مسجل تردد الموجات الصوتية، إن لم تدركها الأذن . وأيضاً فإن كثيراً من الأصوات الأسنانية، التي لا تُعدُّ أصواتاً كلامية في بعض اللغات، تُعدُّ بكلِّ تأكيدٍ أصواتاً كلامية في بعضها الآخر " .(ماريوباي ، 1973 ،45)

بيننا وبين القدماء في وصف بعض الأصوات

كتب رمضان عبد التواب هذا الفصل(عبد التواب، 1997، 62-83) في وصف بعض أصوات اللغة الفصحى، بعد ملاحظته الاختلافات في وصفها بين القدماء والمحدثين وقد سبقه إلى هذا الوصف عددٌ من الباحثين على رأسهم براجشراسر(برجشتراسر،1994، 16-20)وشاده(أنيس،1961، 82)

وأرجع رمضان عبد التواب هذا الاختلاف إلى أمرين، أولهما: ما أصاب نطق العربية الفصحى من تطور، اختلف معه نطق بعض الأصوات العربية في زماننا على مستوى النطق الفصيح، عنه في زمان أولئك القدماء، الذين وصفوا ما سمعوه، وأصابوا في هذا الوصف .

والثاني: أن القدماء قد وَهَمُوا في وصفهم لبعض الأصوات، وأن نطق الفصحى في زماننا، هو عينه نطق العرب القدماء(انظرعبد التواب، 1997، 62)

ويرجح رمضان عبد التواب، صدق القدماء في أوصافهم، ويرجع الخلاف بين القدماء والمحدثين إلى التطور الذي أصاب بعض أصوات الفصحى . ولا يلجأ إلى تخطئة القدماء إلا إذا أعيته الحيلة في القول بتطور هذا الصوت.(انظر عبد التواب، 1997، 62)

وأول الأصوات التي يبدأ بها رمضان عبد التواب صوت الضاد:

الضاد

ويرى رمضان عبد التواب أن الضاد القديمة، تختلف عن الطاء التي ننطقها الآن، في أمرين جوهريين:

أولهما: أن مخرج الضاد القديمة اللسان أو جانبه، وليس مخرجها الأسنان واللثة .

ثانيهما: أنها كانت صوتاً احتكاكياً(رخواً، ولم تكن انفجارية شديدة .(انظر عبد التواب، 1997، 63)

ففي الأمر الأول عدَّها الخليل بن أحمد، في حيز الجيم والشين، وهما من الأصوات الغارية، فقال وهو يذكر أحياز الحروف: " ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد" .(الفراهيدي، 1967، 64/1)

وقال سيبويه: ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد"(سيبويه،1317، 405/2)

ويوضح ذلك المبرد الذي قال: " والضاد مخرجها من الشدق، فبعض الناس تجري له في الايمن، وبعضهم يجري له في الايسر" .(المبرد، 1968، 193/1)

ويقول ابن جني في مثل هذا: " ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، مخرج الضاد ، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر "(ابن جني، 1954، 52/1)

ومن خلال هذه النصوص التي يحشدها رمضان عبد التواب، يتبين لنا الفرقُ الأول بين الضاد القديمة والضاد التي ننطقها الآن وأنها كانت جانبية، وليست أسنانية لثوية.(عبد التواب، 1997، 64)

أما الفرق الثاني: وهو أنها كانت احتكاكية أو رخوة، ويتضح ذلك من تقسيم سيبويه للحروف: " ومنها الرخوة وهي الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء "(سيبويه، 1317هـ، 406/2)

ويرى رمضان عبد التواب بأن الضاد، التي ننطقها الآن في مصر هي المقابل المطبق، أو المفخم ؛ فكلاهما ينطق بنفس الطريقة مع فارق بسيط وهو أن مؤخرة اللسان، ترتفع قليلاً في اتجاه الطبق عند نطق الضاد، ولا يحدث مثل ذلك مع الدال(انظر عبد التواب، 1997، 64) أما الضاد القديمة فلا يقابلها شيءٌ من الأصوات إذ يقول سيبويه: " ولولا الإطباق لخرجت الضاد من الكلام ؛ لأنه ليس شيء من موضعها غيرها "(سيبويه، 1317هـ، 406/2)

ويجمع رمضان عبد التواب بعض الآراء في هذه الضاد القديمة مُدلِّلاً على أنها ليست، هي الضاد التي ننطقها في أيامنا هذه:

يقول المستشرق " شاده " عن سيبويه إنه: " عدَّ من الرخوة حرفاً يخرج منها بعده ، في كثير من اللهجات العربية، وهي الضاد، فإنها ليست الآن من الرخاوة ؛ إلا في لفظ من قال: ضرب مثلاً، بضاد جانبية المخرج، أما في النطق المعتاد في مصر، يعني بضاد مقدمة المخرج، فقد لحقت فيه الشديدة".(عبد التواب، 1997، 64)

ويقول المستشرق " برجشتراسر " " أمَّا الضاد فهي الآن شديدة عند أكثر أهل المدن، وهي رخوة(عند القدماء) كما هي الآن عند أكثر البدو، ومع ذلك فليس لفظها البدوي الحاضر نفس لفظها العتيق ؛ لأن مخرج الضاد(عند القدماء) من حافة اللسان ومن القدماء من يقول: من جانبه الأيسر، ومنهم من يقول من الأيمن، ومنهم من يقول من كليهما فمخرجهما قريب من مخرج اللام من بعض

الوجوه . والفرق بينهما هو أن الضاد من الحروف المطبقة كالصاد، وأنها من ذوات الدوي(الاحتكاك) واللام غير مطبقة، صوتية محضة، فالضاد العتيقة حرف غريب جداً غير موجود حسبما أعرف – في لغة من اللغات إلا العربية ؛ ولذلك كانوا يكنون عن العرب، بالناطقين بالضاد . ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحدٍ من العرب ، غير أن للضاد نطقاً قريباً منه ، جداً عند أهل حضرموت، وهو كاللام المطبقة . ويظهر أن الأندلسيين، كانوا ينطقون الضاد مثل ذلك ؛ ولذلك استبدلها الأسبان بصوت(id) في الكلمات العربية المستعارة في لغتهم، مثال ذلك أن كلمة:(القاضي) صارت في الأسبانية(alcalde) . ومما يدل أيضاً على أن الضاد كانت في نطقها قريبةً من اللام: أن الزمخشري ذكر في كتابه(المفصل) أن بعض العرب، كانت تقول(الطجع) بدل:(اضطجع) . ونشأ نطق الضاد عند البدو، من نطقها العتيق بتغيير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه، ونطقها عند أهل المدن، نشأ من هذا النطق البدوي، بإعتماد طرف اللسان على الفك الأعلى، بدل تقريبه منه فقط، فصار الحرف بذلك في نطقه شديداً، بعد أن كان رخواً"(برجستراسر، 1994، 18-19)

ويرى " كانتينو " أن " النطق القديم كان(ظْ لْ) أي ظاء ذات زائدة انحرافية، أي بتقريب طرف اللسان، من الثنايا كما في النطق بالظاء وبأن يجري النفس لا من طرف اللسان فقط، بل من جانبيه أيضاً "(كانتينو، 1966، 86)كما يقول المستشرق " هنري فليش " " ولقد كان العرب يتباهون بنطقهم الخاص لصوت الضاد، وهو عبارة عن صوت مفخم، يحتمل أنه كان ظاء جانبية أي أنه كان يجمع الظاء واللام في ظاهرة واحدة . وقد اختفى هذا الصوت، فلم يعد يُسمع في العالم، وأصبح بصفة عامة إما صوتاً انفجارياً، وهو مطبق الدال، وإما صوتاً أسنانياً هو الظاء".(فك، 1980، 37)

ويخلص رمضان عبد التواب إلى رأي إبراهيم أنيس الذي يرى أن " ... الضاد القديمة، قد أصابها بعض التطور، حتى صارت إلى ما نعهده لها من نطق في مصر ... ولا يزال العراقيون حتى الآن، وبعض البدو ينطقون بنوع من الضاد، يشبهه إلى حدٍّ كبير ذلك الوصف، الذي روى لنا عن الضاد القديمة . والذين مارسوا التعليم في بلاد العراق يذكرون، كيف يخلط التلاميذ هناك بين الظاء

والضاد. والضاد القديمة – كما أتخيلها – يمكن النطق بها، بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة، ثم ينتهي نطقه بها لظاء فهي إذن مرحلة وسطى، فيها شيء من شدَّة الضاد الحديثة وشيءٌ من رخاوة الظاء العربية ولذلك كان يعدُّها القدماء من الأصوات الرخوة "(أنيس، 1961، 49)

ونكتفي بهذا على ما أردناه من شرح تطور هذا الصوت وما عرضه رمضان عبد التواب، من تطور هذا الصوت من صوت احتكاكي رخو مخرجه حافة اللسان أو جانبه،إلى صوت انفجاري شديد مخرجه الأسنان واللثة، حيث جمع رمضان عبد التواب في كتابه من الآراء ما لم يجتمع لأحد من الكتَّاب.

الطاء

ومن الأصوات التي اختلف وصفُها بين القدماء والمحدثين، صوت الطاء، فالطاء كما ينطق بها اليوم، صوت شديد مهموس مفخم، وهي تقابل التاء في الترقيق والتفخيم. ولا فرق بينهما إلا في أن مؤخرة اللسان ترتفع تجاه الطبق عند نطق الطاء، ولا ترتفع نحوه في نطق التاء .(عبد التواب، 1997، 75)

أما القدماء فقد وصفوها بأنها صوت شديد مجهور مفخم.

يقول سيبويه: " ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً(سيبويه ، 1317 هـ ،406/2) أي أنها نظير الدال المفخم، عند سيبويه، في حين أنها في نطقنا اليوم، نظير التاء المفخم.(عبد التواب، 1997، 75)

وقد ذهب برحشتراسر، وجملة من الباحثين إلى تصديق رواية القدماء، في وصفهم لهذا الصوت من أن الطاء كانت مجهورة فأشبهت بذلك صوت الضاد، التي تطورت وضاع شكلها القديم، وبقي الشكل الحديث لها يقول برحشتراسر: " والطاء أيضاً مهموسة اليوم مجهورة(عند القدماء) ... ونطق الطاء العتيق، قد انمحى وتلاشى تماماً "(برحشتراسر، 1994، 16-17)

أما إبراهيم أنيس، فمؤمن بفكرة تطور هذا الصوت، ولكن يستبعد أن يكون القدماء قد خلطوا بين صفتي الجهر والهمس، فيما يتعلق بهذا الصوت يقول: " وقد أجمع الرواة في وصفهم للطاء القديمة، على أنها صوت مجهور، مما يحملنا على الاعتقاد بأن الطاء القديمة، تخالف التي ننطق بها الآن، على أن وصف الطاء في

كتب الأقدمين، لا يمكن الباحث المدقق من تحديد كلٍّ صفات ذلك الصوت، ولا كيف كان ينطق به على وجه الدقة، غير أنه من الممكن أن نستنتج من وصفهم أنها كانت صوتاً يشبه الضاد، التي نعرفها الآن . وهنا يتضح معنى قول ابن الجزري: إن المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة . وليس من المحتمل أن يكون القدماء قد خلطوا في وصفهم بين صفتي الجهر والهمس فيما يتعلق بهذا الصوت، ولكن الذي أُرجّحه أن صوت الطاء، كما وصفها القدماء كان يشبه الضاد الحديثة . ولعل الضاد القديمة كانت يشبه ما نسمعه الآن من العراقيين في نطقها . ثم تطور الصوتان فهمست الأولى، وأصبحت الطاء التي نعرفها الآن، كما اختلف مخرج الثانية وصفتها فأصبحت تلك الضاد الحديثة . أي أن ما كان يسمى بالطاء، كان في الحقيقة ذلك الصوت الذي ننطق به الآن ونسميه ضاداً ؛ فلما همست أصبحت الطاء الحديثة، التي – فيما يظهر – لم تكن معروفة في النطق العربي القديم . أما الضاد القديمة العصية النطق، فقد تطور مخرجها وصفتها، حتى أصبحت على الصورة التي نعهدها في مصر ".(أنيس، 1961، 58)

أمَّا تمام حسَّان، فيرى أن القدماء قد أخطأوا في وصفهم لهذا الصوت بالجهر، فالطاء القديمة عنده مهموسة، وليست مجهورة كما ظن القدماء، والذي أوقعهم في هذا الخطأ أن الطاء القديمة كانت مهموزة . فيقول: " أمَّا الطاء التي وصفها لنا القراء القدماء مجهورة على ما رأوا، وهذا يحتاج إلى قليلٍ من المناقشة، ففي بعض اللهجات العامية المعاصرة، صوت من أصوات الطاء يمكن وصفه بأنه مهموز ... ومعنى كون الطاء مهموزة هنا، أنه صحبها إقفال الأوتار الصوتية حين النطق، فأصبح عنصر الهمز جزءاً لا يتجزأ من نطقها . هذه الطاء مهموسة قطعاً، لأن إقفال الأوتار الصوتية لا يسمح بوجود الجهر ... وترجح عندي أن الطاء العربية الفصحى القديمة، التي وصفها القراء كانت في صوتها وفي نطقها بهذا الوصف، ثم لغرابة صوتها على السمع، أخطأ النحاة والقراء، فجعلوها مجهورةً في دراستهم، وجعلوا الدال مقابلاً مرققاً لها "(حسّان، 1979، 122-123)

فتمام حسَّان يرى أن هذا الصوت، لم يطرأ عليه تطور، وأن القدماء قد أخطأوا في وصفهم لهذا الصوت، وهو بهذا يخالف جملة الباحثين الذين قالوا بتطور هذا الصوت.

صوت(الجيم) .

والجيم هي ثالث الأصوات المختلف فيها عند رمضان عبد التواب، حيث عدها سيبويه من الأصوات الشديدة، وإن كان قد وضعها بين الشين والياء في مخرج واحد، وتابعه على ذلك غيره من علماء الأصوات العرب .(سيبويه، 1317 هـ، 405/1 –406 وابن جني، 1954،1/69)

والذي سبب هذا الخلط – عند القدماء – في نظر عبد التواب: " أن الازدواج في نطق بعض الأصوات العربية، لم يكن واضحاً في تصور العلماء العرب، بدليل وهمهم في وصف ظاهرتي الكشكشة والكسكسة في نطق بعض القبائل العربية للكاف المكسورة ".(عبد التواب، 1997، 78)

أما برحشتراسر فيرى أن الجيم معطشة مركبة من لفظي الدال والزاي، وهي مجهورة شديدة، وهي تشبه الجيم المصرية، غير أن مخرج الجيم المصرية، مخرج الكاف ومخرج الجيم العتيقة، هو مخرج الشين والياء والرأي الأقرب إلى الصواب عند برجشتراسر: " أن الجيم العتيقة كانت مثل الكاف التركية، في مثل كلمة: " كاه" أي أنها كانت مشجرة palataise وهذا الرأي يعضده في نظره أن كثيراً من البدو لا يزال ينطقها كذلك حتى اليوم، وان يحتمل اشتقاق نطق الجيم الكثير من الاختلاف عند غيرهم من العرب، من هذا النطق المذكور ؛ فالجيم المصرية(𓎛) مثله، إلا أنه لا تشجير فيها . والجيم العادية المعطشة، أصلها أن نطق(𓎛𓏲) المذكور، صار(di) ثم(dz).(برجشتراسر، 1994، 17)

ولا يسلم رمضان عبد التواب بهذا الوصف، إذ تشير مقارنات اللغات السامية كلِّها، إلى أن النطق الأصلي لهذا الصوت كان بغير تعطيش، كالجيم القاهرية تماماً، ويضرب الدكتور رمضان مثـــلاً على ذلك كلمـــــة: " جمل " فهي فـــي العبرية:"(gmal)(גָּמָל) وفي الآرامية:(gamLā)( ) ، وفـــــي الحبشية:(gmal)(ግመል) . أما العربية الفصحى فقد تحول فيها

نطق هذه الصورة من الطبق إلى النار، أي من أقصى الحنك إلى وسطه، كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج، يبدأ من الغار بدال . ثم ينتهي بشين مجهورة غير أن ذلك لم يحدث من البداية في كل جيم، وإنما كان يقتصر على الجيم المكسورة تبعاً لقانون الأصوات الحنكية، ثم عَمِّم القياس هذا النطق الجديد في كلِّ جيم، طرداً للباب على وتيرة واحدة، وقد حدث ذلك في العربية القديمة.(عبد التواب، 1981، 92وبرجشتراسر، 1994، 18)

القاف

إن القاف كما ينطق بها مجيدو القراءات في مصر، صوت لهوى شديد مهموس.(عبد التواب، 1997، 78)

أما سيبويه ومن جاء بعده من النحويين والقراء، فإنهم يصفون القاف بأنها مجهورة، ويستنتج أنيس " من وصف القدماء لهذا الصوت أنه كان يشبه إلى حدٍّ كبير، تلك القاف المجهورة التي نسمعها الآن بين القبائل العربية في السودان، وجنوب العراق، فهم ينطقون بها نطقاً، يخالف نطقها في معظم اللهجات العربية، الحديثة، إذ نسمعها منهم نوعاً من الغين "(أنيس ،77،1961)

ويلاحظ رمضان عبد التواب أن القبائل العربية، لم تكن تنطق القاف بصورة موحدة: فها هو ابن دريد اللغوي يقول: " فأما بنو تميم، فإنهم يلحقون القاف بالكاف، فتغلظ جداً ؛ فيقول: الكَوم، يريدون: القَوم ؛ فتكون القاف بين الكاف والقاف . وهذه لغة معروفة في بني تميم قال الشاعر:

ولا أكَول بِكَدْر الكَوم كَدْ نضجت ولا أكَول لباب الدار مَكْفول

(ابن دريد ،1351 هـ ،5/1)

ويضيف رمضان عبد التواب قائلاً: " وقد تطورت القاف في اللهجات العربية الحديثة، تطوُّراً كبيراً، فهي في كلام أهل مصر والشام همزة، كما تنطق غيناً في بعض مستويات النطق في السودان وجنوبي العراق، وفي بعض الكلمات في مصر، مثل: يقدر، يغْدر . وتسمع جيماً كالجيم القاهرية، في بعض البيئات بصعيد مصر، وبين كثير من قبائل البدو في الصحراء" .(عبد التواب، 1997، 79-80)

وينقل رمضان عبد التواب أمثلة على كل نوع من أنواع التطور الثلاثة، فمن الأمثلة التي وردت بالقاف والهمزة، قول العرب: قَشَبه وأشبه أي لامه وعابه .

والقوم زُهاق مائة وزهاء مائة، أي قريب من مائة.(أبو الطيب ، 1960 ،2/561–562عبد التواب، 1997، 80)

ومن الأمثلة التي وردت بالقاف والغين قولهم: غلام أقلف وأغلق والقمز من الناس والغمز(أبو الطيب ، 1960 ،2/561–562)ومن أمثلة القاف والجيم قولهم: بائقة وبائجة للداهية، وحبق وحبج أي ضرط .(أبو الطيب ، 1960 ،2/328–329)

العين

يقول رمضان عبد التواب: "إن العين صوت حلقي رخو مجهور مرقق بحسب الوصف المؤسَّسِ على التجارب المعملية الصوتية في العصر الحديث ".(عبد التواب ،1997، 81)

ويشير رمضان إلى رأي سيبويه وغيره من القدماء، في أنهم عَدُّوا صوت العين من الأصوات المتوسطة وينقل عن تمام حسَّان قوله، " وربما كان ذلك، لعدم وضوح الاحتكاك في نطقه وضوحاً سمعياً . ولكن الأصوات المتوسطة تشترك جميعها في خصائص وليست موجودة في نطق العين، وأوضح هذه الخصائص، حرية مرور الهواء في المجرى الأنفي، أو المجرى الفمي، دون سدّ طريقه ، أو عرقلة سيره، بالتضييق عند نقطة ما . وقد اتضح بصورة الأشعة، أن في نطق العين تضيقاً كبيراً للحلق، وهذا ما يدعونا وما دعا غيرنا من المحدثين قبل ذلك، إلى اعتبار صوت العين رخواً لا متوسطاً "(حَسَّان، 1979، 130)

الفونيم

يشير رمضان عبد التواب إلى أن دراسة الأصوات، في أي لغة من اللغات، تكشف لنا عن مجموعة من الأصوات، التي قد تختلف فيما بينها، من ناحية المخرج أو الصفة، ولكنه يُنظر لها من ناحية الكتابة والمعنى المعجمي، كما لو كانت صوتاً واحداً . وقد حدث مثل هذا في صوتي النون والسين، فالنون التي في كلمة " نقول " غيرها في " إن ثار " أو " إن ظهر " و " إن شرق " أو " إن قام " وغير ذلك . وهذه الأصوات المختلفة المخارج، نطلق عليها جميعاً اسم " صوت

النون "، ونرمز لها برمز واحد في الكتابة كذلك، ومثل ذلك يقع على صوت السين . (عبد التواب، 1997، 83)

وقد أطلق الغربيون على مثل هذه الأصوات، التي يعبر عنها في الكتابة برمز واحد، ولا تستخدم في اللغة للتفريق بين المعاني المختلفة، اسم : " فونيم (ماريو،1973، 48،87) وحدة صوتية / عائلة صوتية . ويضع الدكتور رمضان عبد التواب اسم " حرف " مساوياً لهذا المصطلح الأجنبي. (عبد التواب، 1997، 83) . وبهذا يفرق بين الاصطلاحين : "صوت " و " حرف " : " فالصوت هو ذلك الذي نسمعه ونحسُّهُ، أما الحرف فهو الرمز الكتابي، الذي يتخذ وسيلةً متطورةً، للتعبير عن صوت معين، أو عن الأصوات التي لا يؤدي تبادلها في الكلمة، إلى اختلاف المعنى" (عبد التواب، 1997، 83، 84)

وهذا قريب مما قاله تمام حسّان في التفريق بين الصوت والحرف يقول : " هو فرق ما بين العمل والنظر، أو بين المثال والباب، أو بين أحد المفردات، والقسم الذي يقع فيه ؛ فالصوت عملية نطقية تدخل في تجارب الحواس، وعلى الأخص السمع والبصر، يؤديه الجهاز النطقي حركةً وتسمعه الأذن، وترى العين بعض حركات الجهاز النطقي حين أدائه . أما الحرف فهو عنوان مجموعة من الأصوات، يجمعها نسب معين، فهو فكرة عقلية لا عملية عضلية. وإذا كان الصوت مما يوجده المتكلم، فإن الحرف مما يوجده الباحث ". (حسّان، 1980 ،132)

ويشير رمضان عبد التواب إلى أن علماء العربية القدماء (انظر، ابن جني،1،1954/6، ابن سينا، 1983 ،59-60) كانوا يستخدمون الكلمتين (الصوت والحرف) بمعنى واحدٍ أحياناً، أو يفرقون بينهما تفرقة تختلف عمَّا نعنيه نحن. (عبد التواب، 1997، 85)

فهذا التصور للفونيم، أو " الحرف " في نظر رمضان عبد التواب، تصورٌ حديثٌ جداً في علم اللغة، وفي علم الأصوات اللغوية (عبد التواب، 1997، 85)، أما الذي دعا العلماء المحدثين للقول بهذا : " أنهم لاحظوا أن أصوات أي لغة من اللغات، لا حدَّ لها في واقعِ الأمرِ، وأن ما نسميه صوتاً واحداً، قد يتردد هو نفسه في كلمة من الكلمات، أكثرَ من مَرَّةٍ، ولكنه لا يُنْطَقُ بنفس الصورة في كل مرة، فإننا إذا نطقنا كلمةً مثل : " بَطَرَ " فإننا نجد أن صوت الفتحة الأولى في هذه

الكلمة، غير الفتحة الثانية، من الناحية الصوتية، وغير الفتحة الثالثة ... والوظيفة اللغوية هي التي تجعلنا نتغاضى عن أمثال هذه التنوعات التي يقضي بها سياق صوتي معين، فنسوي بين الفتحات الثلاث، في كلمة : " بَطَرَ " مثلاً، ونرى فيها شيئاً واحداً، فإن هذه الفتحاتِ – وهي مختلفة من حيثُ تكوينُها – متطابقة من حيث الوظيفة اللغوية التي تؤديها، فهي تنوعاتٌ أو أفراد لنفس الفونيم ". (عبد التواب، 1997، 86)

ولذلك يرى رمضان عبد التواب، أن الكتابة تُعدُّ وسيلةً ناقصةً، لتسجيل أصوات اللغة، : " فقد قامت الأبجديات المختلفة – على الأقل في أذهان واضعيها الأوائلِ – على أساس الرمز لكل " فونيم " – برمز كتابي معين، يدل على جمع أفراد عائلة هذا الفونيم، ولم تُخَصِّصْ هذه الأبجديات رموزاً معينة لفروع الفونيمات المتعددة ..." (عبد التواب، 1997، 87-88)

وقد حاول علماء الأصوات المحدثون، تخطي هذا العيب في دلالة الكتابة على النطق، من خلال وضع أبجديات صوتية، وبذلوا في ذلك جهداً كبيراً، وأشهر تلك الأبجديات التي يشير إليها رمضان عبد التواب أبجدية " الجمعية الصوتية الدولية " التي كانت ثمرة لجهود كثيرٍ من علماءِ الأصواتِ المختلفين. (عبد التواب، 1997، 90)

أصوات العلة (الحركات).

تحدثنا فيما سبق عن الأصوات الصامتة، عند رمضان عبد التواب، وبَيَّنا مخارجَها وصفاتِها وكيفيةَ حدوثِها، وعَرَّفنا ما بقي منها على حالة، وما أصابه التطور من هذه الأصوات .

ونعرض هنا إلى أصوات العلة أو الحركات، والتي يعرفها رمضان عبد التواب بأنها : أصوات مجهورة يحدث في تكوينها، أن يندفع الهواء في مجرىً مستمرٍّ، خلال الحلق والفم، وخلال الأنف، معهما أحياناً، دون أن يكون هناك عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً، أو تضييق لمجرى الهواء، من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً.(عبد التواب، 1997، 91)

ويقترب في حديثه هذا مما قاله " دانيال جونز " الذي يعرفها بأنها : " أصواتٌ مجهورةٌ يخرج الهواء عند النطق بها، على شكلٍ مستمر من البلعوم

والفم، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلاً يمنع خروجه، أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً". (Jones , 1955 ,97 ، عبد التواب، 1997، 91)

فالحركات أصوات مجهورة، ويصف رمضان عبد التواب ما قاله عبد الرحمن أيوب (أيوب، 1968، 176) بأن هناك حركات مهموسة بأنه زعمٌ. (عبد التواب، 1997، 91،92).

وتتحدد أنواع الحركات عند رمضان عبد التواب : " بحركة مقدمة اللسان نحو سقف الحنك، أو حركة مؤخرة اللسان نحو سقف الحنك كذلك، فإن كان اللسان مستوياً في قاع الفم، مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك، وتركت الهواء ينطلق من الرئتين، ويهز الأوتار الصوتية وهو مارٌ بها، نتج عن ذلك صوت الفتحة (a) فإذا تركت مقدمة اللسان تصعد نحو وسط الحنك الأعلى بحيث يكون الفراغ بينهما كافياً لمرور الهواء، دون أن يحدث في مروره بهذا الموضع أي نحو من الاحتكاك والحفيف، وجعلت الأوتار الصوتية تهتز مع ذلك، نتج صوت الكسرة الخالصة (İ) ولو صعدت مقدمة اللسان أكثر من ذلك، نحو وسط الحنك، بحيث يحدث احتكاك للهواء المار بهذا الموضع، نتج عن ذلك صوت " الياء " ولذلك يعد علماء الأصوات " الياء " صوتاً شبيهاً بالحركة (Simi vowe) ؛ وذلك لأن وضع مقدمة اللسان مع " الياء " أقرب إلى سقف الحنك، من وضعها مع الكسرة، والفراغ بينهما أقل، بحيث يسمح للهواء المار بالاحتكاك فيحدث الحفيف الذي يسمع مع صوت " الياء " ولا يسمع مع صوت الكسرة ". (عبد التواب، 1997، 92،93)

"أما إذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، بحيث لا يحدث للهواء المار بهذه المنطقة، أي نوع من الحفيف، مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية، فإن الصوت الذي ينتج عن ذلك هو صوت الضمة الخالصة (u)، فإذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، أكثر من هذا، بحيث يسمح للهواء الخارج بالاحتكاك، وإحداث نوع من الحفيف، ينتج عن ذلك صوت : " الواو " ولذلك يعد علماء الأصوات صوت " الــواو " من الأصوات الشبيهة بالحركات (Semi vowel) كذلك؛ لأن الفرق بينه وبين الضمة الخالصة، في قرب أقصى اللسان من سقف الحنك مع الواو، أكثر منه مع الضمة". (عبد التواب، 1997، 93)

وتحدث بين وضعي اللسان في صوتي الفتحة والكسرة، أنواع متعددة من الحركـــات، أبرزها عند رمضان عبد التواب صوت الكسرة الممالة: (ē). (عبد التواب، 1997، 93)

وتحدث كذلـــــك الضمـــــة الممالة (ō) بين وضعي اللسان ، في صوتي الفتحة ، والضمة. (عبد التواب، 1997، 93)

ويرى رمضان عبد التواب أن الفتحة ليست عدوة للكسرة، كما يتردد في بعض كتب العربية، ذلك أن علماء الأصـــوات يطلقـــون على صوتي الضمة والكسرة، اسم : " أصوات العلة الضيقة "، وهذا التقسيم له أهمية فيما يصيب هذه الأصوات كُلَّها من تطور أو تغيير، إذ إنه من الملاحظ أن ما يصيب الضمة يجري مثله في الغالب على صوت الكسرة ؛ لأن كلاً منهما من أصوات العلة الضيقة. وعلى ذلك ليست الضمة عدوَّة للكسرة، بل هما من فصيلة واحدة، وذلك على العكس من صوت الفتحة الذي يعد قسيماً للضمَة والكسرة، له ظواهره وأحكامه الخاصة والتي سمَّاها علماء الأصوات : " صوت العلة المتسع . (انظر عبد التواب، 1997، 94)

ويلفت رمضان عبد التواب نظرنا إلى فطنة بعض علماء العربية إلى علاقة القربى بين الكسرة والضمة، قال ابن درستويه : " كلُّ ما كان ماضيه من الأفعال الثلاثية، على فَعَلْت، بفتح العين ولم يكن ثانية ولا ثالثه من حروف اللين ولا حروف الحلق، فإنه يجوز في مُستقبلِه : يفعُل، بضم العين، ويفعِل بكسر، كقولنا : ضَرَبَ يضْرِب، وشَكَرَ يَشْكُر، وليس أحدهما أولى به من الآخر، ولا فيه عند العرب إلا الاستحسان والاستخفاف . مما جاء وقد استُعمِلَ فيه الوجهان قولهم : ينفُر وينفِر،ويُشتمُ ويشتِمُ، فهذا يدلكم على جواز الوجهين فيه، وأنهما شيءٌ واحد، لأن الضمة أخت الكسرة (ابن درستويه ، 1975 ،105 ، السيوطي ، 1986 ،207/1)

وهذا هو السبب في نظر رمضان عبد التواب، في أن القبائل العربية القديمة لا تثبت على حال واحدة. في ضبط عين المضارع . (انظر عبد التواب، 1997، 95)

وهذه العلاقة بين الضمة والكسرة، في نظر رمضان عبد التواب، كانت وراء تطور كل واحدة منهما في الجعزية وهي الحبشية القديمة ؛ إلى الكسرة الممالة، مما يدل على أنهما كانتا في أذن الحبشي شيئاً واحداً، أو كالشيء الواحد (انظر عبد التواب، 1997، 96)

أما بخصوص طول الحركة أو قصرها، فيتفق رمضان عبد التواب بأن طول الحركة أو قصرها، ليس محدوداً بزمن معين في أية لغة من اللغات، وإنما هو أمرٌ نسبي مرهونٌ بسرعة الأداء وبطئه . (عبد التواب، 1997، 96، ايوب، 1968، 149)

المقاطع الصوتية

لا يختلف الدكتور رمضان عبد التواب في حديثه عن المقاطع الصوتية، عن غيره من علماء الأصوات، فالمقطع الصوتي عنده، هو كمية من الأصوات، تحتوي على حركة واحدة، ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها، من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة ؛ ففي العربية الفصحى مثلاً، لا يجوز الابتداء بحركة، ولذلك يبدأ كلُّ مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامتة.(انظر عبد التواب، 1997، 101)

ويقول ماريوباي عن المقطع الصوتي : " قمةُ إسماعٍ، غالباً ما تكون حركةً، مضافاً إليها أصواتاً أخرى عادة – ولكن ليس حتماً – تسبق القمة أو تلحقها، أو تسبقها وتلحقها ؛ ففي : (ah) قمة الإسماع، كما هو أوضح، هي : (a) وفي (it): (ɪ) . وفي (do) هي : (o) . (get) هي : (e). (ماريوي باي، 1973، 96)

ويقول " كانتينو " في تحديده للمقطع الصوتي : " إن الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت، سواء أكان الغلق كاملاً أو جزئياً، هي التي تمثل المقطع ". (كانتينو، 1966، 191)

وقسَّم رمضان عبد التواب المقاطع الصوتية عموماً قسمين: قصير وطويل،: "فالقصيرُ هو ما بدأ بصوت صامت وجاءت بعده حركة قصيرة ؛ ففي كلمة مثل : "كَتَبَ " مقاطع ثلاثة قصيرة (ka + ta + ba) والمقطع القصير بهذا المعنى لا يكون إلا مفتوحاً، أي أنه لا يقبل الزيادة عليه، فإذا زاد عليه شيء، بأن طالت الحركة، أو أضيف إليه صامت آخر، لم يعد المقطع قصيراً، بل يتحول في هذه الحالةِ إلى مقطعٍ طويلٍ . (انظر عبد التواب، 1997، 101)

ويلخص رمضان عبد التواب هذا القول، بأن في العربية الفصحى، خمسة مقاطع هي :

أولاً : مقطع قصير مفتوح = صامت + حركة قصيرة .

ثانياً : مقطع طويل مفتوح = صامت + حركة طويلة .

ثالثاً : مقطع طويل مغلق بحركة قصيرة = صامت + حركة قصيرة + صامت.

رابعاً : مقطع طويل مغلق بحركة طويلة = صامت + حركة طويلة + صامت.

خامساً: مقطع زائد في الطول = صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت. (انظر عبد التواب، 1997، 102)

ويشير رمضان عبد التواب، إلى فائدة دراسة نظام المقاطع في أية لغة من اللغات، في معرفة الصيغ الجائزة فيها، كما يعين على معرفة موسيقى الشعر وموازينه . (عبد التواب، 1997، 102)

أثر النظام المقطعي في بنية الكلمة

ومن القوانين الصوتية التي تؤدي إلى التطور اللغوي، النظام المقطعي، ونبدأ بتعريف المقطع الصوتي، كما جاء عند الدكتور رمضان، فالمقطع الصوتي هو : كمية من الأصوات، تحتوي على حركة واحدة ويُمكن الابتداء بها والوقوف عليها" (انظر عبد التواب،198 ،62)

ويعرفه كانتينو ؛ فيقول : " إن الفترة الفاصلة بين عمليتين، من عمليات غلق جهاز التصويت، سواء أكان الغلق كاملاً أم جزئياً – هي التي تمثل المقطع " (كانتينو،196 ،191)

ويرى فندريس أن تعريف المقطع أمرٌ عسيرٌ. (انظر فندريس،1950 ،85) ويرى إبراهيم أنيس أن المحدثين وجدوا صعوبة في تحديد بدء المقطع ونهايته ولكنهم استطاعوا دائماً تحديد وسطه أو أظهر جزء فيه . (انظر أنيس،1961 ،110).

وقبل أن نأتي إلى أثر النظام المقطعي كقانون صوتي في العربية لا بُدَّ أن نحدِّد المقاطع الصوتية، كما جاءت عند الدكتور رمضان عبد التواب وهي خمسة مقاطع . (عبد التواب،1981 ،63 وعبد التواب،1997 ،102)

الأول : مقطع قصير مفتوح، وهو ما تكوَّن من صوت صامت وحركة قصيرة، مثل : (كَ).

الثاني : مقطع طويل مفتوح، وهو ما تكوَّن من صوت صامت وحركة طويلة مثل : (في).

الثالث : مقطع طويل مغلق حركته قصيرة، وهو ما تكوَّن من صوتين صامتين بينهما حركة قصيرة مثل : (مِنْ).

الرابع : مقطع طويل مغلق حركته طويلة، مثل (بابْ) في الوقف.

الخامس : مقطع زائد في الطول، وهو ما بدأ بصوت صامت، وتلاه حركة قصيرة ثم صوتان صامتان متواليان، مثل : (بِنْت) في الوقف.

ومن آثار هذا النظام المقطعي – في التطور اللغوي – للبنية العربية كما ذكرها رمضان عبد التواب ما يلي:

الابتعاد عن توالي أربعة مقاطع من النوع الأول، مثاله تغير نظام المقاطع، في الفعل الماضي الثلاثي المتصل بضمير الرفع المتحرك، إلى مقطعين من النوع الأول، بينهما مقطعٌ من النوع الثالث، مثل : " ضَرَبْتُ " بدلاً من توالي أربعة مقاطع من النوع الأول في " ضَرَبْتُ ".

ومن المقاطع التي لا تجوز في العربية المقطع الرابع في اللغة العربية الفصحى، إلا في آخر الكلمة في حالة الوقف عليها أو في وسطها بشرط أن يكون المقطع التالي له، مبتدئاً بصامت يماثل الصامت الذي ختم به المقطع السابق ويقول رمضان عبد التواب إن القدماء عبروا عن هذه الحالة بـــ " التقاء الساكنين على حدهما " . نحو : " الضالِّين "، و (شابَّة) و " مدهامَّتان " فالأول حرف لينٍ والثاني مدغماً في مثله. (انظر ابن يعيش، د. ت،120/9 وانظر عبد التواب ،1981، 63)

أمَّا إذا كان المقطع الرابع نشأ اشتقاقياً، في غير ما سبق، حولته اللغة الى مقطع من النوع الثالث، نحو : " لم يقوم " التي صارت " لم يقم "، فالمقطع (قوم) هو من النوع الرابع الذي تفرُّ منه العربية، في حالتي الوصل والوقف نحو : " لم يقم محمدٌ"، (محمدٌ لم يقم). (انظر عبد التواب،64،1981)

ويقول رمضان عبد التواب إن مثل هذا المقطع الرابع، لا يجوز في الشعر أصلاً، إلا في الوقف، أي أنه لا يجوز فيه مثل :" الضالِّين " و " شابَّة " و " مدهامَّتان " وإذا كان الشعر العربي لا يقبل مثل هذا المقطع، فإن الشاعر إذا استخدم كلمة تحتوي مثل هذا المقطع ، أقحم همزة في هذه الكلمة، أو لجأ إلى قَسْمِ المقطع إلى مقطعين (انظر عبد التواب ،1981 ،64) مثل كلمة : " احمأرت " في قول كثير:

وأنت ابن ليلى خير قومك مشهداً إذا ما احمأرت بالعبيط العواملُ

(كثير،1971، 294 ، ابن جني، 3،126/1952 ، ابن منظور،1307 هـ ،249/16)

وقول شاعر من بني أسد :

حشَّ الولائدُ بالوقود جَنوُبها حتى اسوأدَّت من الصَّلى صفحاتها

(المعري ، 1970 ، 69)

ويرى رمضان عبد التواب، أن كلَّ صيغة جاءت على وزن (افعألَّ) قد جاءت عن هذا الطريق، حتى ولو لم يوجد الى جانبها صيغة (افعالَّ) في الاستعمال، وذلك مثل : " اشمأز" و " اجزألَّ " و " اطمأنَّ " وغير ذلك .

ويقول رمضان عبد التواب إن هناك طريقةً أخرى، للتخلص من هذا النوعِ من المقاطع في الشعر، وذلك بترك التضعيف (انظر عبد التواب،1981 ،65)إلى مثل قول عمران بن حطَّان :

قد كنت جارَكِ حولاً ما تروِّعني فيه روائعُ من إنسٍ ومن جانِ

(المبرد،3،70/1958)

أما اللهجات فإنها تكره نوعاً معيناً من المقاطع، فتُبْدلُ به مقطعاً من نوع آخر، فالحركة القصيرة في المقطع المفتوح، قبل مقطع مغلق، كانت غير مستحبة . ولذلك نجد أن هذا المقطع المفتوح، يغلق بتشديد الحرف التالي له (انظر عبد التواب،65،1981) مثل ما أورده كمال باشا : " البُصاق " في " البصَّاق " و " أدوَّيه " في :" أدوية " (انظر عبد التواب،65،1981) ويقول رمضان عبد التواب بأن الميل إلى إغلاق المقاطع المفتوحة قصيرة كانت أم طويلة، قد شاع عند العوام في عصرنا الحاضر، مثل قولهم : "حافَّة النهر " في " " حَافَة و " لِثَّة : في" لِثة ". (المغربي،1949، 90،87-91)

المماثلة الصوتية

إن أهمَّ القوانين الصوتية التي يمكن من خلالها تفسير كثير من القضايا الصوتية هو قانون المماثلة (Assimilation)؛ ذلك أن الأصوات اللغوية، تتأثر بعضها ببعض، عند النطق بها في الكلمات والجمل، فتفسير مخارج الأصوات أو صفاتها، لكي تتفق في المخرج أو في الصفة، مع الأصوات الأخرى المحيطة بها

في الكلام، فيحدث عن ذلك نوع من التوقف والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات (عبد التواب، 1981 ،22)

ولا يقف هذا التوافق عند الأصوات الصامتة، بل يتعداه ذلك في نظر رمضان عبد التواب إلى الحركات، كما يحدث أيضاً بين الأصوات الصامتة والحركات.(ابن جني ، 1954 ،197/1 وعبد التواب، 1981،22)

ويشير رمضان عبد التواب إلى قضية مهمة، كان قد تنبه لها القدماء (ابن سيدة 1321 هـ،274/13)، ذلك أنه لا يمكن للصوت أن ينقلب إلى صوت آخر، بعيد عنه في المخرج جداً، فلا ينقلب صوت من أصوات الشفة أو الأسنان مثلاً، إلى صوت آخر من أصوات الحلق، وكذلك العكس . (عبد التواب، 1981 ،24)

ويشير رمضان عبد التواب إلى اصطلاحات علماء الأصوات في أنواع التأثر الناتجة عن قانون المماثلة:" فإن أثَّر الصوت الأول في الثاني، فالتأثر(مُقبل) وإن حدث العكس فالتأثر(مُدْبر)، وإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين، فالتأثر(كُلِّى)، وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت، فالتأثر (جزئي). وفي كلٍّ حالة من هذه الحالات الأربع، قد يكون الصوتان متصلين تماماً، بحيث لا يفصل بينهما فاصل، من الأصوات الصامتة أو الحركات، وقد يكون الصوتان منفصلين بعضهما عن بعض فاصل من الأصوات الصامتة أو الحركات " (عبد التواب، 1981 ،23)

وتقسم المماثلة إلى الأقسام التالية:

1- المقبل الكلي في حالة الاتصال:

تتأثر تاء الافتعال دائماً بالدال أو الطاء قبلها، فتقلب دالاً أو طاءً مثل:

ادترك > ادَّرك ؛ ادتهن > ادَّهن .(انظر عبد التواب، 1981 ،24)

>iddahana < >idtahana >ddaraka < >idtaraka

وتتأثر تاء الافتعال غالباً بالذال أو الصاد أو الضاد قبلها فتقلب ذالاً أو ضـــاداً؛ مثل:

اذتكر > اذَّكر ، اصتبر > اصَّبر

>iṣṣabara < >iṣtabara ، >iḍḍakara < iḍtakara< (انظر عبد التواب، 1981، 24)

2- التأثر المقبل الكلي في حالة الانفصال:

تتأثر حركة الضم في ضمير النصب والجر الغائب المفرد المذكر (ــهُ) والجمع المذكر (همُ) والجمع المؤنث (هُنَّ) والمثنى (هُما) بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة أو ياء، فتقلب الضمة كسرة مثل:

برجلهُ > برحلهِ فيهُ > فيه عليهُ > عليه

<alayhi <alayhu fihi < fihu biriglihi< biriglihu

ضربتهُ > ضربتهِ ؛ بصاحبهُم > بصاحبِهِم

bisâhibihim < bisâhibuhm darabtihi < darabtuhu

قاضيهم > قاضيهِم ؛ بِهُنَّ > بِهِنَّ

bihinna < bihunna ḳādīhim < ḳāḍīhum

بِهُما > بِهما

bihimā < bihumā (انظر عبد التواب، 1981، 25)

وفي قراءة حفص عن عاصم: (وما أنسانيهُ إلا الشيطان) (الكهف 63/18)

ويذكر رمضان عبد التواب أن القبائل الحجازية قد حافظت على هذا الأصل في نطقها (انظر عبد التواب،25،1981)، قال سيبويه: " فالهاء تكسر إذا كانت قبلها ياء أو كسرة ... وذلك قولك: مررت بي قبلُ، ولد يهي مال ومررت بدارهي قبلُ، وأهل الحجاز يقولون: مررت بهُو قبلُ ولديهو مال، ويقرءون " فخسفنا بهُو وبدارهُو الأرض "

3- التأثر المقبل الجزئي في حالة الاتصال:

تتأثر تاء الافتعال بالصاد أو بالضاد أو بالزاي قبلها فتقلب ظاء في الحالتين الأوليين، ودالاً في الحالة الثالثة، مثل:

اصتبغ > اصتطبغ ؛ اضتجع > اضطجع

>iḍṭaga<a < >iḍtaga<a >iṣṭabaġa (>iṣtabaġa)

ازتجر > ازدجر

> izdagara < >iztagara < (انظر عبد التواب،26،1981)

4- التأثر المقبل الجزئي في حالة الانفصال:

يمثل رمضان عبد التواب على ذلك بأمثلة كثيرة منها:

- تأثر السين المهموسة بالراء المجهورة قبلها، فتقلب إلى نظيرها المجهور وهو الزاي في كلمة: مهراس mihrās، التي صارت:Mihrāz مهراز في لهجة الأندلس العربية (انظر عبد التواب، 1981، 28)،

5- التأثر المدبر الكلي في حالة الاتصال: ويمثل على ذلك .

- في مضارع صيغتي: تفعّل وتفاعل، تتاثر التاء بعد تسكينها للتخفيف، بفاء الفعل إذا كانت صوتاً من أصوات الصفير أو الأسنان، ثم قيست على ذلك صيغة: الفعل الماضي ؛ مثل:

يتذكّر > يتْذكّر > يَذّكّر اذّكّر (في الماضي)

yataḍakkar < yatḍakkar < yaḍḍakar >iḍḍakkar< (انظر عبد التواب، 1981، 29)

يتطهر > يتطهر " يطّهر اطّهّـر (في الماضي)

yataṭahhar < yaṭṭahhar yaṭṭahhar >iṭṭahhar<

وينبه رمضان عبد التواب إلى أن هذا حدث في اللغة العربية القديمة، وجاء ذلك في القرآن الكريم جنباً إلى جنب مع الصيغة الأخرى، التي لم يحدث فيها تطور، كقوله تعالى (اثّاقلتم إلى الأرض " (التوبة 38/9) (وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها) (البقرة 72/2) بل إن الآية الواحدة لتحتوي في بعض الأحيان على الصورتين معاً، كقوله تعالى: (ليدّبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) (ص29/38) (عبد التواب، 1981، 29)

6- التأثـــر المدبر الكلي في حالـــة الانفصـــال: ومـــن أمثلة ذلك كلمة: emza > (ʾ ⵎⵣ) في الحبشية، تقابل كلمة: " مُنْذُ " العربية، وهي في الحبشية مركبة من: em بمعنى: " مِنْ "، و " za " بمعنى اسم الموصول " ذو " الطائية، وقد " حُكى عن بني سُليم:

ما رأيته مِنْذُ ست بكسر الميم". mindu < mundu (عبد التواب، 1981، 32-33)

وهذا كله يدل في نظر رمضان عبد التواب على أن أصـــل (مُنْذُ) العربية:(مِنْ + ذو) فقلبت كسرة الميم ضمة، تأثراً بضمة الذال بعدها .

ويخطِّئ من يرى أن الذال في مُنْذُ " ضمت إتباعاً لحركة الميم، ولم يعتد بالنون حاجزاً ".(عبد التواب، 1981، 33)

7- التأثر المدبر الجزئي في حالة الاتصال: ويمثل على ذلك بـــ :" تأثر النون الساكنة بالباء التالية لها، فتقلب إلى صوت من مخرج الباء وهو صوت الميم، إذ هو شفوي كالباء، وهذا هو ما سمَّاه علماء القراءات العرب بالإقلاب، في مثل قوله تعالى: ﴿ مِنْ بعد ما جاءهم﴾ (البقرة 105/3) وقوله تعالى: ﴿ عليمٌ بذات الصدور﴾ (آل عمران 119/3) وقوله تعالى: ﴿ إذ انبَعث أشقاها﴾.(الشمس 12/91) ومثل ذلك قول عامة الناس اليوم: " مِمبر " في: " مِنْبر" minbar < mimbar إلى جانب التأثر المدبر الكلي في حركة الميم (انظر عبد التواب،35،1981)

وينقل رمضان عبد التواب أن العامة في عصرنا الحاضر: تقول: " يسحف " yasḥafu بدلاً من " يزحف yazḥafu " فقد تأثرت الزاي في هذا المثال، وهي صوت مجهور بالحاء التالية لها، وهي صوت مهموس، فقلبت الزاي الى نظيرها المهموس وهو السين . (انظر عبد التواب، 1981، 35)

8- التأثر المدبر الجزئي في حالة الانفصال ويمثل له بالصاد قبل الراء تقلب زايــاً في بعـــــــض قراءات القرآن الكريـــــم، مثل: " زراط " في " صراط " zirāt في sirāt أو لعلها كانت تنطق مثل الظاء العامية.(انظر عبد التواب،3،1981)

ومنه أيضاً ما يرويه ابن هشام اللخمي أن الناس كانوا في الأندلس والمغرب، في القرن السادس الهجري، يقولون في سِرْداب: sirdāb، زرداب zirdāb (انظر عبد التواب، 1981، 35)

المخالفة الصوتية

ومن القوانين الصوتية التركيبية التي يتحدث عنها رمضان عبد التواب، التي تعمل على تطور الأصوات، قانون المخالفة وهو قانون يسير في عكس اتجاه قانون المماثلة . فإذا كان قانون المماثلة يحاول التقريب بين الأصوات التي بينها بعض المخالفات، فإن قانون المخالفة يعمد إلى صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات، فيغير أحدهما إلى صوت آخر، يغلب أن يكون من أصوات العلة

الطويلة، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة، المعروفة في اللاتينية باسم: liquida وهي: اللام والميم والنون والراء .(انظر عبد التواب، 1981، 37)

ويضرب رمضان عبد التواب مثالاً على المخالفة بين السامية الأم والعربية في كلمة: " شمس " فهي في السامية الأولى: " شمش " كما في الآكادية والعربية والآرامية، والمعروف لدى علماء الساميات أن الشين في السامية الأم، قلبت في العربية "سيناً" وهذا من التغيرات التاريخية التي سبق أن تحدثنا عنها من قبل، ومقتضى ذلك أن تصير الكلمة في العربية " سمس " غير أن المخالفة بين السينين أدت إلى قلب الأولى شيناً.(انظر عبد التواب، 1981، 37)

وكذلك كلمتا: " سنبلة " و " قنفذ حدثتا في العربية، بطريق المخالفة الصوتية في كلمتين كانت الباء فيها مشددة، " فَسبلة يوافقها في العربية:(sibbōlet) وقنفذ يوافقها في العبرية: kippod)(عبد التواب، 1981، 38)

ومن الكلمات التي يفسر ما حدث فيها قانون المخالفة: " قيراط " و " دينار " بدلاً من " قِرَّاط ودنَّار " .

ويفسر رمضان عبد التواب من خلال قانون المخالفة، الابدال الظاهري في كلمتي: " زُحلُوفة " و " زُحلُوقة "، فالظاهر أن الكلمة الأولى: " زحلوفة " مأخوذة من الفعل: " زحلف " الناتج بطريق المخالفة الصوتية، من " رَحَّق " كما أن الكلمة التالية: " زُحلوقة " مأخوذة من الفعل: " زحلق "، الناتج بطريق المخالفة الصوتية كذلك من الفعل: " زلَّق ".(عبد التواب، 1981، 40)

ولا يشترط تجاور الصوتين، فالكلمتان عنوان، ولعل تنطقان علوان، ولعنَّ. وهذا أثر من آثار قانون المخالفة الصوتية .(انظر عبد التواب، 1981، 40)

يقول رمضان إن القدماء قد فطنوا لهذه الظاهرة، وكانوا يسمونها أحياناً: "كراهية التضعيف " " كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد" أو " اجتماع الأمثال مكروه(ابن يعيش،د.ت، 451) أو " استثقلوا اجتماع المثلين " وقد عقد سيبويه لذلك باباً في كتابه بعنوان: " هذا باب ما شذَّ فأبدل مكان اللام الياء، لكراهية التضعيف، وليس بمطرد ".(انظر سيبويه ، 1317 ،401/2)

ومن آثار قانون المخالفة، قلب الواو همزة في مثل: " وواصل " وكذلك: "وواق " وأنثى " الأول " وجمعها فنقول: " أواصل " " أواق " " أُولى " و " أول ".(انظر سيبوية،1317هـ، 401/2)

ويرجع رمضان عبد التواب، المخالفة من الناحية الصوتية، إلى: " أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي، في النطق بهما في كلمة واحدة وتيسير هذا المجهود العضلي بقلب أحد الصوتين صوتاً آخر، من تلك الأصوات التي تتطلب مجهوداً عضلياً كاللام والميم والنون "(عبد التواب، 1981، 41)

أما برجشتراسر فيرد المخالفة، إلى قضية " نفسية محضة، نظيره الخطأ في النطق، فإنا نرى الناس كثيراً ما يخطئون في النطق ويلفظون، بشيء، غير الذي أرادوه وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض، لأن النفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة – تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها ويصعب عليها إعادة تصور بعينه، وبعد حصوله بمدة قصيرة، ومن هنا ينشأ الخطأ، إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة"(برجشتراسر، 1994، 34)

ومن المخالفة المؤثرة في العربية: المخالفة بين حركتي الفتح المتتاليتين إذا كانت الأولى منهما طويلة ؛ إذ تتحول الثانية منها في هذه الحالة إلى كسرة، فالأصل في قانون المثنى هو الفتح، غير أنها كسرت في الفصحى تبعاً لهذا القانون، بدليل أنها لا تزال مفتوحة في نظيرتها في جمع المذكر وبدليل بعض الأمثلة التي بقيت على الأصل القديم، وهي ما نسميه نحن بالركام اللغوي ، مثل: " شتَّان " في مثل قولهم: " شتانَ أخوك وأبوك" أي متفرقان: فهو تثنية " شتَّ "(ابن منظور، 1307 هـ ، 355/2)

ومثله كسر نون التوكيد في مثل " يضربانِّ " وكسر نون الأفعال الخمسة في: يفعلان وتفعلان . ونصب جمع المؤنث السالم بالكسرة(انظر عبد التواب، 1981، 43)

ومن المخالفة التي يتحدث عنها رمضان عبد التواب: " المخالفة الكمية بين المقاطع الصوتية ومن أمثلته في العربية ما يحدث لحركة ضمير الغائب ، في العربية الفصحى، فالأصل في هذه الحركة، هو الضمة الطويلة من مثل:

لهُ = لهو ؛ وبه = بهي

فيه = فيهي، ومنه = منهو .(انظر عبد التواب، 1981، 43-44)

كراهية توالي الأمثال:

يرى رمضان عبد التواب أن اللغة العربية " تميل إلى التخلص من توالي الأصوات المتماثلة، تحذف واحداً منها؛ وذلك هو ما يسميه الألمان Hapolo gsche silbenellips، ويسميه اللغويون بكراهة توالي الأمثال (انظر عبد التواب، 1982، 27).

ويقصد بالمقاطع المتماثلة هنا: " ما يشمل المقاطع ذات الأصوات الصامتة المتماثلة أو المتقاربة في المخارج ويحدث ذلك في أول الكلمة أو وسطها أو في آخرها، كما أن العربية تميل كذلك أحياناً إلى التخلص من توالي الأصوات المتماثلة، سواء أكانت حركات أم أصواتاً صامتة، وإن لم تكن المقاطع متماثلة"(عبد التواب، 1982 ،27)

أما السبب في التخلص من توالي الأمثال فهو صعوبة تتابع المقاطع والأصوات المتماثلة في النطق. (عبد التواب، 1982 ،27)

يقول بروكلمان: " إذا توالى مقطعان، أصواتهما الصامتة متماثلة أو متشابهة جداً، الواحد بعد الآخر في أول الكلمة، فإنه يكتفي بواحد منهما، بسبب الارتباط الذهني بينهما".(بروكلمان، 1977، 79).

أما برجشتراسر فقد عدّ هذه الظاهرة من الترخيم، فيقول: " ومن الترخيم ما هو جنس من التخالف، وهو حذف أحد مقطعين متتاليين، أولهما حرفان مثلان أو شبهان". (برحشتراسر، 1994، 70)

وأشار رمضان عبد التواب إلى نماذج من كراهية توالي الأمثال، ومنها:

أولاً: صيغ تفعّل وتفاعل وتفعّلَ، مع تاء المضارعة، يتكرر فيها المقطع (ta) في بدايتها؛ مثل: " تتقدم " و " تتقاتل " و " تتبختر "" وحذف أحد هذين المقطعين كثير الورود في العربية. (عبد التواب، 1982، 28)

ويذكر رمضان عبد التواب قول ابن مالك في ذلك:

وما بتاءين ابتُدي قد يُقْتَصَـــــرْ فيه مع تا كَتَبيَّنُ العِبَـــــــرْ

(ابن مالك ، 2002 ،221)

ويشير رمضان إلى شيوع هذه الظاهرة في القرآن، فقد ورد فيه كلمات، مرة بالحذف، ومرة بلا حذف ومنه:

" تذكّرون مرة بالحذف، في مقابل: " تتذكرون ثلاث مرات بلا حذف.

(لعلكم تذكّرون)في الأنعام (6/ 52) والأعراف (57/7) والنحل(90/16) والنور (1/24)، والذاريات (49/51) وفيه (فلولا تذكّرون) وفي الواقعة (62/56) كما أن فيه(أفلا تذكّرون) وغيرها في مواضع الحذف في هذه الكلمة في مقابل: (قليلاً ما تتذكّرون) وفي غافر(58/40) وغير هذا كثير.(عبد التواب، 1982، 28).

ويعرض لهذه الظاهرة في النثر العربي، وفي الشعر(عبد التواب، 1982)، فمنه في النثر قول ابن هشام في السيرة النبوية: " فلما رآها رسول الله صلي الله عليه وسلم- تصوَّب من العقنقل"(ابن هشام، 1955، 621/1)، وكما في قول النبي- صلي الله عليه وسلم-: " لا تتايعوا في الكذب، كما يتتايع الفراش في النار) (ابن الأثير، 1963-1965، 202/1). بدلاً من " لا تتتايعوا".

ومن أمثلة هذه الظاهرة في الشعر قول بشر بن أبي خازم:

فكأنَّ ظُعنهُمُ غداة تحمَّلـــوا سُفُنٌ تكفّأ في خليج مُغـــرِب

(أبي خازم، 1960 ،35).

وقول المثقب العبدي:

لمنِ ظُعُنٌ تَطَالعُ من ضبيبٍ فما خرجتْ من الواد لحِيــنِ

(المثقب،1956 ،14)

وقول مالك بن الريب

ولا تنسيا عَهْدِي خليليَّ بعدما تَقَطَّعُ أوصالي وتبْلَى عِظاميا

(القالي، 1324هـــ،138)

ويرى رمضان عبد التواب أنه لا يهم تعيين المحذوف، والقول بأنه المقطع الأول أو الثاني، إذ إنّ اللغويين أجهدوا أنفسهم في تحديد أي المقاطع المحذوف؟ وحاولوا إقامة الأدلة النظرية على وجهة نظرهم ومن ذلك ما قاله صاحب إعراب القرآن:"وأصله تتذكرون، فحذفت إحدى التاءين، والمحذوفة الثانية؛ لأن التكرار بها وقع وليس الأول بمحذوف، لان الأول علامة المضارعة، ولعلامات لا تحذف"(الزجاج، 1965 ،3/ 849 هـــ وانظر عبد التواب، 1982، 30).

ثانياً: نون الأفعال الخمسة: مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم، أو مع ضمير المتكلمين المنصوب، وكذلك الفعل المسند إلى نون النسوة قبل هاتين الحالتين.

ومثال ذلك قول الأعشى:

أبا لموت الذي لا بُدّ أنّي ملاقٍ لا أباك تُخوفيننـــــي (ابن الشجري، 1349 هـ، 362/1 والمبرد، 1956، 142/2)

أي: تخوفينني وكذلك قول عمر بن معد يكرب:

تراه كالثُّعام يُعَلُّ مِسْكاً يسوءُ الفالياتِ إذا فلَيْنى (سيبويه، 1317 هـ،154/2)

أي: فليننى.

ثالثاً: إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأنَّ ولعلَّ، مع نون الوقاية قبل ياء المتلكم، أو ضمير المتكلمين المنصوب. (عبد التواب، 1982، 36).

ومِمَّا قاله ابن هشام، وهو يتحدث عن نون الوقاية: أنها تلحق قبل ياء المتكلم المنتصبة بالحرف " نحو: إنني، وهي جائزة الحذف مع إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأنّ، وغالبة الحذف مع لعلَّ، وقليلته مع ليت ". (ابن هشام، 1964 ،344/2).

ويفسر رمضان عبد التواب ذلك بقوله: " أمّا أن ذلك غالب في (لعل)؛ فلأن اللام تشبه النون في أنهما من الأصوات المائعة (Liquida).

ويرى أن الحذف مع هذه الأحرف هو الشائع في القرآن الكريم، ففيه مثلاً بالحذف لا غير " وأنّا " ثماني مرات " فإنِّي" ست مرات " أنَّنا" عشر مرات " فإنا" عشر مرات " ولكنّ" أربع مرات " ولكنَّا " مرتين " لعلِّى" ست مرات وفيه كذلك:"أنَّا" سبع عشرة مرة، في مقابل: " أنَّنا مرة واحدة" ؛ بأنَّا مرتين، في مقابل " بأنَّنا" مرة واحدة: " إنِّي" مئة واثنتان وعشرون مرة، فـــي مقابـــل: " إنَّني" ستُّ مرات؛ " وإنِّى" ثلاث عشرة مرة في مقابل: " وإنَّني " مرة واحدة، و " إنَّا " ثلاث وخمسون مرة في مقابل:"إنَّنا" خمس مرات؛ " وإنّا" ثلاث وثلاثون مرة في مقابل " وإنَّنا" مرة واحدة.(عبد التواب، 1982، 36)

رابعاً: الأفعال الخمسة إذا اتصل بها نون التوكيد.

ويرى رمضان عبد التواب: " أن الحذف هنا لازمٌ مطَّردٌ في العربية "(عبد التواب، 1982، 38)

ويشير عبد التواب إلى أقوال علماء العربية القدماء نحو قول سيبويه" وإذا كان فعل الجميع مرفوعاً، ثم أدخلت فيه النون الخفيفة أو الثقيلة، حذفت نون الرفع، وذلك قولك: لتفعلُنَّ ذاك، ولتذهبُنَّ؛ لأنه اجتمعت فيه ثلاث نونات، فحذفوها استثقالاً، وتقول تَفْعلُنَّ ذاك؟ تحذف نون الرفع لانك ضاعفت النون، وهم يستثقلون التضعيف، فحذفوها إذ كانت تُحذف وهم في ذا الموضع أشدُّ استثقالاً للنونات، وقد حذفوها فيما هو أشدُّ في ذا".(سيبويه،1317 هـ، 154/2 كذلك عبد التواب، 1982، 38).

ويعلل المبرد لذهاب النون هنا فيقول: " فإذا ثنيت أو جمعت أ خاطبت مؤنثاً فإن نظير الفتح في الواحد، حذف النون مما ذكرت لك؛ تقول للمرأة: هل تضربنَّ زيداً ولا تضربنَّ عمراً؟ فتكون النون محذوفة، التي كانت في تضربين، ألا ترى أنك إذا قلت: لن تضرب يا فتى، قلت للمرأة إذا خاطبتها: لن تضربي، وكذلك: لن تضربا، ولن تضربوا، للاثنين والجماعة، فحذف النون نظير للفتحة في الواحد" (المبرد،1968، 20/3).

ويصف رمضان عبد التواب تعليل المبرد لذهاب النون هنا بأنه تعليل غريب

.

خامساً: كلمة (بني) الداخلة على معرف باللام القمرية؛ مثل:بلحارث، وبلهجيم، وبلعنبر، وبلقين،، يعني بني الحارث، وبني الهجيم، وبني العنبر، وبني القين.(عبد التواب، 1982 ،39).

ويرى رمضان عبد التواب أنَّ مثل هذا كثير الورود في كتب التراث العربي، ففي تاريخ الطبري: " وأقبل رجلان أخوان من بلقين، يقال لهما: ملك وعَقِيل". الطبري،1970، 616/1).

وفي طبقات ابن سعد:" قالوا: إنَّ بَلْمُصْطَلَق من خزاعة".(ابن سعد،2،1990/48)

يقول المبرد: ومن كلام العرب أن يحذفوا النون إذا لقيت لام المعرفة ظاهرة، فيقولون في بني الحارث، وبني العنبر وما أشبه ذلك بلحارث، وبلعنبر وبلهجيم" (المبرد، 1956، 360/3).

سادساً: دخول حرف الجر(على)على معرفة بأل القمرية.(عبد التواب،1982 ،41)؛ مثل قول الفرزدق:

وما سبق القيسيُّ من ضعف حيلة ولكن طفت عَلْماءِ قُلْفَة خالدِ

(الفرزدق،1987 ،151، والمبرد، 1968، 251/1 وابن يعيش ، د.ت ،155/10)

وكذلك قول قطري بن الفُجاءة:

غداةَ طفت عَلْمَاءِ بكرُ بن وائل وعُجْنا صدورَ الخيل نحو تميم

(المبرد،1956 ، 299/3، ابن الشجري،1349 هـ ،97/1)

يقول رمضان: " يريد في البيتين:على الماء ". (انظر عبد التواب،1982 ،42)

وكذلك قول الشاعر:

ولَلْمَوْتُ خيرٌ لامرئ من حياته بِدارَةِ ذُلٍّ عَلْبلايا يوقَّرُ

(السجستاني، 1961 ،66)

يريد: " على البلايا " .

وينقل رمضان عبد التواب: عن سيبويه في آخر " الكتاب ": " ومثل هذا قول بعضهم: عَلْماء بنو فلان، فحذفوا اللام، يريد: على الماء بنو فلان، وهي غريبة". (سيبويه، 1317 هـ، 340/2)

سابعاً: دخول حرفي الجر (من) و (عن) على معرف بأل القمرية (عبد التواب،1982،42) ، قال ابن منظور: " قال أبو إسحاق: ويجوز حذف النون من (من) و (عن) عند الألف واللام للالتقاء الساكنين، وحذفها من (من) أكثر من حذفها من (عن) ؛ لأن دخول (من في الكلام أكثر من دخول (عن) (ابن منظور،1307 هـ، 312/17)

ومنه قول ابن ميادة:

وما أنسى مِلأشياء لا أنسى قولها وادْمُعُها يُذرِين حَشْوَ المكاحِلِ.

(المرزوقي ، 1953 ،1355)

ثامناً: الفعل (استطاع) ومضارعه، في قوله تعالى: (فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نَقْباً) (الكهف 82/18) وقوله تعالى: (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صَبْراً) (الكهف 82/18) (انظر عبد التواب،1982 ،47)

ونقل رمضان عبد التواب (عبد التواب،1982 ،47) قول ابن السكيت في هذا: " ويقال: ما استطيع، وما اسطيع، وما أستيع، بعنى واحد " (ابن السكيت،1903، 49)

قول عديّ بن زيد العبادي :

ولا تَقْصِرَن عن سعى من قد ورثتَهُ فما اسطعت من خير لنفسك فازْدَدِ

(العبادي، 1965، 106)

وقول العباس بن مرداس:

تأبى رفاعة مولاها وأنفسها أن يُسلموني ولا يُسْطَاعُ ما مَنَعُوا

(ابن السكيت، 1895، 26)

وقول المرار:

ويرى دوني فلا يَسْطِيعُنى خَرْط شوك من قَتَاد مُسْمَهِرّ

(الزمخشري، 1962، 82/2)

تاسعاً: مصغر (ابن) عند إضافته الى ياء المتكلم . وهذا الحذف لازم ؛ إذ يقال دائماً: " بُنيٌّ "، وأصله: " بنيِّيٌ " (عبد التواب، 1982، 48)

عاشراً: مثال: مَيِّت، وهيِّن، وليِّن، ونحوها، إذ تخفف أحياناً ؛ فيقال مَيْت، وهَيْن، ولَيْن . وهذا معناه عند رمضان عبد التواب حذف المقطع: (yi) فراراً من تكرار الياء . (عبد التواب، 48،1982)

الحادي عشر: عبارة: أيْمُنُ الله ؛ يقال فيها: " أيْمُ الله".(عبد التواب، 1982، 48)

الثاني عشر: كلمة: لله يقال فيها: " لاهِ " ؛(عبد التواب، 1982، 48) وذلك كما في قول ذي الإصبع العدواني:

لاهِ ابن عَمِّك لا أفضلت في حسبٍ عنِّي ولا أنت ديَّاني فتخزوني

(الأصفهاني،1285 هـ،105/3 والقالي،1926، 255/1)

" اراد: لله ابن عمك، فحذف لام الجر واللام التي بعده"(الجوهري،1956، 2248/6)

الثالث عشر: الفعل المضارع إذا كان نوني الفاء وهو مسند لجماعة المتكلمين.

أشار رمضان عبد التواب إلى ورود ذلك في القرآن الكريم (عبد التواب، 1982،49) في قوله تعالى:(وكذلك نُجيٌ المؤمنين) (الأنبياء 88/21) في قراءة ابن عامر وعاصم. (الداني، 1985، 155)

الرابع عشر: مضارع وزن(أفعل) يقول رمضان عبد التواب:"وأصل كراهة، توالي الأمثال هنا في المضارع المسند إلى ضمير المتكلم؛ إذ الأصل فيه:"أؤكرم"، فصار بعد حذف أحد المقطعين المتماثلين:" أُكرِمُ "، ثم حملت باقي صيغ المضارعة على هذه الصيغة، طرداً للباب على وتيرة واحدة "(عبد التواب،1982، 50)

وقد فطن إلى ذلك أبو العباس المبرد، فقال: " أكرم يُكرم، وأحسن يُحسن. وكان الأصل يؤكرم، ويؤحسن، حتى يكون على مثال: يدحرج، لأن همزة: أكرم مزيدة الحذاء دال: دحرج، وحق المضارع أن ينتظم ما في الماضي من الحروف، ولكن حذفت هذه الهمزة ؛ لأنها زائدة وتلحقها الهمزة التي يعنى بها المتكلم نفسه، فتجتمع همزتان، فكرهوا ذلك وحذفوا إذ كانت زائدة، وصارت حروف المضارعة تابعة للهمزة التي يعنى بها المتكلم نفسه، كما حذفوا الواو التي في (يَعِد) لوقوعها بين ياء وكسرة. وصارت حروف المضارعة تابعة للياء"(المبرد،1968، 97/2 وكذلك عبد التواب، 1982 ،51)

الخامس عشر: عبارة: وعَبَدَ الطاغوت، يعرض رمضان عبد التواب لقوله تعالى: (قل هل انبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله، من لعنه الله وغضب عليه، وجعل منهم القردة الخنازير وعبد الطاغوت(المائدة 60/5) فقد عدَّ لها ابن جني عشر قراءات مختلفة(ابن جني،1386هـ، 214-216) إحداها من جهة أحمد بن يحيى ثعلب، مبنيةً على كراهة توالي المقاطع المتقاربة في المخارج والصفات، يقول:" ومن جهته [أحمد بن يحيى] أيضاً: وعبد الطاغوت، وقال: أراد عَبَدَة فحذف الهاء . قال: ويقال:عَبَدةَ الطاغوت والأوثان، ويقال للمسلمين عُبَّاد "(ابن جني،1،1386/216)

ويشير رمضان عبد التواب إلى أنَّ هذه الظاهرة لا تقتصر على العربية وحدها؛ ففي الفصيلة السامية أمثلة كثيرة لها، مثال ذلك كلمة: (ܕܪܒܐ) في اللغة السريانية بمعنى: " ليث "، أصلها: (ܕܪܒܝܐ) (عبد التواب، 1982 ،55)

ومن اللغات الأوربية مثلاً كلمة: derbeamet بمعنى: الموظف" في الألمانية؛ فأصلها: der beamtete، ومثال ذلك أيضاً الكلمة الألمانية: stipendium بمعنى: "منحة دراسية " فهي مستعارة من القرن السادس عشر الميلادي من اللاتينية: "stipendium " بمعنى: " ضريبة " أو " صرف الأجر " . وهي مركبة من اللاتينية من كلمتين، وأصلها: Stipl Pendium. الكلمة الأولى: stips بمعنى: " مساعدة مالية " أو " تبرع " والثانية: pendere بمعنى: " صرف " .(عبد التواب، 55،1982)

قانون السهولة والتيسير

ومن القوانين التي تحدث عنها رمضان عبد التواب، وقبله إبراهيم أنيس وسماها نظرية السهولة(انظر أنيس ،1961، 174) فاللغة عند عبد التواب: " تميل في

تطورها نحو السهولة والتيسير، فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة، وتستبدل بها أصواتاً أخرى، لا تتطلب مجهوداً عضلياً كبيراً، كما أنها تحاول أن تتفادى تلك التفريعات المعقدة، والأنظمة المختلفة للظاهرة الواحدة "(انظر عبد التواب، 1981، 20-21)

ولا نفهم من قول عبد التواب هذا أن اللغة تسير في تطورها نحو السهولة دائماً، بل قد تتطور الأصوات من السهولة إلى الصعوبة يقول إبراهيم أنيس: " فليس ينقض هذا القانون أن نجد أحياناً أصواتاً سهلة، تطورت إلى أصعب منها، في بعض الحالات "(أنيس، 1961، 175)

ومن الأصوات العسيرة التي حاولت اللغة التخلص منها، صوت " الهمز " وهو صوت عسير النطق، حاولت بعض القبائل العربية التخلص منه، وعلى الأخص قبائل الحجاز، كما تخلصت منه معظم اللهجات العربية الحديثة . فنطق صوت الهمز يتم بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية، ثم انفراج هذه الأوتار فجأةً، وهذه عملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير .(انظر عبد التواب، 1981، 47-48)

ويرى عبد التواب أن سقوط الهمز في غير أول الكلمة، وهو الشائع في اللهجات العربية الحديثة، وكان هو المميز للهجة قريش الجاهلية، غير أن هذا التسهيل، قد امتد إلى الهمزة في أول الكلمة ومثاله في العاميات الحديثة: " باط " في " أباط " و " دان " في " آذان " و " سنان " في " أسنان " و " سبوع " في " أسبوع، وبراهيم " وسماعين في إبراهيم وإسماعيل(انظر عبد التواب، 1981، 48)

ويروى ابن الأنباري شيئاً من هذه في العربية القديمة، فقال: " ويقال أرات الرجل وأروأته وأريته، فمن قال: أراته، لين الهمزة، ومن قال: أرديته انتقل عن الهمزة، شبه أرديت بأرضيت ومثل هذا قول العرب: قرأت بتخفيف الهمز، وقرات بتليين الهمزة، وقريت بترك الهمز ولانتقال عنه إلي التشبيه بقضيت ورميت، وكذلك يقال اقرأ رقعتي بالتحقيق، واقرا رقعتي بالتليين، واقرا رقعتي بالترك وهو أقل الثلاثة ".(ابن الأنباري،1987 ، 208 وابن جني ، 1956 153/3)

ومن ظواهر السهولة والتيسير التي يتحدث عنها رمضان عبد التواب ما سماه بانكماش " الأصوات المركبة " المسماة باللاتينية: Diphthong فتحول الصوت المركب" " aw " إلى ضمة طويلة ممالة(ō) في مثل نطقنا لكلمة:يُوم " و "

نُوم " و "صُوم " بدلاً من: " يَوْم " و " نَوْم" و " صَوْم " . وكذلك تحول الصوت المركب: "ay" إلى كسرة طويلة ممالة(ē) في مثل نطقنا لكلمة: " بِيت " و " لِيل " و " عِين " بدلاً من " بَيْت " و " لَيْل " و " عَيْن – كل ذلك شبه إيثار اللغة الانتقال من العسير إلى اليسير من الأصوات(انظر عبد التواب، 1981، 50)

ويشير رمضان عبد التواب إلى قدم هذا التطور في الأصوات المركبة فقد حدث في عصور العربية الأولى على ألسنة العامة من مثل ما ورد في لاح المنطق نقول الكَوْسج ولا تقل الكُوسج .(ابن السكيت، 1970، 162)

ومن الممكن أن تتطور هذه الحركة الممالة الناتجة في الصوت المركب فتصير فتحة طويلة فمثلاً كلمة: فأين تطورت بعد سقوط الهمز منها إلى: " فين " بدلاً من": فَيْن " حتى تطورت إلى ما ينطقها عليه أهالي صعيد مصر بالفتح الخالص فيقولون: " فان، بدلاً من " فين " الشائعة في مصر أي أن التطور في هذا الصوت المركب كان على النحو التالي: (انظر عبد التواب، 1981، 51)

ay ← ē ← ā

ويفسر رمضان عبد التواب من خلال، قانون الانكماش، كثيراً من الشواهد العربية التي رويت مخالفة للقاعدة النحوية منها:(انظر عبد التواب، 1981، 51-52)

لزوم الألف في لغة بني الحارث من فعل قولهم: أخذت الدرهمان واشتريت الثوبان، والسلام علاكم .(أبو زيد،1894 ، 58)

ومنها قراءة نافع وابن عامر والكوفيون إلا حفصاً قوله تعالى(إنَّ هذان لساحران) ووافق في ذلك الحارثين، بنوا الهجيم، وبنو العنبر ومن قول الشاعر:

تزوَّدَ منا بين أذناه ضربة دعته إلى هابي التراب عقيم

(المبرد ،1968، 90/1)

فهذا كله يراه رمضان عبد التواب، نتيجة لانكماش الصوت المركب، وتحول الحركة الممالة الناتجة عن هذا الانكماش، إلى فتحة خالصة .

الحذلقة أو المبالغة في التفصُّح

الحذلقة أو المبالغة في التفصُّح والتقعر في الكلام، جاءت هذه الاصطلاحات في نظر رمضان عبد التواب، بسبب الحرص الشديد على محاكاة اللغة الأدبية فمن لا يجيدها، فهو يحاول أن يرد العامية التي يتحدث بها، إلى نمط اللغة الأدبية، وهو في

محاولته هذه لا يفرق بين الظواهر الجديدة والقديمة في العامية، فإذا ردَّ كلمة جديدة إلى أصلها القديم أصاب، أمَّا إذا فعل مثل ذلك مع الكلمات، التي احتفظت بالأصل القديم وشابهت مع ذلك الجديد، فإنه يكون عندها متقعراً ومتحذلقاً (انظر عبد التواب، 1981 ،79)

ويمثل عبد التواب لذلك بأن الصوت المركب (aw) مثلاً في العربية الفصحى، يقابله في العامية حركة الضم الممالة (ō) فكلمة " صُوم "

<awm < <om ṣawm < ṣōm<

في العامية يقابلها في الفصحى (صَوْم) وكلمة (عُوم) يقابلها في الفصحى (عَوْم) فإذا رَدَّ المتحدِّثُ هذه الكلمات إلى أصولها في الفصحى، كان مصيباً ولكن تكون الحنلقة والمبالغة في التفصح حين يحاول المتفصِّحُ أن يَرُدَّ كلماتٍ لها في الفصحى صورةُ (ṭūm)، و"حَوْت ".(ḥūt) فيقول المتفصح(ثَوم)(ṯawm)، و " حَوْت " "ḥawt" . (انظر عبد التواب، 1981 ،79)

وسَمَّى فندريس هذه الظاهرة : " الإسراف في المدنية " و " المبالغة " في المدنية " و " الغلو في مراعاة الصحة " (انظر فندريس ،1950 ،80)

ويروي لنا الدكتور رمضان عدداً كبيراً من الأمثلة على هذه الظاهرة ومنها تسابق العرب في الهمز، بعد أن صار الهمز شعار العربية الفصحى، فأدىَّ ذلك الهمز إلى همز ما ليس أصله الهمز، مبالغة في التفصح ؛ لأنه إذا كانت : " فقأت عينه " فصيحة و " فقيت " غير فصيحة، فإنه لا مانع من تحول : " حلَّيت السويق " و " " لبيت بالحج " الى : حَلأَّت ولبأت " . عن طريق القياس الخاطئ مبالغة في التفصح (انظر عبد التواب، 1981،81) ؛ ولذلك عقد ابن السكيت فصلاً بعنوان : "ما همزته العرب وليس أصله الهمز " (ابن السكيت ،1970 ،158)

ويشير رمضان عبد التواب إلي ما سمَّاه، (عقدة الحجازيين في صوت الهمز) فقد توهموا في الأمثلة، التي يوجد في مكان منها، واو أو ياء أنهما ناتجتان، عن الانزلاق بينَ حركتين (hiatus) بعد سقوط الهمزة في نقطهم، ولذلك زادوا في هذه الأمثلة همزات غير أصلية فيها من باب الحنلقة والمبالغة في التفصح . (انظر عبد التواب، 1981 ،81-82)

أما في عصرنا الحالي، فيروي لنا رمضان عبد التواب، عن اللهجة المصرية، وعن حرص الشديد، همزاتها كلُّها أصلية، ولكنها تكتب من قبل المتفصحين من أهلها على ردِّ الهمزة إلى أصلها، وما يُجرُّ هذا، في بعض الأحيان إلى قلب الهمزات الأصلية إلى قاف، بسبب الجري وراءَ الحنلقةِ والتقعر في الكلام ؛ فالكلمات : " أرَم " بمعنى "

عَضَّ " و " علأة " وأصلها " حَلأة " بمعنى الضرب كتاب المسرحية والقصة في مصر بالقاف،: قرم " و " علقة " مبالغة في التفصح .(انظر عبد التواب، 1981 ،84)

الاشتقاق الشعبي

يعرف رمضان عبد التواب هذا القانون، بأنه:المفهوم الشعبي عند العامة لكلمة من الكلمات، بربطها بكلمة أخرى شائعة، ولظن بأنها مشتقة من هذه الكلمـــة (انظر عبد التواب، 1981 ،106) وقد عَبَّر عن ذلك ماريو باي بقوله:" الخطة التي عن طريقها يخلق عقل الجماعة علاقة مزيفة، وإن كانت مستحسنة بين كلمتين "(ماريوباي ،1973 ،159)

وهذا القانون قريب من قانون الفصل الخاطئ، الذي عرضناه قبل ذلك والقاعدة في قانون الاشتقاق الشعبي، كما ينقلها رمضان عبد التواب (انظر عبد التواب، 1981 ،106) عن اولمان، هي أن الكلمات النادرة الوقوع، أو الكلمات الأجنبية، هي التي تتعرض بصفة خاصَّة، لسوء الفهم وللربط الخاطئ، ببعض المفردات اللغة القومية. (أولمان،1986 ،92)

ومن الأمثلة التي يضربها رمضان عبد التواب: " ربط المتحدثين بالعربية، بين " الحانوتي " و " الحانوت "، ولا علاقة بين من يجهز الموتى للغسل والدفن، وكلمة: " الحانوت "، وإنما هو منسوب إلى : " الحَنوُط "، وهو نوع من الطيب يخلط للميت خاصَّة، فالنسب إليه : " حَنُوطي " غير أن اشتباه هذه الكلمة صوتياً بكلمة : " حانوت " هو الذي أدى إلى هذا الاشتقاق الشعبي " (انظر عبد التواب، 1981 ،106-107)

ومثل ذلك ما يرويه رمضان عبد التواب عن بعض الوراقين، أن العامة ينطقون كلمة : " بروفسور " : " بوفيصل " وهذا مما يدخل تحت الاشتقاق الشعبي . (انظر عبد التواب، 1981 ،107)

الفصل الخاطئ

ويعرف الدكتور رمضان هذا القانون، بأنه إلصاق بعض الأدوات كحروف العطف والجر التي صارت على حرفٍ واحدٍ ، بالكلمات المجاورة لها، إلصاقاً شديداً، يؤدي إلى التباس الأمر على السامع، فيظن أن الأداة مع ما دخلت عليه، كلمة واحدة، ويستعملها بشكلها الجديد الذي صنعه هو بخياله، وهو بهذا يفصل بين مكونات الجملة بطريقة غير صحيحة ويسمي عمله هذا : الفصل الخاطئ (falsche Trennung (انظر عبد التواب، 1981 ،103)

ومن أمثلة هذا الفصل الخاطئ، ما يضربه الدكتور رمضان من قول العامة : " عقبال عندكم "، بدلاً من "عقبى لكم "، فقد اقتطع العامة اللام الجارة، وضموها إلى كلمة " "عقبى " فصارت : " عقبال " (انظر عبد التواب، 1981 ،103)

أمَّا الفصحى فيقول رمضان عبد التواب : " وأغلب الظن أن ذلك قد حدث في العربية الفصحى في كلمة : " مالٌ "، وأن أصلها مركَّبٌ، من " ما " الموصولة، واللام الجارة في مثل : " مالي " بمعنى : " الذي لي "، فاقتطعت اللام، وضمت إلى " ما " فصارت " " مالِ " (انظر عبد التواب، 1981 ،103)

ويشير رمضان عبد التواب إلىَ أن ظاهرة الفصل الخاطئ، تخضع لها كلُّ اللغات على سواء، ويستشهد الدكتور رمضان بقول أولمان الذي يقول : " وقد يؤدي الخطأ في تحليل الكلمات، إلى نزع صوت من كلمة، وإضافته إلى كلمة أخرى تجاورها مباشرة، وهذا ظاهر في أداة التنكير في اللغة الإنجليزية، حيث تتعرض هذه الأداة بصفة خاصة، لهذا النوع من التحليل، مثال ذلك:an apron(= مئزر) التي تطورت عن(anapron)وهي في اللغة الفرنسية القديمة:(naperon)و(an auger) (= منقب) التي ترجع إلى:(a nauger) وفي كل هذه الأمثلة السابقة، نلاحظ أن الصوت :(n)في أول الكلمة التالية لأداة التنكير، قد عومل على أنـــه جـــزء من الأداة ...) (أولمان، 1986 ،53وانظر عبد التواب ،1981، 104-105)

أخطاء السمع

يدور هذا القانون، في رأي رمضان عبد التواب، حول الانقلابات الصوتية التي تحدث نتيجة لأخطاء السمع، ذلك أن حاسة السمع عرضة للزلل في إدراكها للأصوات، ولا سيما تلك الأصوات المتقاربة في المخارج، ولا يقصر رمضان هذه الأخطاء على الأطفال إذ قد يخطئ الشخص البالغ كذلك يقول رمضان عبد التواب : " أذكر أننا كنا نكتب وراءَ ممل "، ينطق بكلمة : " شعث " فكتبها بعضنا : " شعف " بالفاء، لا بالثاء " (انظر عبد التواب، 1981 ،109)

ويرجع الدكتور رمضان إلى هذا القانون، ما سُمي في اللغة العربية بـــ "تعاقب الأصوات " (انظر عبد التواب، 1981 ،109) والذي تحدث عنه العلماء العرب القدماء، فعقد القالي في كتابه الأمالي فصلاً للكلمات التي تتعاقب فيها الفاء والثاء، ومثل لذلك بـــ: "جرف" و" جَدَث" " للقبر، و"الحثالة "و" الحفالة "(القالي ،1926 هـــ ،34/2) كما عقد القالي فصلاً للكلمات التي تتعاقب فيها الميم والباء مثل : " قحمة " و " قحبة " للمرأة العجوز، وأصابتنا " أزمة " و " أزبة " (انظر : القالي ، 1926 ،53/2)

فهذا كلُّه في رأي رمضان عبد التواب، نشأ من الأخطاء السمعية، لشدَّة تقارب هذه الأصوات، وعدم وضوح الفرق بينها في السمع تماماً .

العادات اللغوية للشعوب

ومن القوانين الصوتية التي تحدث عنها رمضان عبد التواب : " العادات اللغوية للشعوب، (substrate) (انظر عبد التواب، 1981 ،85)

فقد لاحظ علماء اللغة بأن : " الشعب الذي يتخذ لغة جديدة، يطبق عليها أحياناً عوائد النطق في اللغة التي تركها ". (فندريس ،82،1950)

ويروي رمضان عبد التواب (انظر عبد التواب، 1981 ،85)، ملاحظة الجاحظ لهذه الظاهرة والتي سمَّاها باللَّكنة، يقول الجاحظ : " ويقال : في لسانة لكنه، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول . (الجاحظ ،1950 ،1/39-40)

وينقل رمضان عبد التواب أمثلة عن الجاحظ، يظهر فيها أثر العادات اللغوية للشعوب، التي اعتنقت الإسلام، على نطقهم العربية ، فقال مثلاً : " الا ترى أن السندي إذا جلب كبيراً، فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً ولو أقام في عليا تميم، وفي سفل قيس، وبين عجز هوزان، خمسين عاماً، وكذلك النبطي الحُّ، خلاف المِغلاق الذي نشأ في بلاد النبط، لأن النبطي القُحَّ، يجعل الزاي سيناً، فإذا أراد أن يقول : زَوْرق، قال سورق ويجعل العين همزة، فإذا أراد أن يقول : مشمعلّ، قال : مشمئل " (الجاحظ ،1950 ،70/1 وكذلك عبد التواب 1981 ،85)

وقد درس إبراهيم أنيس هذا القانون تحت ما سَمَّاه " أثر العادات الصوتية في تَعلُّم اللغات الأجنبية . (انظر أنيس ،1961، 49)

قانون الأصوات الحنكية

يقول رمضان عبد التواب: " وصل العلماء في مقارنتهم اللغة السنسكريتية باللغتين اليونانية واللاتينية، في أواخر القرن التاسع عشر، إلى قانون صوتي سَمَّوه: " قانون الأصوات الحنكية " ولاحظوا أن أصوات أقصى الحنك، كالكاف والجيم الخالية من التعطيش، كالجيم القاهرية مثلاً تميل بمخرجها إلى نظائرها من الأصوات الأمامية، حين تليها في النطق حركة أمامية كالكسرة، لأن هذه الحركة

الأمامية في مثل هذه الحالة، تجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك، فتتقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك، ويغلب أن تكون هذه الأصوات الجديدة من النوع المزدوج، أي الجامع بين الشدة والرخـــاوة، وهـــو ما يُسمَّـــى باللاتينيـــة(Affricata)(عبد التواب، 1981 ،92)

ومن الأصوات التي خضعت في نظره لهذا القانون في العربية: صوت الجيم، يقول: " فإن مقارنة اللغات السامية كلها، تشير إلى أن النطق الأصلي لهذا الصوت، كان بغير تعطيش كالجيم القاهرية تماماً . فكلمة: " جمل " مثـــلاً، هي فـــي العبرية: (gāmāL 𐤂𐤌𐤋) وفي الآراميـــــة: (gamla)، وفـــي الحبشية (gamal ግመል) أما في العربية الفصحى، فقد تحول فيها نطق هذا الصوت من الطبق إلى الغار، أي من أقصى الحنك إلى أوسطه، كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج، يبدأ بدال من الغار ثم ينتهي شين مجهورة، غير أن ذلك لم يحدث في البداية في كلِّ جيم، وإنما كان يقتصر على الجيم المكسورة، تبعاً لقانون الأصوات الحنكية، ثم عمم القياس هذا النطق الجديد في كلِّ جيم، طرداً للباب على وتيرة واحدة، وقد حدث ذلك في العربية القديمة، في العصور السابقة لظهور الإسلام، وصار هو النطق المميز للفصحى ؛ ولذلك جاء به القرآن الكريم، وبقي النطق البائد في بعض اللهجات العربية القديمة، وامتداداتها في بعض اللهجات الحديثة. (عبد التواب، 1981 ،92-93)

ويرى رمضان عبد التواب أن ما حدث لصوت الجيم القديم في الفصحى، حدث مثله لصوت الكاف في بعض اللهجات القديمة، ومثل ذلك ما حدث في ظاهرتي " الكسكسة " و " الكشكشة " اللتين رويتا لنا عن بعض القبائل القديمة كبكر وهوازان وربيعة وأسد " (انظرعبد التواب، 1981 ،93)

وقد وقفت هذه الظاهرة عنده في القديم، عند حدود قانون الأصوات الحنكية، أي أن الكاف لم تقلب الى: (تس) في الكسكسة، ولا الى (تش) في الكشكشة، إلا إذا كانت مكسورة ويضيف قائلاً: " ندرك هذا في تقييد اللغويين القدماء لها بكاف المؤنثة، وهي مكسورة كما نعلم، وإن كانت أمثلتهم تحتوي على كافات أخرى مكسورة، سوى كاف المؤنثة كقول الراجز:

إن دنوتِ جعلتْ تُنئيش

وإن نأيت جعلت تُدنيشَ

وإن تكلمت حثتْ في فيشِ

حتى تتقّى كنقيق الدّيش. أي تنئيك وتدنيك، وفيك، والديّك . (ثعلب،1960، 116/1) (البغـــدادي،1299هـ،594/4)

أما اللهجات العربية الحديثة، فيرى أنها قد طردت هذا القلب في كلّ كاف عن طريق القياس، مكسورة كانت هذه الكاف، أو غير مكسورة، ففي بلاد نجد نسمعهم يقولون: " تْسيف حالك " و " على تْسَم ؟ " في " كيف حالك ؟ " و " على كم ؟ " كما نسمع عند أصحاب الكشكشة، وهم كثيرون في جنوبي العراق، وبلدان الخليج وشمالي افريقيان: " تْشبير " و " تشلب " في " كبير و " كلب " وما إلى ذلك. (عبد التواب، 1981 ،93)

ويرى رمضان عبد التواب أن الأصوات المزدوجة، تميل في تطورها بعد ذلك؛ إلى أن تنحلّ إلى أحد الصوتين المكونين لها، كما حدث مع صوت الجيم في اللهجات الحديثة وانحلاله أحياناً إلى الدال وأحياناً إلى شين مجهورة (عبد التواب،1981 ،94)

النبر والتنغيم

يرى رمضان عبد التواب أن النبر(Stress) (Accent)، هو ميل الإنسان في العادة إلى الضغط على مقطع خاص في كلمة ؛ ليجعله بارزاً أوضح في السمع مما عداه من مقاطع الكلمة. (انظر عبد التواب، 1997، 103)

ويعرفه الدكتور تمام حسان بأنه : " وضوح نسبي لصوت أو مقطع، إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام " (حسّان ،1979 ،194). ويقـــول الدكتور كمال بشر : "معنى هذا أن المقاطع تتفاوت فيما بينها في النطق قوة وضعفاً، فالصوت أو المقطع المنبور، ينطق ببذل طاقة أكثر نسبياً، ويتطلب من أعضاء النطق مجهوداً أشد " (بشر ،1970 ،210)

ويشير رمضان عبد التواب الى قضية الخلاف حول وجود النبر في العربية الفصحى، ومكانه في الكلمة. (عبد التواب، 1997، 103)، فبينما يقول بروكلمان، بدخول نوع من النبر في اللغة العربية القديمة، تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها، حتى يقابل مقطعاً

طويلاً، فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطعٌ طويل فإن النبر يقع على المقطع الأول فيها . (انظر بروكلمان ،1977، 45)

أما برجشتراسر فيخالف بروكلمان في وجود مثل هذا النبر في العربية الفصيحة وإن أثبته للهجات العربية الدارجة يقول : " إنه لا نصٌّ نستند عليه في إجابة مسألة كيف كان حال العربية الفصحى في هذا الشأن، ومما يتضح من اللغة نفسها – ومن وزن شعرها، أن الضغط لم يوجد فيها، أو لم يكد يوجد، وذلك أن اللغة الضاغطة يكثر فيها حذف الحركات غير المضغوطة، وتقصيرها، وتضعيفها، ومد الحركات المضغوطة وقد رأينا أن كلَّ ذلك نادر في اللغة العربية . وإذا نظرنا إلى اللهجات العربية الدراجة، وجدنا فيها كلها – فيما أعرف – الضغط، وهو في بعضها قوى، وفي بعضها متوسط، غير أنها تتخالف في موضعه من الكلمة في كثير من الحالات ؛ فمن المعلوم أن المصريين يضغطون في مثل : (مطبعة) المقطع الثاني وغيرهم يضغطون الأول، فلو أن الضغط كان قوياً في الزمان العتيق، لكانت اللهجات – على أغلب الاحتمال – حافظت على موضعه من الكلمة، ولم تنقله إلى مقطع آخر ". (برجشتراسر، 1994، 46)

ويشكُّ رمضان عبد التواب في ذلك الذي قاله برجشتراسر فيقول : " أما أنه ليس لدينا نصٌّ، نستند إليه في معرفة حالة النبر في العربية القديمة، فهذا صحيح، وأما أن العربية لم تكن تنبر، فإننا نشكُّ في ذلك الذي قاله برجشتراسر، وهو يُغْفِلُ في كلامه التطور اللغوي، وتأثير الشعوب المختلفة، التي غزتها العربيةُ، بعاداتها القديمة في النبر، وأثر ذلك في اختلاف موضعه من الكلمة، كما يبدو لنا الآن، في تعدد طرق النبر في مثل كلمة: " مطبعة ".(عبد التواب، 1997، 104)

ويتفق إبراهيم أنيس مع برجشتراسر في أنه ليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربية، في عصورها الإسلامية الأولى، إذ لم يتعرض له أحدٌ من المؤلفين القدماء. (انظر أنيس، 1961، 104)

ويرى رمضان عبد التواب، بأنه على الرغم من عدم دراسة قدامى اللغويين العرب " للنبر " بمعنى الضغط، فإن بعضهم قد لاحظ أثره في تطويل بعض الحركات في الكلمة(عبد التواب ، 1997 ،105) وقد سمَّاه ابن جني: " مَطْل

الحركات"؛ فيقول مثلاً : " وحكى الفراء عنهم : أكلت لحما شاة، أراد : لَحمَ شاة، فمطل الفتحة، فأنشأ عنها ألفاً ".(ابن جني، 1956، 123/3، 129/3)

أما التنغيم فهو عند رمضان عبد التواب : " رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة، كنطقنا الجملة مثل : " لا يا شيخ " للدلالة على النفي، أو التهكم أو الاستفهام، وغير ذلك. وهو الذي يفرق بين الجمل الاستفهامية والخبرية، في مثل : " شُفْت أخوك " فإنك تلاحظ نغمة الصوت تختلف في نطقها للاستفهام، عنها في نطقها للإخبار ". (عبد التواب، 1997، 106)

وفي رأي رمضان عبد التواب أن القدماء لم يعالجوا شيئاً من التنغيم ولم يعرفوا كنههُ . ولا نجد عندهم إلا بعض الإشارات حول آثار التنغيم في الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة ؛ وكان ابن جني أحـــد الذين التفتوا إلى ذلك، حين يقول: وقد حُذفت الصفة ودلَّت الحال عليها ؛ وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : "سير عليه ليل، وهم يريدون : ليل طويل . وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة، لما دلَّ من الحال على موضعها . وذلك أنَّك تُحس في كلام القائل لذلك، من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك .

" وأنت تحسُّ هذا من نفسك إذا تأملته ؛ وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول : كان والله رجلاً ! فتزيد في قوة اللفظ (الله) هذه الكلمة، وتتمكن من تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلاً فاضلاً، أو شجاعاً، أو كريماً أو نحو ذلك . وكذلك تقول : سألناه فوجدناه انساناً ! وتمكـــن الصوت بإنســـان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وضعه بقولك : إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك . وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت : سألناه وكان إنساناً ! وتزوي وجهك وتغطيه، فيغني ذلك عن قولك : إنساناً لئيماً، أو لَحزاً أو مبخَّلاً، أو نحو ذلك ".(ابن جني ، 1956، 370/2-371)

انتقال النبر

يقول رمضان عبد التواب : " حين يتحدث الإنسان بلغته، يميل في العادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة، فيجعله بارزاً أوضح في السمع، مما عداه من

مقاطع الكلمة، وهذا الضغط هو الذي يسميه المحدثون من اللغويين بـــ " النبر " (Akzent) (انظر عبد التواب، 1981، 87)

وقد أدرج إبراهيم أنيس هذا القانون تحت قوانينه، ولكنه لم يطل الحديث فيه(انظر أنيس، 1961، 186)

ويقدم الدكتور رمضان عبد التواب للحديث عن هذا القانون، بحديثه عن النبر وعن وجوده في العربية الفصحى، وينقل عدداً من آراء العلماء (انظر برجشتراسر، 1994، 72-73 وانظر كذلك أنيس، 1961، 118-123)، الذين تحدثوا عن النبر لا يعنينا سردها في هذا الموضع ويغنينا حديثه عن هذا القانون الصوتي وعن أثره في التطور اللغوي . (انظر عبد التواب، 1981، 87)

ولا بُدَّ قبل أن نبدأ في تأثير انتقال النبر، أن نحدّد مواضع النبر، يقول إبراهيم أنيس: " ينظر أولاً إلى المقطع الأخير، فإن كان من النوعين الرابع والخامس، كان هو موضع النبر، وإلا نظر إلى المقطع الذي قبل الأخير، فإن كان من النوع الثاني أو الثالث، حكمنا بأنه موضع النبر، أما إذا كان من النوع الأول، نظر إلى ما قبله، فإن كان مثله، أي من النوع الأول أيضاً، كان النبر على هذا المقطع الثالث، حين نعد من آخر الكلمة . ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعدُّ من الآخر، إلا في حالة واحدة وهي أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخيرة، من النوع الأول "
(أنيس، 1961، 121)

وينقل الدكتور رمضان عبد التواب عَدَداً من أمثلة إبراهيم أنيس يقول عبد التواب: " فالنبر يقع على المقطع الأخير في مثل : " نستعين " و " ذاكرْت "، وعلى المقطعِّ قبل الأخير في مثل :" تَعلَّم " و " يعادي " و " قاتل " و " يكتب " وكما يقع على المقطع الثالث من الأخير في مثل ": كَتَبَ " و " اجْتَمَع "، وعلى المقطع الرابع من الآخر في مثل : " بَلَحَة " و " سَمَكةٌ " (انظر عبد التواب، 1981،89 نقلاً عن أنيس، 1961،120-121)

ولتغير مواضع النبر، أو انتقال النبر كما يسميه رمضان عبد التواب أثر في صيغِ الكلماتِ، وسقوط بعض أصوات الكلمة، أو طول الحركات وغير ذلك .
(انظر عبد التواب، 1981،89)

ويضرب الدكتور رمضان مثالاً على ذلك أن: " من طبيعة العربية الفصحى، أن تقصر الحركة الطويلة في المقطع المفتوح، إذا كان يسبق مقطعاً آخر منبوراً ذا حركة طويلة، فأصل مصدر " فاعل " في العربية القديمة، هو : " فيعال " ينبر المقطع الثاني، وقد ترتب على خلو المقطع الأول من النبر، أن قصرت حركته، فصار المصدر " فِعَال "، مثل : " قاتل، قتالاً " بدلاً من : " قائل، قيتالاً " (انظر عبد التواب، 1981، 89)

وينقل الدكتور رمضان عبد التواب، بعض الأمثلة عن نبر المقطع الأول من الكلمة، ومثاله ما ورد عن أهل الأندلس، فقد روى عنهم ابن حَزم الأندلسي، أنهم كانوا يقولون : " العينب " بدلاً من العنب (انظر ابن حزم ، د.ت،30/1)

كما روى عنهم ابن هشام اللخمي قولهم : " سر في داعة الله " بدلاً من " دعة الله " وكذلك : " باعوضة في " بعوضة " و " عامود في عمود ".

(نقلاً عن عبد التواب ،1999، 278)

وغير ذلك أمثلة كثيرة ، يضعها رمضان عبد التواب تحت باب " انتقال النبر "

(انظر عبد التواب، 89،1981-91)

وبهذا القانون يمكن تفسير سقوط الفتحة، قبل تـــاء التأنيث في بعض المؤنثات في اللغات السامية، مثل : " أُخْت " وبنت وأصلُها " أُخَت " وبِنَت "، ومثل " rest ( ) بمعنى : " ميراث " و (habt) ( ) بمعنى " هبة " في الحبشية، إذ الأصل فيهما: resat، habat (انظر عبد التواب، 91،1981)

التغييرات التاريخية للأصوات

يَقْسمُ رمضان عبد التواب التغيرات الصوتية قسمين تغيرات تاريخية وتغيرات تركيبية .(انظر عبد التواب، 1981، 17)

أما التغيرات التاريخية: فهي تلك التغيرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة، بحيث يصير الصوت اللغوي، في جميع سياقاته صوتاً آخر.(انظر عبد التواب، 1981، 17)

ومن الأصوات التي يعرض رمضان عبد التواب تغييراتها التاريخية:

الباء المهموسة(P) فقد تطور في اللغة السامية الأم إلى(فاء) في اللغات السامية الجنوبية، وهي العربية والحبشية، وقد بقى الأصل كما هو، في اللغات الساميـــة الشمالية، وهي: العبرية والآرامية والآكاديـــــة، مثال ذلـــك كلمة: pōl ( ) في العبريـــــة، التـــي صارت في العربية: "فول" وفـــي الحبشية:faL( ).(انظر عبد التواب، 1981، 17)

صوت الجيم: ويرى رمضان عبد التواب في هذا الصوت مثالاً طيباً للتغييرات التاريخية في الأصوات، فمن خلال مقارنات اللغات السامية كلِّها نتبين أن للنطق الأصلي لهذا الصوت بغير تعطيش، كالجيم القاهرية تماماً ؛ فكلمة: "

جمل " مثلاً، هي في اللغة العبرية(gamāl)(𐤂𐤌𐤋) وفي الآرامية: gamalā(𐡂𐡌𐡋𐡀) وفي الحبشية: gamal(ግመል).(انظر عبد التواب، 1981، 18)

وفي العربية الفصحى تحوّل نطق هذا الصوت،من الطبق إلى الغار، أي من أقصى الحنك إلى أوسطه كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج يبدأ بدال من الغار، ثم ينتهي بشين مجهورة.(انظر عبد التواب، 1981، 18)

وقد مرَّ صوت الجيم بثلاثة تغييرات تاريخية:

أولاً: نطقه كالدال في صعيد مصر، فترى أهالي مدينة " جَرْجا " مثلاً يسمون مدينتهم " دردا " كما يقولون: " دمل " و " داموسة " في " عجل " و " جاموسة " وغير ذلك.(انظر عبد التواب، 1981، 18-19)

ويبدو أن انحلال الجيم العربية الفصحى، الى دال حدث منذُ وقت مبكر في اللهجات العربية.(انظر عبد التواب، 1981، 19)

فقد ذكر ابن مكي الصقلي . أن الناس في عصره كانوا يقولون " دشيش " في " حشيش ".(انظر عبد التواب، 1981، 206)

ومثل ذلك رواه أبو بكر الزبيدي عن عوام الأندلس.(انظر الزبيدي، 1964، 20)

كما ذكر ابن هشام اللخمي إلى جانب هذه الكلمة كذلك " تدشيت " في: "تجشأت".(انظر عبد التواب، 1999، 241)

ثانياً: وانحلالها إلى الشين المجهورة، وقد ضاع منها الجهر فصارت شيناً مهموسة، كالشين الأصلية في العربية وهذا الانحلال أقدم من انحلالها إلى دال(انظر عبد التواب، 1981، 19)

وقد رُوي عن قبلية تميم أنهم كانوا يقولون في المثل: " شرما أشاءك إلى مُخَّة" عُرقوب(انظر الفراء، 2،1955/164)، بدلاً من " أجاءك" أي ألجأك، وقال زهير ابن ذؤيب العدوي:

فيالَ تميم صابروا قد أُشئتمُ إليه وكونوا كالمحربة البُسلِ

(الجوهري، ، 1956 59/1)

كما قال الراجز:

إذ ذاك إذ حبلُ الوصال مُدْ مش.(ابن جني،1،1954/215)

أي:(قد أُجئتم) بمعنى: " أُلجئتم) و " مدمج "

وتروى لنا كتب لحن العامة بعض أمثلة هذه الظاهرة، عبر عصور العربية ؛ فقد رووا لنا مثلاً: " اشترت الدابّة " في " اجترت " و " فلان مشتهد " في: " مجتهد " و " اشترأ على" فلان " في " اجترأ علية " و " وشخ الصبي " في " جخَّ " و " فشر " في فَجَرَ " و " وش " في " وجه " وغير ذلك(عبد التواب، 1999، 206، 241، 315، 335)

ثالثاً: تحولها إلى " ياء "، وقد حدث هذا في لهجة تميم فقد رُوي أن بني تميم يقولون في: " الصهريج " وفي جمعه: " الصهاريج" وهو الذي يجتمع فيها الماء: " الصهري والصهاري، كما روى أبو زيد أن بعض بني تميم قال: " شيرة " للشجرة، وعلى ذلك أنشدت أمُّ الهيثم:

إذا لم يكن فيكنَّ ظل ولا جنى فأبعد كنَّ الله من شيرات

(ابن السكيت ، 1903 ، 29)

تريد " شجرات " .

" وهذه الظاهرة تشيع في عصرنا الحاضر، في بعض قرى جنوبي العراق، وبعض بلدان الخليج العربي، إذ يقولون في " مسجد " مثلاً " " مسيد " وفي " دجاج " " دياي " وغير ذلك .(انظر عبد التواب، 1983، 113)

صوت القاف

ومن الأصوات التي طالتها التغيرات التاريخية صوت القاف، ومقارنة اللغات السامية تدل على أنه صوت شديد مهموس، ينطق برفع مؤخرة اللسان، والتصاقها باللهاة لكي ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق ثم يزول هذا السدُّ فجأة، مع عدم حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية، ففي العبرية، مثلاً(kōI)(קוֹל) بمعنى "صوت " وفي الآرامية (ḳdām) (صدٰא) بمعنى " قُدَّام " وفي الحبشية(ḳōma) (ΦΠΠ) بمعنى " قام " وفي الآكادية:(Pakad) بمعنى "بَحَثَ" وهذا النطق المهموس، هو الذي نسمعه الآن من أفواه مجيدي القراءات القرآنية في مصر .(انظر عبد التواب، 1981، 20-21)

وإن صدق وصف اللغويين القدماء: لـــ " القاف " عندما عدوه من الأصوات المجهورة، كان ذلك من التغييرات التاريخية في العربية القديمة، والتي بقيت حتى وقتنا الحاضر في أغلب البوادي العربية.(انظر عبد التواب، 1981، 21)

ويأتي رمضان عبد التواب على ذكر كثير من التطورات التي طرأت على هذا الصوت: " فهو في كلام كثير من أهل مصر والشام: " همزة " وقد رُوى لنا في القديم مثل هذا في كلمة: " القَفْر " و " الأفز ".(انظر أبو الطيب، 1960، 562/2) كما ينطق في السودان وجنوبي العراق " غيناً "، فنسمعهم يتحدثون عن " الاستغلال "، وهم يقصدون بذلك " الاستقلال، وفي لهجة مصر كلمتان من هذه الظاهرة هما: "ويُغرِّرُ " ومشتقاتها، بدلاً من: " يقرر " و " زغْزغ " بمعنى: حرك يده في حاصرة الصبي ليضحكه، ولها صلة بالزقزقة " المرويـــة لنـــا عن العرب ترقيص الطفل . كما ينطق صوت القاف صوتاً مزدوجاً كالجيـــم الفصيحـــة، فـــي بعض بلـــدان الخليج كالبحرين ؛ إذ يقولون مثلاً: " الجبلة " بدلاً من " القبلة "، كما نسمعها في مدينة الرياض صوتاً مزدوجاً كذلك غير أنه مكوَّن من الدال والزاي(dz) في مثل: "دزبلة " في " قبلة "، و " الموزيبرة " في المقيبرة " و " دزليب " في: " قليب "بمعنى: " البئر " وغير ذلك . وهناك أخيراً تطور للقاف، لدى كثير من الفلسطينيين، بنطقها كالكاف، فهم يقولون مثلاً: " كال " في " قال و " كَتَلَهُ " في " قتلهُ " وغير ذلك.(انظر عبد التواب، 1981، -21)

ظاهرة الهمز

يعالج رمضان عبد التواب مشكلة الهمزة في كتاب سمَّاه " مشكلة الهمزة العربية، ويشير إلى فضل هذا الكتاب، في الكشف عن أنواع كثيرة من نطق الهمزة في الجزيرة العربية القديمة، وصل الى سبعة أنواع لا تجدها مجتمعة إلا

في كتابه هذا، وقد كان الإطار العام لهذا الكشف، هو البحث عن تاريخ الخط العربي، وأصوله التي اشتق منها، وتطور الكتابة بهذا عبر العصور.(انظر عبد التواب، 1996، 5)

ويفتخر بكتابه هذا أيما فخر، ويرى أنه محاولة للكشف عن السر في كتابة بعض الكلمات بالهمز، وهي في الأصل غير مهموزة : " وبهذا الكشف انتفى البحث الصعب، عن مبررٍ صوتي لانقلاب الواو والياء همزة، في بعض أمثلة العربية، وحلَّ محله قانون القياس الخاطئ والحذلقة ".(انظر عبد التواب، 1996، 6)

وقد عرض مشكلة الهمزة في ثلاثة فصول، جاء الفصل الأول حديثاً عن تاريخ الهمزة، وتحدث تحت هذا العنوان عن تاريخ الخط العربي، وعن موقف العرب من نطق الهمزة، وعن بعض الحجازيين يهمز، وعن المبالغة في تحقيق الهمز عند بعض العرب .

ولا بدَّ أن نبدأ في عرضنا هذا، بما قدمه عن الخط العربي، يقول : " لم يبتكر العرب خطهم الذي كتبوا به لغتهم ابتكاراً، وإنما تأثروا في وضعه – على أصح الأقوال – بالخط النبطي، الذي كان منتشراً في شمالي الجزيرة العربية، في البتراء والحيرة والانبار، وغيرها قبل مجيء الإسلام" . (عبد التواب، 1996، 11)

والملاحظة المهمة التي ينبهنا إليها رمضان عبد التواب، هي شيوع الخط أولاً بين الحجازيين، ولا سيما قبيلة قريش، وقد كانت الألف في أصل الخط النبطي، وهي رمز الهمزة، غير أن الحجازيين لم يكونوا يهمزون في كلامهم.(انظر عبد التواب، 1996، 11-12)

ويأتي على ذكر عدد من الأمثلة، مما لا يدع على حسب قوله مجالاً للشك، في ترك الحجازيين للهمزة في كلامهم . (انظر عبد التواب، 1996، 12-13)

قال أبو زيد الأنصاري المتوفى سنة (214 هـ) : " أهل الحجاز وهذيل، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون . وقف عليها عيسى بن عمر فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب النبر وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا .

" وقال أبو عمر الهذلي : قد توضيت، فلم يهمز وَحوَّلها ياءً ".(ابن منظور، 1307، 14/1 ، الأزهري ، 1967، 691/15)

ويفسر رمضان عبد التواب قول عيسى بن عمر السابق " إذا اضطروا نبروا " بأن معناه إذا وقعت الهمزة موقعاً لا يمكن تسهيلها فيه، وهو أول الكلمة، بقيت

على حالها في النطق، في مثل : أسد، وأذن، وأحمد وغير ذلك . (انظر عبد التواب، 1996، 13)

إذن فقد انتشر الخط في بيئة لا تهمز، وهي البيئة الحجازية لذلك : " فإننا نرى رمز الهمزة القديم، وهو الألف يختفـــي من الكتابة العربية في غير أول الكلمة مطلقاً؛ مثل اسد، واذن، واحمد، أو في وسطها أو آخرها، إذا كانت الهمزة مفتوحة وقبلها مفتوح ؛ مثل : سال، وملا ؛ وذلك لأن انتشار الخط في الحجاز، ثم على نطاق واسع بين القرشيين الذين لم يكونوا يهمزون، كما عرفنا من قبل، فكان يترتب على تركهم الهمز نشوء حركات طويلة، أو أصوات انزلاقية تسمى بالألمانية (Geleitlaute) يتحدد نوعها باختلاف أماكن ورودها في الكلمة ؛ فكان الحجازيون ينطقون مثلاً : راس، وبير، ويومن، وسما، وتطمين، وأفيدة، وفية، ويَوزٌ، ويودّي، وما أشبه ذلك.(عبد التواب، 1996، 13-14)

فالألف هي الهمزة وهذا ما قاله الجواليقي : " باب الهمزة التي تسمى الألف ". (الجواليقي، 1966، 13)

يقول ابن جني : " اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم، هي صورة الهمزة، وإنما كتبت الهمزة واواً مرةً وياءً أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف، ولو أريد تحقيقها البتة، لوجب أن تكتب ألفاً على كلٍّ حال " . (ابن جني، 1954، 46/1)

ويرى رمضان عبد التواب أنه لو شاع الخط في البيئة التميمية التي تحقق الهمز، ما وُجِدَت هذه المشكلةُ، مشكلة تعدد الرسم الإملائي للهمزة، التي تعج بها المخطوطات العربية، والتي يعاني منها صغار التلاميـــذ، وبعض كبارهم حتى اليوم، ولوجدنا الهمزة مكتوبة بالألف دائماً . (عبد التواب، 1996، 16)

ويذكر عدداً من النصوص التي تبين لنا التاريخ التطوري الطويل للألف ومعها الواو والياء، على الطريق بين الفينيقية والعربية، والإزدواج الوظيفي في رمز الألف، والثلاثية الوظيفية في رمزي الواو والياء .

ويُرجع رمضان عبد التواب هذا العيب في الخط العربي، إلى أصوله التي أخذ منها، وهي الخط الفينيقي، الذي وصل إلى العرب عن طريق النبط، وكان

خطهم النبطي منتشراً في شمالي الجزيرة العربية في الحيرة والأنبار، وغيرهما قبل مجيء الإسلام . (انظر عبد التواب، 1996، 18-19)

إذن فقد ضاعت الهمزة في غير أول الكلمة، وتحول الصوت المركب:(aw) و (ay) في مثل : " يَوم " و " بَيْت " إلى حركة طويلة مماله (ō) و (ē) . ومع حدوث هذا التطور في النطق، كان الخط ثابتاً، فكان الناطق ينطق مثلاً" : (rās)، ويكتب : رأس " كما ينطق : (yōm) ويكتب : " يوم "، وينطق : (bēt) ويكتب: " بيت " إلى غير ذلك. (عبد التواب، 1996، 19-20)

" وهكذا بعد أجيال، بدا للناس كأن الألفَ رمزٌ للفتحة الطويلة، إلى جانب أنها رمز للهمزة، مع أنها كانت في الأصل رمزاً للهمزة فحسب".(عبد التواب، 1996، 20)

أما عن موقف العرب من نطق الهمزة، فيذكر رمضان عبد التواب أن : "صوت الهمزة صوت أصيل في اللغات السامية كلِّها ". وقد أطلق على هذا الصوت في اللغة العربية اسم " النبر. (عبد التواب، 1996، 24) قال ابن السكيت : " النبر مصدر نبر الحرف نبراً إذا همزتَه ". (ابن السكيت، 1970، 16)

ويعرض في هذا الموقف أقوال عددٍ من العلماء القدماء (انظر عبد التواب، 1996، 24) في وصف هذا الصوت، فقد شبهه سيبويه بالتهوع وهو يتحدث عن إبدال الهمزة واواً أو ياءً يقول : " واعلم أن الهمزة إنما فَعَلَ بها هذا (الإبدال) من لم يخففها ؛ لأنه بَعُد مخرجُها ؛ ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً، فثقلَ ذلك عليهم لأنه كالتهوّع ". (سيبويه، 1317، 167/2)

ويتعرض رمضان عبد التواب إلى ما سمَّاه القدماء بـ " التخفيف " أو " همزة بين بين " وسمَّاه علماء الغرب " Hiatus " ويفسر هذه الظاهرة بأنها سقوط الهمزة المتحركة المسبوقة بحرف متحرك مما يؤدي إلى التقاء حركتين، حركتها وحركة ما قبلها ؛ فمثلاً : سَأَل : sa>ala تتحول إلى : saala، وسُئل su>ila تتحول إلى : ya>ummu يتحوّل إلى : yaummu، وفِئَة fi>atun تتحول إلى : fiatun وغير ذلك (انظر عبد التواب، 1996، 28)

ويرى رمضان عبد التواب أن القدماء، لم يدركوا كُنْه هذا الترك للهمز، ولم يعرفوا أنه نوع من التقاء الحركات، كما أنهم لم يستطيعوا الرمز إليه في الكتابة، ووصفوه وصفاً مبهماً، بأنه جعل النطق بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها،

أي بين الهمزة والواو وإن كانت مضمومة، وبينها وبين الألف إن كانت مفتوحة وبينها وبين الياء إن كانت مكسورة . (انظر عبد التواب، 1996، 28-29)

قلنا بأن أهل الحجاز لا يهمزون، ومع ذلك فلا نعدم أن نجد بعض الألفاظ التي همزها الحجازيون، وقد أشار رمضان عبد التواب (عبد التواب، 1996، 36) إلى ذلك في قول سيبويه الذي يقول : " وقد بلغنا أن قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون : نبئ، وبريئة . وذلك قليل رديء " . (سيبويه، 1317، 170/2) كما قال الجوهري : " ليس أحدٌ من العرب إلا ويقول : تنبأ مسيلمة بالهمز، غير أنهم تركوا الهمز في النبيِّ، كما تركوه في : الذُّريَّة، والبريَّة، والحابية، إلا أهل مكة، فإنهم يهمزون هذه الأحرف، ولا يهمزون في غيرها، ويخالفون العرب في ذلك " (الجوهري، 1956، 74/1)

ويعرض رمضان عبد التواب إلى ما سمَّاه العلماء : " عنعنة تميم " وهذه الظاهرة تُعزَى إلى تميم وقيس وأسد ومن جاورهم وإن اشتهرت بإضافتها إلى "تميم" من بين هذه القبائل جميعها .(عبد التواب ، 1996 ، 41)

والعنعنة إبدال الهمزة عيناً، وإن حدَّدها الفراء وثعلب بالحرف أنَّ أو أنْ المفتوح الهمزَة " ويرى رمضان عبد التواب، أن هذا الإبدال عام في كلِّ همزة، عند تميم ومن جاورهم . (عبد التواب، 1996، 44) ويستشهد بقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: " الخَبع الخبء، في لغة تميم، يجعلون بدل الهمزة عيناً . (انظر الفراهيدي، 1967، 140/1) وقد رويت لنا في العربية القديمة أمثلة كثيرة لانقلاب الهمزة عيناً.

أما عن قلب الهمزة هاءً، فقد روت لنا المصـــــادر العربيـــــة ، عن قبيلة طيىء، أنهم كانوا يبدلون الهمزة في بعض المواضع هاء،(عبد التواب، 1996، 46) وينقل رمضان عبد التواب ما حكاه ابن جني عن قطرب أن طيئاً تقول : " هِنْ فعلتَ فعلتُ، يريدون: إن فيبدلون ". (ابن جني، 1954، 552/2) .

وقد حدث هذا أيضاً في اللغة العبرية ؛ إذ قلبت فيها همزة (إن) الشرطية، هاءً كذلك ؛ فيقال فيها (הִנֵּה hinne) (هِنَّى) إنْ. (انظر عبد التواب، 1996، 46، عبد التواب، 1982، 232).

ولم يقتصر الأمر في نظر رمضان عبد التواب على قلب الطائيين الهمزة هاء في (إنْ) الشرطية وحدها، بل حكى ذلك عنهم في همزة الاستفهام كذلك ؛ يقولون "هزيدٌ فَعل ذلك ؟ يريدون : أزيدٌ فَعَلَ ذلك ؟ "، ومثل ذلك حادث في اللغة العبرية كذلك (انظر عبد التواب، 1996 ،46).

ويرى أنه يمكننا، أن ننسب إلى قبيلة طيىء، ما لم تنسبه المصادر من أنواع هذه الظاهرة (انظر عبد التواب، 1996، 46). من ذلك مثلاً ما أنشده أبو الحسن الأخفش من قول الشاعر:

وأتى صواحبها فُقُلْنَ هذا الذي منح المودة غيرنا وجفانا

(الجوهري، 1956، 2559/6، ابن منظور، 1307 هـ، 337/20)

يريد أذا ؟

فهذا البيت مختلف في نسبته، ويذكر رمضان عبد التواب، عدداً أخر من الأبيات، المختلف في نسبتها كذلك . (عبد التواب، 1996، 47-48).

ونتيجة لاستقراء رمضان عبد التواب أحوال الهمز في العربية، وجد أنها تنحصر في سبعة أحوال :

أولاً : سقوط الهمزة مع تطويل الحركة السابقة عليها تعويضاً؛ مثل. b īr < bi>r.

ثانياً: سقوط الهمزة فتلتقي حركتان، وهذه هي همزة بين بين؛ مثل: Fiatun <fi>atun .

ثالثاً : سقوط الهمزة فتدمج الحركتان إذا تماثلتا، في حركة واحدة مثل : sala < sa>ala .

رابعاً: سقوط الهمزة وتولد صوت انزلاقي بين الحركتين غير المتماثلتين، مثل : Fiyatun .

والمراحل الأربع السابقة خاصة بالتسهيل . أما أحوال التحقيق فتنحصر في ما يلي :

خامساً: تنطق الهمزة محققةً، كما في نطقنا المألوف ؛ مثل : bi>r .

سادساً : يبالغ في تحقيقها، فتنطق عيناً ؛ مثل : أن : anna< > عَنَّ anna< .

سابعاً :تنطق الهمزة هاءً، لاتحادها معهـا في المخرج ؛ مثل : أراق > هـــــراق (>arāga < harāga . (عبد التواب، 1996، 49-50) .

ويستعرض رمضان عبد التواب تجارب كثير من العلماء قدماء ومحدثين(عبد التواب، 1996، 51-116) في محاولة تيسير كتابة الهمزة ومناقشتهِ لعدد من هذه التجارب، وينتهي هذا الفصل الطويل عنده في كتابه مشكلة الهمزة، بقرارين " لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ". (عبد التواب، 1996، 51-116) .

أما القرار الأول الذي صدر في 1960/1/5م . فلم يتجاوز في نظر رمضان عبد التواب – إلا في النادر ما نعرفه من قواعد اسم الهمزة عند القدماء، بالتفاصيل الكثيرة التي يَضِلُّ وسطها المتعلم ؛ ولذلك كانت الحاجة ماسةً دائماً إلى التفكير في قاعدة صغيرة مختصرة تيسر تعليم رسم الهمزة على الصغار. (عبد التواب، 1996، 111)

ولذلك فقد تقدم رمضان عبد التواب، من مجمع اللغة العربية، بقاعدة عامة تخضع لها جميع الهمزات في الخط العربي، دون المساس بالتراث الإملائي، وترتكز هذه القاعدة على دعائم مستنبطة من أقوال الرسم العربي. والخلاصة في ضوابط رسم الهمزة عنده نبينها فيما يلي كما جاءت عنده:(عبد التواب، 1996، 112-113).

أولاً : إن هذه الضوابط تقوم على الدعائم التالية :

1-تُقدَّر أواخرُ الكلمات ساكنةً دائماً ؛ لأن الخط العربي مبني على ألف.

2-تَكْره الكتابة العربيةُ توالي الأمثال ؛ ولذلك يكتب الحرف المضعف حرفاً واحِدا، في مثل : " قدَّم " . وكذلك كتب الحجازيون قديماً : " داوود " و " رووس " و " شوون " بواو واحدة هكذا : " داود " و " روس " و " شون" .

3-تعدُّ من الكلمة اللواحِق التي تتصل بآخرها ؛ مثل : الضمَائر، وعلامة التثنية والجمع، ولا يعدُّ منها ما دخل عليها من حروف الجر والعطف وأداة التعريف والسين وهمزة الاستفهام ولام القسم .

4- الحركات والسكون في الكلمة، ترتب من ناحية القوة تنازلياً على النحو التالي : الكسرة، فالضمة، فالفتحة، فالسكون .

ثانياً : تتلخص قواعد كتابة الهمزة بعد ذلك في القاعدة التالية : تكتب الهمزة في أول الكلمة بألف مطلقاً . أما في الوسط أو في الآخر، فإنه ينظر إلى حركتها وحركة ما قبلها، وتكتب على ما يوافق أقوى الحركتين من الحروف .

فتكتب الهمزة على ياء في مثل : المستهزئين، والمنشئون، وتطمئن " وأفئدة، وفئة، وجئتما، لأن الكسرة تغلب على الحركات والسكون .

كما أنها تكتب على واو، في مثل : يوُز، ويُؤدي، وسُؤْل، وأولياؤُهم ؛ لأن الضمة تغلب الفتحة والسكون .

وتكتب على ألف في مثل : سَأَل، ويَسْأَل، وكَأْس ؛ لأن الفتحة تغلب السكون .

وفي مثل : بطء، وملء، وشيء، لأن أواخر الكلمات تقدر ساكنة، وقبلها في هذا الأمثلة سكون، فليس هناك حركة تكتب الهمزة على ما يوافقها، ولذلك كتبت مفردة على السطر .

وإذا ترتب على كتابة الهمزة على ألف أو واو، توالي الأمثال في الخط، كتبت الهمزة على السطر ؛ مثل: يتساءلون، ورءوس، إلا إذا كان ما قبلها من الحروف مما يوصل بما بعده، فإنها تكتب على نبرة ؛ مثل : بطئاً وشئون .

وذكر استثناءين من القاعدة :

1- إذا وقعت الهمزة في أول الكلمة، وبعدها ألف المدّ، استغني عنها بعلامة المدّ فوق الألف ؛ مثل : آدم، وأكل، وأخر، والأن .

2- الفتحة بعد الواو الساكنة تعدُّ بمنزلة السكون، كما تُعَدُّ الياء الساكنة في وسط الكلمة بمنزلة الكسرة، ولذلك تكتب الهمزة مفردة في مثل : مروءة، وشنوءة، ولن يسوءك، وإن ضوءك . كما تكتب الهمزة على نبرة في مثل : هيئة، وبِئْسَ، وخطِيئة، وبريئة، ومشيئة .

ضوابط رسم الهمزة

أولاً : تقوم هذه الضوابط على الدعائم التالية :

1- تتجنب الكتابة العربية توالي الأمثال، فيكتب الحرف المضعَّفُ حرفاً واحداً في مثل :(قَدَّم)، وكتب الحجازيون قديماً:(داوود) و(رووس) و(شوون) بواو واحدة وهكذا : (داود) و (روس) و (شون) .

2- تعدُّ من الكلمة اللواصق التي تتصل بآخرها ؛ مثل : الضمائر وعلامات التثنية والجمع وألف المنصوب . ولا يعدُّ منها ما دخل عليها من حروف الجر والعطف وأداة التعريف والسين وهمزة الاستفهام ولام القسم .

3- الحركات والسكون في الكلمة، ترتب من ناحية الأولية ترتيباً تنازلياً، على النحو التالي : الكسرة، فالضمة، فالفتحة، فالسكون.

ثانياً : تتلخص قواعد كتابة الهمزة بعد ذلك في القاعدة التالية :

تكتب الهمزة في أول الكلمة، بألف مطلقاً .

أما في الوسط فإنه ينظر فيها إلى حركتها وحركة ما بقلها، وتكتب على ما يوافق أولى الحركتين من الحروف، فتكتب الهمزة على ياء، في مثل: المستهزئين، والمنشئون، ويطمئن، وأفئدة، وفئة، وجئتنا ؛ لأن الكسرة أولى من كل الحركات والسكون. وتكتب على واو في مثل : يؤزّ أو يؤدِّي وسُؤْل، وأولياؤهم ؛ لأن الضمة أولى من الفتحة والسكون، وتكتب على الألف في مثل: سأل، ويسأل، وكأس ؛ لأن الفتحة أولى من السكون.

وأما في الآخر، فتكتب بحسب ما قبلها ؛ فإن كان ما قبلها مكسوراً كتبت على ياء ؛ مثل : بريء وقارِئ . وإن كان مضموماً كتبت على واو ؛ مثل : جَرؤ، وتكافُؤ . وإن كان مفتوحاً كتبت على ألف ؛ مثل : بَدأ وملجأ.

وإذا ترتب على كتابة الهمزة على ألف أو واو توالي الأمثال في الخط كتبت الهمزة على السطر ؛ مثل : يتساءلون، ورءوس . إلا إذا كان ما قبلها من الحروف مما يوصل بما بعده، فإنها تكتب على نبرة ؛ مثل بطئاً، وشئون، ومسئول .

وأشار إلى استثناءات من القاعدة :

1- إذا اجتمعت الهمزة وألف المدّ في أول الكلمة، أو في وسطها اكتفى بعلامة المدّة فوق الألف ؛ مثل : آدم، وآكل، وآخر، والآن ومثل : مرآة، وقرآن .

2- تعد الفتحة بعد الواو الساكنة في وسط الكلمة بمنزلة السكون ؛ ولذلك تكتب الهمزة مفردة في مثل : مروءة، وشنوءة، ولن يسوءَك، وإن ضوْءك .

كما تعدّ ياء المدّ قبل الهمزة المتوسطة بمنزلة الكسرة ؛ ولذلك تكتب الهمزة على نبرة في مثل : خطيئة وبريئة ومشيئة. (عبد التواب ، 1996، 114)

أمّا الجهد الذي يفخر به، رمضان عبد التواب حقّاً، : " فهي محاولة الكشف عن السر في كتابة بعض الكلمات بالهمز، وهي في الأصل غير مهموزة . وبهذا الكشف انتفى البحث الصعب، عن مبرر صوتي لانقلاب الواو والياء همزة، في بعض أمثلة العربية، وحلّ محله قانون القياس الخاطئ، والخدلقة ". (عبد التواب، 1996، 6).

فقد عالج رمضان عبد التواب عدداً من الصيغ – في كتابهِ مشكلة الهمزة – التي كتبت بالهمز، وهي في الأصل غير مهموزة وهذه الصيغ هي :

1- فعل، أفعل (لمتعدي بالأصل): كنا قد عرضنا لعقدة الحجازيين – كما عرضها رمضان عبد التواب – من الهمز، وهذا الذي دفعهم الى ترك همز ما يستحق الهمز، ولكن الذي حدث أن الهمز أصبح شعار العربية الفصيحة، مما أدى إلى تسابق العرب في النطق به (عبد التواب، 1996، 12) يقول رمضان عبد التواب : "فأدى ذلك إلى همز ما ليس أصله الهمز، مبالغة في التفصُّح (overcorrectness) ؛ لأنه إذا كانت : " فقأت عينه " فصيحة و "قفيت " غير فصيحة، و " وجأت بطنه " فصيحة " و " وجيت " غير فصيحة – فإنه لا مانع من تحوّل : " حلَّيت السويق " و " لَبّيت بالحجّ " و " رثيت زوجي " إلى: حَلأْت ولبَّأت ورثأت، عن طريق القياس الخاطئ، مبالغة في التفصح ؛ ولذلك يعقد ابن السكيت فصلاً بعنوان : " ما همزته العرب وليس أصله الهمز " في كتابه : إصلاح المنطق، يقول فيه : " قالوا : حَلأْت السويق: وإنما هو من الحلاوة، وقالوا : لبَّأت بالحج، ، وأصله لبيت... " وقالت امرأة : رثأت زوجي، بإثبات الهمز ".(ابن السكيت، 1970، 158، وكذلك عبد التواب، 1996 ،128)

ويسوق رمضان عبد التواب قول هانر كفلر (H . Kofler) في الحذلقة، وأظنه أغفل القول بأن هانر، يلخص بذكاء شديد، ما يبحثه في هذا الباب، يقول هانر كفلر: " اللغة المتكلمة بسبب اجتهادها في محاكاة الفصحى، وضعت الهمزة في بعض الكلمات، التي لا أثر فيها للهمز مطلقاً من الناحية الاشتقاقية . ويسميها

الفراء في لسان العرب (10/1) همزة التوهم، كما يتحدث عن لغة من يهمز ما ليس بمهموز، وهذه الظاهرة نوع من المبالغة في التفصح،وأصحابها ممن يخففون الهمزة في الأصل ". (عبد التواب ، 1996 ،134)

وقد فطن إلى هذه الظاهرة " يوهان فك "، فقال : " واستعمال صيغة الرباعي، بدلاً، من صيغة الثلاثي، ظاهرة مألوفة في اللغة الدارجة، بحيث لم يزل البصريون والكوفيون، منذ عهد الأصمعي، وقطرب يعالجون دائماً موضوع فعلت وأفعلت " (يوهان فك، 1980، 145).

ويشير رمضان عبد التواب إلى صحة ما قاله : " يوهان فك " وقد قام بإحصاء للمؤلفات التي في موضوع : فعلت وأفعلت في العربية ورتبها ترتيباً تاريخياً (انظر عبد التواب، 1996، 134-137) .

أمَّا العاميات العربية، فقد كثر فيها مثل هذه الظاهرة ومما رواه لنا كتاب لحن العامة عبر العصور العربية الكلمات التالية :

1- أبيع الثوب، بدلاً من بيعَ (الزبيدي، 1964، 204، الصفدي، 1987 76،70).
2- أسدلت عليه، بدلاً من: سدلت (الزبيدي، 1964، 256) .
3- أشحنت السفينة، بدلاً من شحنت (الزبيدي، 1964، 256، الصفدي، 1987 ،109) .
4- أزْجَلَت الدابة بجنينها، بدلاً من : زجلت (الزبيدي، 1964، 256، الصفدي، سنة 101).
5- أرسنت دابتي، نبدلاً من " رَسَنْت (ابن الجوزي، 1966، 110، الصفدي، 1987، 98).
6- انحلت ولدي ؛ بدلاً من نحلت (الصفدي، 1987 ،132).

وغيرها من الأمثلة. (انظر عبد التواب ، 1999 ، 130 – 131)

فالقانون المؤثر هنا، هو قانون الحذلقة أو المبالغة في التفصيح، وهو أن يظن المتحدث أن الصيغة الخالية من الهمز عامية، فإذا أعاد الحديث بالفصحى همزها، وبهذا ينفى رمضان وجود مبرر صوتي لانقلاب الواو أو الياء همزة. (عبد التوب، 1996 ،6).

الهمزة في عين اسم الفاعل المعتل وصيغة فعائل وشبهها :

يرى رمضان عبد التواب : " أن الأصل في اسم الفاعل من الثلاثي المعتل العين، أن تصحَّ عينه في اللغة ؛ فيقال في : باع " بايع "، كما يقال في المصدر : " البيع

"، وفي دان: " داين "، كما يقال في المصدر : " الدَّين "، وفي قال:" قاول "، كما يقال في المصدر " القول "، وفي صام: "صاوم" كما يقال في المصدر: "الصوم"(عبد التوب، 1996، 141)

ولكن الناظر إلى العربية الفصحى، يرى أنها تبدل الياء والواو في اسم الفاعل في الأمثلة السابقة وغيرها همزة . وهذا الإبدال في نظر رمضان عبد التواب يعتبر غير مبرر، من الناحية الصوتية ؛ لأن من يقف على طبيعة التطور الصوتي، وأنه يتم بين الأصوات المتقاربة المخارج أو الصفات، يدرك على الفور بُعْد ما بين الهمزة من ناحية، والياء والواو من ناحية أخرى في المخرج والصفة . وبالتالي فالتفسير الصوتي عند رمضان عبد التواب لا يصلح أساساً لانقلاب الياء والواو همزة على الإطلاق، ولا بدَّ من البحث عن علة أخرى، لهذا لإبدال الذي ساد في الفصحى منذ زمن بعيد (عبد التوب، 1996، 141) .

أمَّا التفسير الذي يرتضيه رمضان لمثل هذا فهو مبدأ الحذلقة والمبالغة في التفصح، وهذا المبدأ الذي تحدثنا عنه سابقاً، وهو موضع آخر من المواضع، التي أثرت العادة الحجازية في ترك الهمز فيها، على التطور اللغوي في الفصحى .

فقد تعرفنا من خلال ما بينه رمضان عبد التواب، من قبل أن الحجازيين يتركون الهمزة في كلامهم وكيف برهن على ذلك بما لا يدع مجالاً للشك . ويقول: " فلو تصورنا أن أحد هؤلاء الحجازيين، يَبْنى في كلامه اسم الفاعل أو صفة مشبهة من : " سأل " أو " يئس " أو " ثأر " . أو " دأب " أو " زأر الأسد " فإنه سيسقط الهمزة من كلامه في هذا البناء، كما يسقطها في غيره، ويترتب على ذلك نشوء الصوت الإنزلاقي، بسبب اختلاف الحركات السابقة واللاحقة للهمزة – كما سبق أن شرحنا ذلك من قبل – ومن بين هذه الحركات الكسرة التي تلي عين الفعل في : سائل، ويائس، وثائر، ودائب، وأسد زائر، وهذه الكسرة تحتم أن يكون الصوت الانزلاقي الناتج من التقاء الحركات هنا هو الياء، فتتحول الكلمات السابقة في نطق الحجازي إلى : سايل، وياِيس، وثاير، ودايب، وأسد زاير، وما أشبه ذلك من الأمثلة" (عبد التوب، 1996، 141-142).

ولمَّا كانت هذه الأمثلة ونحوها في لهجات الخطاب الحجازية، تشبه في شكلها اسم الفاعل من الفعل المعتل الوسط في كلامهم ؛ في مثل : بايع، وداين، وذايع،

وشايع، وباين، وغايب، فإنهم يظنون أن الياء في هذه الأمثلة الأخيرة وما يشبهها، ناتجة في كلامهم بسبب تركهم الهمزة، ولذلك يدخلون فيها الهمزة عند محاكاتهم اللغة الأدبية، مبالغة في التفصيح وحذلقة منهم، فيقولون في الأمثلة السابقة : بائع، ودائن، وذائع، وشائع، وبائن، وغائب، وغير ذلك (عبد التوب، 1996، 142)

ويشهد رمضان عبد التواب على صحة ما يقول، بما يروى عن بعض القبائل العربية القديمة، من نطق مثل هذه الصيغ وأشباهها بالياء في اليائي، وبالواو في الواوي ؛ مثل : " عاور " من "عَوِرَ" و "عاين "من "عَيِنِ ".(عبد التوب، 1996، 143)

" وعندما صار الهمز شعاراً للعربية الفصحة، وتسابق الشعراء والخطباء إلى الالتزام به، شاعت هذه الصيغ المهموزة، وكثر تداولها بين أهل الفصاحة من الجزيرة العربية، حتى صارت ميراثاً للعربية، إلى أن جاء القرآن الكريم، وقد نزل بلسان العرب الفصحاء، فسجل لنا الهمزة في كلِّ أسماء الفاعلين والصفات المشبهة التي على وزن (فاعل)، على النحو الذي نراه الآن في العربية"(عبد التوب، 1996، 143)

وما قال رمضان عبد التواب عن اسم الفاعل المعتل بالعين : " يصدق كذلك على وزن " فعائل "، جمعاً لِفعالة وفعولة وفعيلة، لأنه إذا كان الحجازي يحوّل مثل: " رسايل " و " عجايز " و " صحايف " إلى صيغ مهموزة، عند احتذائه اللغة الأدبية في الشعر والخطابة ومواقف الجد من القول ؛ فيقول : " رسائل " و " عجائـــــر " و " صِحائف "، كما يقول في الفصحى : " مسائل " تماماً، على طريقة الحذلقة والمبالغة في التفصُّحِ أيضاً " (عبد التوب، 1996، 144-145)

وليس هناك شكٌّ، أن ما صنعه الحجازيون في صيغة الجمع هنا، قد شمل كلَّ ياء أو واو وقعت بعد ألف الجمع، يستوي في هذا أن تكون الياء فيها زائدة أو أصلية في المفرد . وقد روي لنا من أمثلة الأصلي قولهم : مصائب، ومعائش، ومنائر، ووردت بعض هذه الألفاظ بالهمز في القراءات الشاذة، (انظر ابن خالوية، د.ت، 42)، وإن كان نحاة العربية يقولون بشذوذ هذه الأمثلة حتى يطرد لهم القياس الذي وضعوه. (انظرعبد التوب، 1996، 145)

ويدلِّلُ رمضان عبد التواب على أصالة مثل : " صحايف " و" رقايق " و" فوايد " وما إليها في العربية، من وجود مثل هذه الجموع بهذه الصورة (أي بلا

همز) في اللغة الحبشية القديمة(الجعزية)، في مثل:(ሐጣዬ <hāṭaye)خطايىء " خطايا " (انظر عبد التواب، 1996، 145-146)

2- همزة الممدود المنقلبة عن واو أو ياء .ومن الصيغ التي يفسرها رمضان عبد التواب، من خلال قانون الحذلقة والمبالغة في التفصح كذلك، تلك الهمزة التي يقال عنه إنها تبدل من أصل في الاسم الممدود، مثل " بناء " . ويرى أن مثل هذا الإبدال المتحذلق، قد حدثت أولاً في الصيغ المضافة إلى الضمائر، لأنه إذا كان الحجازي يسقط الهمزة في مصدر : " أنشأ المضاف إلى الضمير، فيتولد الصوت الانزلاقي، في مثل : " أعجبت بإنشايك "، فإنه يصبح مشبهاً في لهجة خطابه لمثل قوله : " أعجبت ببنايك " . والياء في المثال الثاني أصلية، لأنه من : بنى يبني، غير أن الحجازي حين يلتزم موقف الجد من القول، يعيد الهمزة إلى أصلها في المثال الأول، فيقول : " أعجبت بإنشائك "، ثم يقيس عليه المثال الثاني، فيقول : " أعجبت ببنائك " حذلقة منه ومبالغة في التفصح. (عبد التواب، 1996، 147) .

" وعندما تشيع مثل هذه الكلمات في حالات الإضافة، وهي مهموزة، يألفها الأدباء والشعراء من فصحاء العرب، فيستعملونها بالهمزة كذلك مجردة من الإضافة" (عبد التواب، 1996، 147)

فالأصل في نظر رمضان عبد التواب في جميع هذه الكلمات، أن تقال بالياء أو بالواو حسب أصلها : بناى، وكساو، ومساو، ودعاو . وقد بقي بعض الركام اللغوي، من هذا الأصل القديم (عبد التواب، 1996، 147) في قول المستوغر بن ربيعة:

إذا ما المرء صَمَّ فلم يُكلِّمِ وأعيا سمُعه الإندايا
ولاعب بالعشيِّ بنى بنيه كفعل الهر يلتمس العطّايا
يلاعبهم وودُّوا لو سقَوه من الذِّيفان مترعة مِلايا
فأبعده الإله ولا يُؤَبَّى ولا يُعطى من المرض الشفايا

(الجمحي ،1974، 34)

كما روى الفراء أن قوماً من العرب قالوا : أتيتها عِشايًا (الفراء، 1955، 357/1)

3- يؤرخ ويؤقت وأمثالها :

يقول رمضان عبد التواب إنه :" إذا كانت الكلمة التي تعني "القمر " في أصل اللغات السامية، تبدأ في الأصل بالواو، كان في الحبشية: () والآشورية القديمة : warhu وتتحول هذه الواو، كما تحولت في غيرها، إلى ياء في العبرية: (yÇrah) والآرامية : (yarha)، فإن الأصل الذي كان في اللغة العربية، في مقابل هذه الكلمات كلها، هو : " وَرْخ " (عبد التواب، 1996، 153) .

وعلى الرغم من موت هذه الكلمة إلا أن الفعل منها، وهو " يؤرِّخ " موجود في اللغة، وقد تحذلق فيه الحجازيون فأقحموا عليه الهمزة، وقالوا : " يؤرخ " واشتقوا منه الماضي : " أرَّخَ " والاسم " تأريخ " والدليل على عدم أصالة هذه الهمزة في العربية، هو عدم وجودها في الجمع : " تواريخ " إذ لا يقال فيه : " تاريخ " (عبد التواب،1996، 153)

ألقاب اللهجات

تعارف اللغويون على أن اللغة الفصحى، ليست لغة قريش أو غيرها من القبائل؛ ولكن اللغة العربية الفصحى اختيار لا شعوري، من لغة هؤلاء وهؤلاء، ساهم في إنتاج هذا الاختيار، الاحتكاك اللغوي بين القبائل في مواسم الحج، والتجارة، والأسواق الأدبية المختلفة . وإن كان بعض اللغويين يرون أن اللغة الفصحى مرادفة للهجة قريش .(انظر عبد التواب ، 1983 ،116)

ومن ذلك ما يروية السيوطي عن الفراء أنه قال : " كانت العرب تحضر الموسم في كلِّ عام، وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات جميع العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب، وخلت لغاتهم من مستبشع اللغات، ومستقبح الألفاظ " . (السيوطي ،1999 ،164 ، والسيوطي ، 1986 ، 221/1)

أما عن ألقاب اللهجات التي ظهرت عند العرب، فيشير رمضان عبد التواب إلى أن العرب لم تكن تعرف هذه الألقاب للهجاتها في الجاهلية، وأن المسئول عن

تلقيب كل لهجة بلقب معين، هو رجل من " جَرْم " لم تذكر المصادر اسمه، وكان ذلك في مجلس من مجالس معاوية بن أبي سفيان، وأقدم اخبار هذا المجلس، يرويه الجاحظ، فيقول وقال معاوية يوماً : من أفصح الناس ؟ فقال قائل: قَومٌ ارتفعوا عن لخلخانية الفرات، وتيامنوا في كسكسة بكر، ليست لهم غمغمة قضاعة، ولا طمطانيةحمير، قال : من هم ؟ قال : قريش، قال فمن أنت . قال: من جرم . قال: اجلس " . (الجاحظ ،1950 ، 212/3 وعبد التواب ،1983 ،117)

وعلى الرغم من اختلاف الأخبار والروايات في عدد القبائل والألقاب، ونسبة هذه الألقاب إلى القبائل، فإنها تتفق جميعاً في أن قريشاً هي القبيلة الفصحى (انظر عبد التواب ، 1983 ،118).

وينبّه رمضان عبد التواب إلى : " أن نسبة هذا اللقب أو ذاك إلى قبيلة من القبائل، في أحد المراجع العربية، ونسبته إلى قبيلة أخرى في مرجع آخر ، لا تعني بالضرورة أن هناك تعارضاً بين المرجعين، في هذه النسبة، إذ قد تنتشر الظاهرة اللغوية أحياناً بين مجموعة من القبائل، فيروى كلٌّ لغوي ما بلغه منها، تماماً كما لو قلت الآن : إن ظاهرة الكشكشة، موجودة في بعض قرى محافظة الشرقية في مصر؛ لأنني سمعت ذلك بنفسي، وقال مؤلفٌ آخر : إن هذه الظاهرة توجد في جنوبي العراق والكويت، لأنه سمع ذلك بنفسه هناك، فلا تعارض بين قولي وقوله، بل إن كلَّ واحدٍ منهما يكمل الآخر " (انظر عبد التواب ، 1983 ،120)

وألقاب اللهجات التي عالجها رمضان عبد التواب هي :

1ـــالاستنطاء : روى هذا اللقب أنه لهجة " سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، والأنصار " (السيوطي ،1999 ،165)، كما روى أنه لغة أهل اليمن (انظر ابن الأثير، 1965 ،76/5) . وهذا اللقب عبارة عن جعل العين الساكنة نوناً، إذا جاورت الطاء، وهكذا تقول المصادر، غير أنها لم تمثّل له إلا بمثال واحد، وهو : "أنطى بدلاً من " أعطى: " (انظر عبد التواب ، 1983 ،120)

ومن شواهده : القراءة القرآنيـــــة : " إنا أنطيناك الكوثر " (الكوثر ،108 /) (انظر الطبري ،216/20) وحديث الدعاء: لا مانع لما أنطيت، ولا منطي لما منعت" (ابن الأثير ، 1965 ،76/5)

ومنه قول الأعشى :

جِيادُك في القَيْظِ في نعمةٍ تُصانُ الجلالَ وتُنْطَى الشَّعيرا

(الأعشى ، د.ت 90، أبو الطيب ، 1960 ،318/2)

وتستبعد الدراسات الصوتية الحديثة، التفسير القائل، بأن العين قلبت نوناً في (أعطى) فأصبحت (أنطى) ؛ لعدم وجود القرابة في المخرج والصفة بين الصوتين (العين والنون)(انظر عبد التواب ، 1983 ،121)

ويحاول رمضان عبد التواب تفسير هذه اللهجة بالرجوع إلى اللغات السامية، فيقول : " إننا إذا رجعنا إلى اللغات السامية، لنبحث بها عن مقابلة كلمة : " أعطى "، وجدنا العبرية (נתן) أي نون وتاء ونون . وفي السريانية في المضارع (ܢܬܠ) مع إدغام النون الأولى في التاء، والنون الثانية في لام الجر ولعل ما حَدث في لغة هذه القبائل، التي رُوى عنها الاستنطاء، هو عملية نحت لما في هاتين اللغتين واللغة العربية، فأُخِذَ فاء الفعل من العبرية والسريانية، وبقيت عينه ولامه لما هي في العربية . وقد حدث ذلك في كلمة: " يمامة " العربية، فهي منحوتة من كلمة:( ) السريانية، وهي تبدأ بالياء، وكلمة : " حمامة " في العربية (عبد التواب ، 1983 ،122)

2ـــالتضجع : يقول رمضان عبد التواب (عبد التواب ، 1983 ،123) : " وتعزى هـــذه اللهجة إلى قبيلة قيس في خبر الرجل الجرمي السابق، في رواية انفرد بها ثعلب، وروا عنه بعض من جاء بعده من اللغويين (ثعلب ، 1960 ،80/1 وابن جني 1954 ،234/1) ولم يفسره أو يشرح المراد به واحد منهم " (انظر عبد التواب ، 1983 ،123)

3- التلتله : يقول رمضان عبد التواب : هذه الظاهرة عبارة عن كسر حرف المضارعة، فيقال أنا إعلم، ونحن نِعلم، وأنت تِعلم، وهو يِعلم، وما إلى ذلك " وهي لقب لقبيلة " بهراء " ؛ كما تذكُرُ كثير من المصادر العربية " (ثعلب ، 1960 ،81/1 وابن جني ،1956 ،11/2)

وقد جاءت هذه الظاهرة، عند حكيم بن معية الربعي في رجز، وهو :

لَوْ قُلْتَ ما في قومها لم تِيثمِ يَفضُلُها في حسبٍ ومِيْسَمِ

(البغدادي ،1299 هـــ ، 311/2)

" أي " لم تأثم "، التي صارت بعد كسر حرف المضارعة : " رتئثم "، وخففت الهمزة فصارت : " تيثم "، كما في البيت . (انظر عبد التواب ، 1983 ،124)

ومثال آخر ما يرويه ابن جني عن أعرابي، من بني عقيل، كسر فيه الهمزة في الفعل : " أخاف " ؛ فقال : وانشدني عقيلي فصيح لنفسه :

فَقَوْمي هُمْ تميمٌ يا مُماري وجُوثةُ ما إِخَافُ لَهُمْ كِثَارا

فكسر الهمزة من إخاف. (ابن جني ،1954، 322/1)

وهذه الظاهرة سامية قديمة، وقد بقيت في بعض اللهجات حتى الآن، وهذا دليل على رأي رمضان عبد التواب على أصالة الكسر في حروف المضارعة في مثل قولنا " ومين يقرا ومين يسمع " . كما بقيت بعض آثار هذا القديم في العربية الفصحى نفسها في بعض الأمثلة " ومثاله كسر همزة المضارعة في : " إخال " في كثير من النصوص التي وصلت الينا (انظر عبد التواب ، 1983 ،125) من ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي :

فغبرت بعدهم بعيشٍ ناصبٍ وإخالُ أني لاحِقٌ مستتبعٌ

(ابن جني ، 1954 ، 322/1)

وقول العباس بن مِرْداس :

قد كان قَوْمُكَ يحسبونك سَيِّداً وإِخال أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيونُ

(ابن مرداس ، 1968 ، 108)

4- الرُتة : يقول رمضان عبد التواب : " والمقصود بالرُتة إذن هو : العجلة والسرعة في الكلام . وهو بهذا يطابق بعض ما رُوي في تفسير اللخلخانية "، بأنها تقصير الحركات وحذف الهمزة من عبارة " ما شاء الله كان "، التي تصيرُ " مشاالله كان ". (عبد التواب ، 1983 ،127)

ويضيف رمضان عبد التواب : " وقد مرَّ في حديث الرجل الجرمي، في بعض الروايات عبارة " فراتية العراق " و " لخلخانية العراق "، بدلاً من

" رُتّة العراق " ولعل هذه الألقاب كلها تعني شيئاً واحداً . (عبد التواب ، 1983 ،127)

5- الشنشنة : وقد روت المصادر هذا اللقب منسوباً الى لغة اليمن . (انظر السيوطي، 1999 ، 165 ، السيوطي ، 1986 ، 222/1) ورواه ابن عبد ربّه (ابن عبد ربه ،1953 ، 475/2) لقبيلة تغلب . وهو عبارة عن جعل الكاف شيناً مطلقاً (27).

ومثال ذلك ما سُمِعَ عن بعض أهل اليمن في عرفة يقول : " لَبَّيْشُ اللهم لَبَّيْشُ، أي لبيك . (انظر عبد التواب ، 1983 ،127)

ويضيف رمضان عبد التواب بأن هذه الظاهرة تتفق من بعض الوجوه، مع ظاهرة (الكشكشه) . (انظر عبد التواب ، 1983 ،127)

6- الطمطانية : يقول رمضان عبد التواب:" ينسب هذا اللقب إلى طيِّىء والأزد، وإلى قبائل حمير في جنوبي الجزيرة العربية. وهو عبارة عن إبدال لام التعريف "ميماً "، فيقال مثلاً:"طـــــاب امْهواءُ وصفا امْجو(الأصفهاني ،1961، 63/1) أي طاب الهواء وصفا الجو " (عبد التواب ، 1983 ،128)

ومن شواهد هذه الظاهرة . " ما جاء في الآثار، فيما " رواه النمر بن تولب أنه – صلى الله عليه وسلم – نطق بهذه اللغة في قوله : ليس من امبرٍّ امصيامٌ في امسفر، يريد : ليس من البر الصيام في السفر" (الحريري ، 1299 ، 114 ، ابن هشام ، 1964 ،48/1)

أما التفسير الصوتي، لهذه الظاهرة في نظر رمضان عبد التواب، هو أن اللام والميم مـــن فصيلة واحـــدة . وهي فصيلة الأصوات المتوسطة أو المائعة(Liquide) وهي مجموعة : " اللام، والميم والنون، والراء " . وهذه الأصوات يبدل بعضها من بعض كثيراً في اللغات السامية . (انظر رمضان ، 1983 ،130)

ويضيف رمضان عبد التواب قائلاً : " ولا تزال هذه الظاهرة شائعة في بعض لهجات اليمن، كما أن منها كلمة في اللهجة المصرية، وهي كلمة : " البارحة " التي ينطقها المصريون : " امبارح " (عبد التواب ، 1983 ،130)

7- العجرفية : يورد رمضان عبد التواب نصّاً لثعلب، يذكر فيه هذا اللقب يقول ثعلب : " ارتفعت قريش في الفصاحة، عن عنعنة تميم (وتلتلة بهراء)

وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبَّة " (ثعلب ، 1960 ، 80/1). ويلاحظ رمضان عبد التواب بأن ثعلب لم يشرح المراد من هذا اللقب، ويلاحظ كذلك سكوت كل من نقل هذا النص عنه (ابن جني ، 1954، 224/1 ، ابن جني ، 1956 ، 11/2) ؛ فلم يتحدثوا عنه بكلمة واحدة . فيما عدا صاحب محاضرات الأدباء، الذي عمَّمَ في شرحه (انظر عبد التواب ، 1983 ،13) بقوله : " والعجرفية جفاء في الكلام ". (الأصفهاني 1961 ،63/1)

8- العجعجة : ينسب هذا اللقب الى " قضاعة "، فقد حكى الأزهري، عن أبي زيد أنه قال : " والعجعجة في قضاعة، كالعنعنة في تميم، يحولون الياء جيماً؛ كقوله:

المطعمون اللَّحْمَ بالعشَجِّ
وبالغداة كسر البَرْنَجِّ
يَقْلَعُ بالودِّ وبالصِّيصِجِّ

أراد : بالعشيِّ، والبرنيِّ، وبالصيصيِّ " (الازهري ، 1967 ، 68/1 ، وانظر أبو الطيب، 1960 ، 257/1 وعبد التواب ، 1983 ، 130)

ويفسر رمضان عبد التواب هذه الظاهرة، فيقول : " والذي يسهل إبدال الياء جيماً، هو اتحادهما في المخرج، وهو الغار أو سَقْف الحنك الصلب، وكونهما مجهورين، أي تهتز معهما الأوتار الصوتية . والفارق الوحيد بينهما، هو أن الجيم من الأصوات التي تجمع في نطقها بين الشِّدَّةَ والرخاوة، أو بعبارة أخرى بين الانفجار والاحتكاك أما الياء فهي من الأصوات المتوسطة، التي فيها بعض الرخاوة، أو بمعنى آخر تتطق بشيء من الاحتكاك " (انظر عبد التواب ، 1983 ،134)

9- العنعنة : يقول رمضان عبد التواب : " يعزى هذا اللقب إلى تميم وقيس وأسـد، ومن جاورهم، وإن اشتُهِرَ بإضافة إلى تميم، من بين هذه القبائـل جميعهـا (انظر عبد التواب ، 1983 ،135)

ويضيف رمضان عبد التواب بأن اللغويين العرب يختلفون، في تحديد المراد بهذا اللقب ؛ فأما الفراء وثعلب، فيجعلانه خاصَّاً بالحرف (أنَّ) أو (أنْ) المفتوح الهمزة(عبد التواب ، 1983 ، 135). ويقول الفراء : لغة قريش

ومن جاورهم: أن، وتميم وقيس وأسد، ومن جاورهم، يجعلون ألف أنَّ، إذا كان مفتوحة عيناً ؛ يقولون : أشهد عَنَّكَ رسول الله، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف " (الأزهري ، 1967 ،111/1)

ومن ذلك قول ذي الرُّمَّة :

أعَنْ ترسَّمتَ من خرقاء مَنزلةَ ماءُ الصَّبابةِ من عينيكَ مَسْجُومُ

(ثعلب ، 1960،1 /81)

وقول الشاعر :

أعنْ تغنَّت على ساقٍ مُطوَّقَةٌ ورقّاءُ تدعو هديلاً فَوْقَ أعوادِ

(ابن هرمة ،1969، 105)

وَيفسر رمضان عبد التواب هذه الظاهرة تحت ما سَمَّاه " المبالغة في تحقيق الهمز "، يقول : " وإبدال الهمزة عيناً هُنا نوعٌ من المبالغة في تحقيق الهمز، كما يستفاد من نصِّ ابن دريد، وذلك علىٰ طريقة نطق بعض أهالي صعيد مصر : " لَعْ " في : " لأ " مثلاً . وأهل النوبة والسودانيون، يقع في كلامهم هذا الإبدال كثيراً في أيامنا هذه ؛ فقد سمعت بعضهم يقولون مثلاً : " فلان سَعَل عليك " يعني " سأل " (عبد التواب ، 1983 ،137)

10- الغمغمة : يقول رمضان عبد التواب (انظر عبد التواب ، 1983 ،137-138) : "ينسب هذا اللقب إلى " قضاعة"، وهو من الألقاب التي أبهم اللغويون العرب في تحديدها، فقالوا في تعريفه كلاماً عاماً لا يفيدنا ؛ يقول المبِّرَد، وهو يشرح كلام الرجل الجَرمي السابق أمام معاويةَ : " والغمغمة أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف (المبرد ، 1956 ،2/ 221 هـ) ويقول الحريري وأما غمغمة قضاعة، فصوتٌ لا يفهم تقطيع حروفه (الحريري ،1299 ،115). ويقول ابن يعيش : " والغمغمة أن لا يتبين الكلام وأصله أصوات الثيران عند الذعر، وأصوات الأبطال عند القتال ". (ابن يعيش ، د. ت ، 49/9)

وقد تقدم رمضان عبد التواب باقتراح إلى " لجنة اللهجات " في مجمع اللغة العربية، بحذف هذا اللقب في ألقاب اللهجات ؛ لأنه يرى هذا اللقب تحريفاً لكلمة : " عجعجة قضاعة " . وقد وافق مجمع اللغة على اقتراحه . وقرر حذف هذا اللقب من ألقاب اللهجات . (انظر عبد التواب ، 1983 ،138)

11- الفحفحة : ينسب هذا اللقب إلى قبيلة هذيل، باتفاق جميع اللغويين حيث يقولون: إنه عبارة عن قلب الحاء عيناً (السيوطي ، 1999 ، 164). وقد قرئ به في القرآن الكريم، في قوله تعالى : (حَتَّى حين) ؛ يقول ابن جني : روى عن عمر أنه سَمِعَ رجلاً يقرأ: (عَتَّى حين) (يوسف 35/12) فقال : من أقرأك ؟ قال : ابن مسعود، فكتب إليه إن الله عَزَّ وجل أنزل هذا القرآن، فجعله عربياً، وأنزله بلغة قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام " (ابن جني، 1386 هـ ، 343/1 وعبد التواب ،1983، 138)

ويرى رمضان عبد التواب أن عدم قلب الحاء، التي في (حين) دليلٌ على أن الظاهرة لم تكن عامة في كلِّ " حاء " عند قبيلة هذيل، وإنما هذا، الإبدال مختص بكلمة : (حتى) . (انظر عبد التواب ، 1983، 139)

ويضيف رمضان عبد التواب قائلاً : " وهذا يذكِّرُ بما يقابل كلمة :

" حتى" في العبرية والآرامية ؛ فهي في الأولى (לַ T) وفي الثانية (ﭭ) أي : العين والدال، أي أنه كما جَهَرت الحاء في لغة هُذَيْلٍ، فأصبحت عيناً، فإن هذا هو ما حدث في هاتين اللغتين، وزاد الأمر فيهما أن تماثلت التاء مع العين، فجهرت هي الأخرى، فصارت دالاً " (انظر عبد التواب ، 1983 ،139)

12- الفراتية : يقول رمضان عبد التواب (انظر عبد التواب ، 1983 ،139) : "ورد هذا اللقب، في بعض روايات خبر الرجل الجرمي، بدلاً من ": " رُتَّة العراق " و " لخلخانية العراق " ولم يتحدث عنه سوى ابن يعيش، الذي قال : " الفراتية " : لغة أهل الفرات، الذي هو نهر أهل الكوفة، والفراتان : الفرات ودجيل ". (ابن يعيش ، د . ت ،49/9)

ويضيف رمضان عبد التواب قائلاً : " ولعل المقصود بهذا اللقب، هو نفسه المقصود من " الرُتَة " و " اللخلخانية " في السرعة في الكلام، وما يترتب على ذلك من سقوط الحروف، وتقصير الحركات ؟ " (انظر عبد التواب ، 1983 ،139)

13- القطعة : يعزى هذا اللقب الى قبيلة طيِّىء، وهو عبارة عن قطع اللفظ قبل تمامه (انظر عبد التواب ، 1983 ،140) قال الخليل بن احمد الفراهيدي : "

والقطعةُ في طيء كالعنعنة في تميم، وهي أن يقول : يا أبا الحَكَا، وهو يريد: يا أبا الحكم فيقطع كلامه عن إبانة بقية الكلمة". (الفراهيدي ، 1967، 156)

ويرى رمضان عبد التواب من هذا أن القطعة نوعٌ من ترخيم اللفظ، كما نقول نحن الآن في مصر : " ياولَ " في " يا ولد : و " سلْخي " في : " مساء الخير ". (انظر عبد التواب ، 1983، 140)

14- الكسكسة : يقول رمضان عبد التواب (انظر عبد التواب ، 1983، 140) " يعزى هذا اللقب إلى قبيلة : " بكرٍ " (ابن يعيش، د.ت، 49/9)، كما يعزى إلى : " هوازن " (ابن جني ،1956، 12/2) وعن الفراء أنه في لغة " ربيعة ومُضَر " وفي القاموس المحيط أن " الكسكسة لغة تميم لا لبكر " (الزبيدي 1306 هـ، 234/4)

أما اللغويون العرب فقد اختلفوا في تحديد المقصود بهذا اللقب فيقول رمضان عبد التواب (انظر عبد التواب ، 1983، 141): " فذهب المبرد إلى أن قوماً في بكر، يبدلون من الكاف سيناً، ولكن أكثر القبيلة لا يجرون هذا الإبدال على الكاف، وإنما يُتبِعونَ كاف المؤنثة في الوقف سيناً، يقول المبرد: " وأما بكر فتختلف في الكسكسة، فقوم منهم يبدلون من الكاف سيناً من وهو أقلهم، وقوم يبينون حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين، فيزيدونها بعدها ؛ فيقولون : أعطيتكِس " (المبرد ، 1956 ، 223/2)

15- الكشكشة : يقول رمضان عبد التواب يُعزى هذا اللقب الى " ربيعة ومضر " (السيوطي ، 1999، 164) كما يُعزى إلى " بكْر" (ابن دريد ، 1351، 153/1)وبني عمرو بن تميم (المبرد ،2، 223/1956) و " ناس من أسد " (سيبويه ،1317 هـ، 295/2)

وقد عَرَّف اللغويون هذه الظاهرة، بأنها عبارة عن إبدال كاف المؤنثة في الوقف شيناً، أو إلحاقها شيناً . وقد ذكر سيبويه هذين المذهبين من مذاهب العرب في الكشكشة . فقال : " فأما ناس كثير من تميم، وناس من أسد، فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين، وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف، فارادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث، وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل؛ لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف، كان أقوى من أن

يفصلوا بحركة"... وذلك قولك إنش ذاهبة، وما ليش ؛ يريد : إنك ومالك ... وقوم يلحقون الشين، ليبينوا بها الكسرة في الوقف، كما أبدلوا مكانها للبيان ؛ ذلك قولهم : أعطيتكش، وأكرُمكِش، فإذا وصلوا تركوها" . (سيبويه ،1317 هـ ،295/2 وانظر عبد التواب ،1983 ،142)

ويفهم رمضان عبد التواب من كلام سيبويه هذا، أن الكشكشة خاصةٌ بكاف المؤنث في الوقف، وإن كانت أمثلته في إبدالها شيناً ؛ وهي : " إنَّش ذاهبة" : و " مالِش ذاهبة " لا تصلح فيما يرى رمضان عبد التواب إلا للوصل. (انظر عبد التواب ، 1983 ،142)

ومن أمثلة هذه الظاهرة التي يوردها اللغويون :

قول رؤبة :

تضحك مِنِّي إن رأتني أحترِشْ ولو حَرَشْتِ لكشفتِ عن حِرِشْ

(البغدادي ، 1982 ،419/4)

" أي عن حِرِك، فحوَّل كاف المخاطبة شيناً في الوقف ؛ لأنها في القافية " (عبد التواب ، 1983 ،143)

وكذلك قول الراجز :

هل لك أن تنتفِعي وأنْفَعـــش فتُدْخِلينَ اللَّذ مَعِي في اللَّذ مَعَشْ

(ابن عبد ربه ، 1953، 477/2)

وهناك أمثلة أخرى يوردها رمضان عبد التواب، على قلب كاف المؤنث شيناً في الوصل كذلك، منها قول مجنون ليلى :

فعيناش عيناها وجيدش جيَدُها ولكنَّ عَظْمَ الساق مِنشِ رقيقُ

(ابن جني ، 1954 ،216/1)

ويَعقدُ رمضان عبد التواب مقارنةً بين الكسكسة والكشكشة يخلص من خلالها إلى عددٍ من الملحوظات منها :

أولاً : نسبة ظاهرة الكسكسة والكشكشة، يقول رمضان عبد التواب : "تعزو الروايات التي بين أيدينا، ظاهرتي الكسكسة والكشكشة، أحياناً إلى قبيلة واحدة، كنسبة الفراء " الكسكسة الى ربيعة ومضر، والشائع هو نسبة " الكشكشة إليهما، كما أنه انفرد بتفسير الكسكسة عندئذ، بأنها، إلحاق كاف

المذكر سيناً " ! ولم يقل أحد غيره بمثل ذلك – كما أن ابن دريد والبلوي، ينفردان بنسبة " الكشكشة " إلى بكر، والشائع هو نسبة " الكسكسة " إليها.. ويبدو أن المسئول عن هذا الخلط هو قبول الكلمة للتصحيف، في السين والشين ! " .

ثانياً : ويرى رمضان عبد التواب كذلك، أنَّ الروايات تُجْمِعُ على أن ظاهرتي : " الكسكسة " و " الكشكشة " تنحصران في أمرين : إلحاق الكاف المكسورة سيناً في (الكسكسة) وشيناً (الكشكشة) أو إبدالها سيناً أو شيناً كذلك . (انظر عبد التواب ، 1983 ،145)

ثالثاً : يبدو أن ظاهرتي " الكسكسة " و " الكشكشة " كانتا مقيدتين في الأصل بكاف مكسورة، حتى يمكن لقانون : (الأصوات الحنكية) أن يلعب دوره . أما تقييد القدماء ذلك بكاف المؤنثة، فهو مبني – فيما يظهر – على استقراء ناقص، وعندما عثروا على مثال يُعارض قواعدهم، وهو: "الدِّيش "، في الرجز الذي سقناه من قبل، لجئوا في تفسيره إلى نظرية القياس ؛ فقالوا : شبه كاف الديك، بكسرتها بكاف ضمير المؤنث "ويبدو أن ثعلباً ، قد فطن إلى ذلك، حين تحدث في الكشكشة والكسكسة عن "الكاف المكسورة لا غير " ولم يقيدها بكاف المؤنث كغيره من اللغويين. (انظر عبد التواب ، 1983 ،147)

16- اللخلخانية : يقول رمضان عبد التواب (ثعلب ، 1960 ، 116/1 انظر عبد التواب ، 1983 ،105)وهذا لقب لم يعرف القدماء معناه على وجه التحديد، فأطلقوا معناه إطلاقاً، وقالوا : هو اللكنة في الكلام والعجمة والمسئول عن هذا التفسير، فيما يبدو، هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي؛ فهو يقول : " سمعت محمد بن الحسن بإسناد له لا أحفظه، عن رجل سَمَّاه أو كناه – أحسبه أبا الرباب – قال: كنا بموضع كذا وكذا، فأتانا رجلٌ فيه لخلخانية . قال أبو عبيد : اللخلخانية العجمة، يقال رجلي لخلخاني، وامرأة لخلخانية، إذا كانا لا يفصحان . قال البعيث بن بشر :

سيتركها إن الله جَارَهَا بَنُو اللخلخانيَّات وهيَ رُتُوعُ

أراد : بني العجميات " (ابن سلاّم ،1967، 488/4 ، ابن منظور ،1300-1307 هـ ،20/4)

ويضيف رمضان عبد التواب أن أوّل من وضع للخلخانية تفسيراً محدّداً هو أبو منصور الثعالبي فقال : " اللخلخانية تعرض في لغات أعراب الشِّمْر وعُمان، كقولهم : مَشاءالله كان، يريدون : ما شاء الله كان". (الثعالبي ، د.ت،173 وعبد التواب 1983 ،151)

17- الوتم : يقول رمضان عبد التواب (انظر عبد التواب ، 183 ،151) : "يعزى هذا اللقب إلى اليمن، وهو عبارة عن قلب السين تاءً " (السيوطي ،1999 ، 165)ومن أمثلته ما أنشده الفراء شاهداً على ذلك، قول علباء بن أرقم :

يا قَبَّحَ اللهُ بني السِّعْلاَةِ
عَمْرو بْنَ يَرْبوعٍ شِرارَ النَّاتِ
لَيْسُو أَعِفَّاء ولا أكْياتِ

يريد بالنات : الناس، وبالاكيات : الأكياس" (ابن السكيت ،1903 ،42)

ويعلق رمضان عبد التواب على هذا فيقول : " ولو صَحَّ ما روى عنهم، ولم يكن الداعي إليه الرجز، هو ضرورة إقامة القافية على حرف واحدة، كان من السهل تفسير قلب السين تاء، لأنهما من الناحية الصوتية، متناظران في الرخاوة والشِّدة، أي أنهما يتفقان في المخرج، وهو الأسنان واللثة، كما يتفقان في الهمس، وهو عدم اهتزاز الأوتار الصوتية، ويتفقان أخيراً في الترقيق، والفرق الوحيد بينهما، هو أن السين رخوةٌ أحتكاكية، والتاء شديدة انفجارية . والملاحظ أن الصوتين إذا تناظرا، أمكن قلب أحدهما إلى الآخر بسهولة، وأمامنا التناظر بين الحاء والعين، في الهمس والجهر، وما أدّى إليه من حدوث ظاهرة " الفحفحة " التي عرضت لها من قبل " (انظر عبد التواب ، 1983 ،151-152)

18- الوكم : يقول رمضان عبد التواب عن هذا اللقب : " ويعزى هذا اللقب إلى ربيعة وقوم من كلب ، وناس من بكر بن وائل. (السيوطي ،1999 ،165)، وهو عبارة عن كسر الكاف، من ضمير المخاطبين المتصل : (كم)، إذا سُبقَ بكسرة، أو ياء ؛ فيقولون : " بِكِمْ " في : بكمْ " و " عَلَيْكِم" في " عليكُم " (انظر عبد التواب ، 1983 ،152)

ويعلل رمضان عبد التواب هذه الظاهرة، وفق قانون المماثلة بين الأصوات المتجاورة، إذ تأثرت ضمة الكاف بما قبلها من كسرة أو ياء، فقلبت كسرة، لتنسجم مع ما قبلها . (انظر عبد التواب ، 1983 ،152)

19 الوهم : يعزى هذا اللقب إلى بني كلب . (السيوطي ، 1999، 165) ويعرفه رمضان عبد التواب بأنه : " عبارة عن كسر الهاء من ضمير الغائبين المتصل :(هُمْ) مطلقاً، فيقولون :" مِنْهِم " و" عَنِهم "و " بَينهِم " في": (مِنهُم) و (عَنهُمْ) و (بينهُمْ) " (انظر عبد التواب ، 1983 ،153)

ويخلص رمضان عبد التواب إلى أننا يمكن أن نفسر ظاهرتي : " الوكم" و"الوهم " من خلال قانون المماثلة الصوتية فيقول : " إن الأصل في ضميري الخطاب والغيبة ضم الكاف والهاء ؛ في مثل : " كتابكُم " و " كتابهُم " غير أن قبيلة كلب تجري قانون المماثلة الصوتية في " كُم " فتقلب هذه الضمة كسرة إن سبقت بكسرة أو ياء، وهذا هو : " الوكم " . كما أن اللغة الفصحى، تجري هذه المماثلة بشرطها السابق في : " هُمْ " وتعمم قبيلة كلب هذه المماثلة هنا، فيما لم يسبق بكسرة أو ياء، عن طريق القياس، وهذا هو : " الوهم " عندهم . (انظر عبد التواب ، 1983 ،153)

اللهجات

يوجد للدكتور رمضان عبد التواب جهودٌ كثيرة في دراسة اللهجات، تفرقت بين كتب وأبحاث ومن دراساته في اللهجات ما كتبه حول " امتداد اللهجات العربية القديمة في بعض اللهجات المعاصرة " فالدكتور لا يتفق مع من ظن بأن اللهجات الحية المعاصرة، في البلاد العربية ليست إلا انحطاطاً من العربية الفصحى، وبأن العربية الفصحى، كانت هي اللغة الوحيدة السائدة في الجزيرة العربية قبل الإسلام. (عبد التواب،1982، 263)

يقول رمضان عبد التواب: " غير أن ذلك الظن ليس إلا سراباً خدَّاعاً فقد روي لنا الكثير والكثير جداً، عن تعدُّد اللهجات العربية القديمة ، بتعدد القبائل المختلفة، وهذا يتفق مع ما ينادي به بعض المحدثين من علماء اللغة، مع أنه

يستحيل على أية مجموعة بشرية تشغل مساحة شاسعة من الأرض، أن تحتفظ في لهجات الخطاب بلغة موحَّدة ". (عبد التواب،1982 263)

ويشير إلى أن القدماء قد رووا لنا في بعض الأحيان، مقتطفات مبتورة، عن تلك اللهجات العربية القديمة، معزوة إلى أصحابها حيناً، وغير معزوة حيناً آخر، ومختلطة بالفصحى كذلك في بعض الأحيان . (عبد التواب،263،1982)

ويرى أن كثيراً من اللهجات القديمة، التي نجدها في المصادر العربية القديمة، كفحفحة هذيل، وعنعنة تميم، وتلتلة بهراء، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوزان، وقطعة طيىء، وعجعجة قضاعة، وغير ذلك من الظواهر اللهجية قد امتدت إلى بعض لهجاتنا الحية المعاصرة، ويضرب أمثلة على ذلك بكسر حرف المضارعة في اللهجات الحية المعاصرة في كثير من اللهجات الحية المعاصرة في البلاد العربية يقول: " نحن نعرف أن العربية الفصحى، تفتح حرف المضارعة في الثلاثي في نحو: يكتب، ويفتح، ويضرب، ويقول، ويبيع، ويرمي، ويروي، وغير ذلك، على حين نرى كثيراً من اللهجات الحية المعاصرة في البلاد العربية المختلفة تكسر حرف المضارعة في هذه الأمثلة وأشباهها، وهذا عينه هو ما رواه لنا أكثر القدماء عن قبيلة " بهراء "، وتعرف هذه الظاهرة عند هؤلاء القدماء باسم: " تلتلة بهراء " . (عبد التواب،1982 ،264-265)

وقد عزاها صاحب اللسان إلى كثير من القبائل العربية، فقال: "وتِعلَم"، بالكسر: لغة قيس، وتميم، وأسد، وربيعة، وعامة العرب . وأما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوزان، وأزد السَّراة، وبعض هذيل فيقولون: تَعلَم، والقرآن عليها وزعم الأخفش أن كلَّ من ورد علينا من الأعراب، لم يقل إلا يِعلَم بالكســـــر ". (ابن منظور، 1307 هـ،283/20)

ويضيف رمضان عبد التواب قائلاً أنه(عبد التواب،1982 ،267): " قد بقيت بعض آثار هذا القديم في العربية الفصحى نفسها، في بعض الأمثلة، إذ يُكْسَر في الفصحى حرف المضارعة، في " إخال " بمعنى: " أظن " في كثير من النصوص التي وصلت إلينا ومن شواهده قول أبي ذويب:

فغبرت بعدهُمُ بعيشٍ ناصبٍ وإخالُ أنِّي لاحقٌ مستتبعُ

(ابن جني،1954، 322/1)

ومن ذلك أيضاً: " ما يشيع في بعض اللهجات العربية الحديثة في مصر وغيرها، من استعمال اسم المفعول من الفعل الأجوف اليائي على التمام، أي على وزن مفعول، دون إعلال يطرأ عليه، فيقول الناس في مصر مثلاً: فلان مَدْيون، أي عليه دَيْن، مَرْيوح، أي ضعيف لا يقدر على حمل الأثقال، ومَطْيور، أي متسرع في عمله، ومخيول، أي منشغل بما في خياله من أوهام . كما يقال في بعض البلاد العربية عن الثوب إنه مخيوط، ومن فلان من الناس إنه مَهْيون، وعن الشيء إنه معيوب مَبْيوع، وعن الحَبِّ إنه مَكْيول " وغير ذلك . (عبد التواب،1982، 268-269)

أما العربية الفصحى فهي: " تُعِلُّ هذه الأسماء ما يشبهها بما يسمى الإعلال بالنقل، فتقول مثلاً: مَدِين، ومخيط، ومعيب ومبيع، ومكيل، وغير ذلك " . (عبد التواب،1982، 269)

ويرى رمضان عبد التواب، أن ما شاعَ في اللهجات العامية المعاصرة، ليس إلا لهجة لقبيلة تميم (الاستراباذي، 1982، 149/3) من القبائل العربية القديمة. (عبد التواب،269،1982) قال البغدادي في التعليق على قول العباس بن مروان السلمي:

قد كان قومك يحسبونك سيداً وإخال أنك سيِّد مغيون

(البغدادي،1982 هـ، 4/388-389)

" قوله: مغيون، جاء على لغة تميم . ولغة غيرهم: مغين ... "

وقد أشار سيبويه إلى هذه اللغة، وإن لم ينسبها إلى تميم ؛ فقال: " وبعض العرب تُخرجه على الأصل ؛ فيقول: مخيوط ومبيوع ": (سيبويه، 1317هـ،2/363)

ومن ذلك أيضاً ما شاع على ألسنة الناس من قولهم في لهجات الخطاب: " ظلموني الناس " ولاموني العواذل "و " زارونا الجيران " و " تَنُّو صاحي لحدِّ ما رجعوا العيال من بَرَّه " أي بإلحاق الفعل علامة جمع، وهو متقدم على الفاعل المجموع. (انظر عبد التواب،270،1982)

وهذا كُلُّه روي لنا عن قبيلة طيىء القديمة، وقد حكيت لنا هذه اللغة كذلك، عن قبيلة " بلحارث بن كعب " وقبيلة " أزد شنوءة " وهما من القبائل اليمنية، التي تمت بصلة لقبيلة طيىء " . (عبد التواب،1982، 271)

ومن الظواهر اللغوية الشائعة في اللهجات المعاصرة، وهي امتداد للقديم كذلك: ظاهرة سقوط الهمز في غير أول الكلمة كثيراً مثل قولنا في لهجات

الخطاب: بير وياكل، وراس، وليست هذه الظاهرة في اللهجات المعاصرة؛ إلا امتداداً لما كان عند الحجازيين القدماء في نطقهم لهذه الكلمات وأمثالها . (عبد التواب،1982، 272)

لحن العوام

ألفَّ القدماء في لحن العامة، ولكن هدفهم لم يكن كهدف علماء اللغة في العصر الحديث، بل كان همهم الأكبر هو إعادة هؤلاء الخارجين على الفصحى إلى حظيرة اللغة القديمة، فلم يوردوا لنا نصوصاً كاملة عن تلك العصور، كما فعلوا مع العصور الأولى شعراً ونثراً بل كانوا يكتفون بإيراد بعض الكلمات التي تكبلها الكتابة العربية بقيدها الثقيل فتطمس كثيراً من معالم التطور الصوتي فيها ولاسيما فيما يخصُّ أصوات العلة في هذه الكلمات، وهم لا يفتئون يسبون العامة ويلعنون الخاصة لمتابعتهم هؤلاء المجانين في تلك الأوهام الفاضحة . (عبد التواب،1999، 70)

ولذلك فقد أصاب برجشتراسر في نظر رمضان عبد التواب حيث يقول: "والذي منع علماء الشرق – مع بذل الجهد العجيب في درس اللغة العربية من جهة الصرف والنحو ومن جهة المفردات الاعتناء الكافي بالكشف عن تطور اللغة بعد الإسلام، سببان مرتبطان أحدهما بالآخر، أولهما: مداومتهم على السؤال عن الجائز في اللغة وضده، وعلى المنع عن كثير من العبارات . وهذا وإن كان واجباً نافعاً فهو عمل المعلم لا العالم، فالعالم يفحص عمَّا يكون في الحقيقة، لا عمَّا كان ينبغي أن يكون، والمعلم لا يظن أن تعليمه أقوى من الحياة، فإن نسي هذه النصيحة، واجتهد أن يقهر حياة اللغة ويعوقها جازته وغفلت عن تعليمه . فيتسع إذاً الشقُّ الحاجز بين اللغة الحقيقية الحية، وما يعلمه النحويون، كما نشاهد ذلك في تاريخ اللغة العربية . والسبب الثاني: اعتقاد علماء الشرق أن أكمل ما كانت عليه اللغة العربية وأتقنه وأحسنه ما يوجد في الشعر القديم وهذا حكم غير علمي ... " (برجشتراسر،994، 17-21)

ولا يسعى رمضان عبد التواب في دراسته هذه الظاهرة إلى ترويج اللحن إذ يقول " وإنما يعني بحثنا إياها الإجابة عن هذا التساؤل: كيف تكونت العامية ؟

ولماذا تكونت ؟ وماذا يعني بكلمة العامية ؟ وماذا يعني بكلمة الفصحى، وما المقاييس التي تخضع أحكامنا لها في الحالتين ؟ وهل يتحدث العامة بكلامهم كيفما اتفق دون قاعدة أوقانون ؟ وما السرُّ في انحرافهم عن الفصحى ؟

كل هذه الأمور يمكن أن تفيد منها العربية فائدة كبيرة في معرفة خط سيرها وتطورها، والظروف التي يمكن أن تساعد على نموها وانتشارها في بقاع الأرض المختلفة ". (عبد التواب،1999، 8)

وقد تناول ثلاثة من المؤلفين المحدثين كتب " لحن العامة " بالدراسة، ويلاحظ رمضان عبد التواب أن منهجهم يختلف عن منهجه وهم المستشرق " يوهان فك " J. fuck في كتابه: " العربية" والدكتور حسين نصار في فصل من كتابه: " المعجم العربي " والشيخ محمد علي النجار في كتابه: الأخطاء اللغوية الشائعة ويعرض لهذه الكتب باختصار قبل أن يشرع في دراسته (عبد التواب،1999، 95-101) ويلخص رمضان عبد التواب منهجه في دراسة لحن العامة بما يلي: (عبد التواب،105،1999)

أولاً : اتباع المنهج التاريخي في ترتيب تراث لحن العامة حسب وفاة مؤلف كل كتاب بالتقويم الهجري .

ثانياً : ترجمة موجزة للمؤلف يعرض فيها للخطوط الرئيسية في حياته، ويتحدث عن المشهورين من شيوخه وتلاميذه . ونشير إلى بعض مصادر ترجمته .

ثالثاً : وصف منهجه في كتابه إن كان هذا الكتاب موجوداً سواء أكان مطبوعاً أم مخطوطاً، وتبيين مركزه بين المؤلفين في لحن العامة وأصالته في تأليفه أو تقليده غيره . فإن كان الكتاب مفقوداً ومنه اقتباسات في كتب أخرى، جمعناها وأقمنا عليها دراستنا .

رابعاً : دراسة لأهم السمات التي ينفرد بها الكتاب عن غيره من كتب لحن العامة .

خامساً : محاولة لتطبيق قوانين التطور اللغوي على بعض أمثلة ذلك الكتاب، مع ر بط هذه الأمثلة إلى حدٍّ ما في مختلف العصور بخيط التطور ومراحله .

سادساً :ويضع الدكتور رمضان عبد التواب قائمة بأسماء الكتب ومؤلفيها التي أقام عليها دراسته: (عبد التواب، 1999، 105-018)

1- ما تلحن فيه العوام، للكسائي 189 هـ .
2- ما يلحن فيه العامة، لأبي الهيذام، من علماء القرن الثالث الهجري .
3- البهاء فيما تلحن فيه العامة، للفراء 207 هـ.
4- ما تلحن فيه العامة، لأبي عبيدة 208 هـ .
5- ما يلحن فيه العامة، للأصمعي 216 هـ.
6- ما خالفت العامة فيه لغات العرب، لأبي عبيد 224 هـ .
7- ما يلحن فيه العامة، لأبي نصر الباهلي 213 هـ .
8- إصلاح المنطق، لابن السكيت 224 هـ .
9- ما يلحن فيه العامة، للحارثي 249 هـ .
10- ما تلحن فيه العامة، لأبي حاتم السجستاني 255 هـ.
11- النحو ومن كان يلحن من النحويين، لابن شبة 262 هـ
12- أدب الكاتب، لابن قتيبة الدينوري 276 هـ .
13- ما يلحن فيه العامة، لأبي حنيفة الدينوري 280 هـ.
14- لحن العامة، لأبي علي الدينوري 289 هـ.
15- الفصيح، لأبي العباس ثعلب 291 هـ.
16- تقويم اللسان، لابن دريد الأزدي 321 هـ.
17- قويم الألسنة، للديمرتي، من علماء القرن الرابع الهجري .
18- فائت الفصيح، لأبي عمر الزاهد 345 هـ.
19- إصلاح غلط المحدثين، للخطابي 388 هـ.
20- تمام فصيح الكلام، لابن فارس اللغوي 395 هـ.
21- التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة الإصفهاني 350 هـ .
22- ليس في كلام العرب، لابن خالويه 379 هـ .
23- لحن العوام ، لأبي بكر الزبيدي ، 379 هـ.
24- ما يلحن فيه الخواص من العلماء، لأبي أحمد العسكري 382 هـ.

25- ما تلحن فيه الخواص من العلماء لأبي هلال العسكري 395 هـ.
26- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، لابي مكي الصقلي 501هـ
27- درة الغواص في أوهام الخواص ما للحريري 516 هـ .
28- ما تلحن فيه العامة ، للكفر طابي هـ .
29- اللحن الخفي لهارون بن أحمد أحمد الحلبي 537 هـ .
30- التكملة فيما يلحن فيه العامة، للجواليقي 539 هـ .
31- المدخل إلى تقويم اللسان، لابن هشام اللخمي 577 هـ .
32- غلط الضعفاء: الفقهاء، لابن بري 582 هـ.
33- تقويم اللسان، لابن الجوزي 597 هـ .
34- ذيل فصيح ثعلب، لعبد اللطيف البغدادي 629 هـ.
35- تهذيب الخواص من درة الغواص، لابن منظور 711 هـ.
36- لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام، لأبي علي التونسي 117 هـ.
37- الفوائد العامة في لحن العامة، لابن جزى الكلبي 741 هـ.
38- تصحيح التصحيف وتمرير التحريف، للصفدي 764 هـ .
39- إيراد اللال من إنشاد الضوال، لابن خاتمة الأنصاري . حوالي 770 هـ .
40- الجمانة في إزالة الرطانة، لابن الإمام . بعد 827 هـ .
41- غلطات العوام، المنسوب للسيوطي 911 هـ.
42- التنبيه على غلط الجاهل والتنبيه، لابن كمال باشا 940 هـ .
43- عقد الخلاص في نقد كلام الخواص، لرضى الدين بن الحنبلي 971 هـ .
44- بحر العوام فيما أصاب فيه العوام، لرضى الدين بن الحنبلي 971 هـ .
45- سهم الألحاظ في وهم الألفاظ ، لرضى الدين بن الحنبلي 971 هـ .
46- خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، لعلي بن بالي القسطنطيني 992 هـ .
47- نفائس عرائس الكلام، لخسروزاده هـ.
48- دفع الإصر عن كلام أهل مصر، للشيخ يوسف المغربي 1019 هـ .
49- القول المقتضب، لابن أبي السرور 1087 هـ .
50- أصول الكلمات العامية، لحسن توفيق 1322 هـ .

51- لغة الجرائد، للشيخ ابراهيم اليازجي 1324 هـ .

52- تهذيب الألفاظ العامية، لشيخ محمد علي الدسوقي . نشره سنة 1331 هـ .

53- تذكرة الكاتب، لأسعد خليل داغر 1354 هـ .

54- أخطاؤنا في الصحف والدواوين، للزعبلاوي . نشره سنة 1358 هـ.

55- المحكم في أصول الكلمات العامية للدكتور أحمد عيسى بك 1365 هـ .

56- عثرات اللسان في اللغة، لعبد القادر المغربي 1375 هـ .

57- حول الغلط والفصيح على ألسنة الكتاب لاحمد ابي الخضرمنسي1383 هـ.

ونأخذ مثالاً على منهج رمضان عبد التواب في هذه الدراسة ففي حديثه في أول كتاب (ما تلحن فيه العامة) للكسائي 189 هـ . بدأ بالحديث عن نشرات الكتاب فقال : " نشر هذا الكتاب من قبل مرتين، الأولى بعناية المستشرق " كارل بروكلمان " G . Brokelmann في مجلة الآشوريات ZA المجلد الثالث عشر (29-46)، ثم نشرة الأستاذ عبد العزيز الميمني سنة 1344 هـ في مجموعة بعنوان: " ثلاث رسائل " تحتوي على: مقالة " كلاً " وما جاء منها في كتاب الله لابن فارس وكتاب: " ما تلحن فيه العوام للكسائي " ورسالة الشيخ ابن عربي إلى الإمام الفخر الرازي ثم نشرناه . نحن بالقاهرة سنة 1982 م"(عبد التواب،1999 ،109)

ثم يعرف بصاحب الكتاب يقول: " ومؤلف الكتاب هو أبو الحسن علي بن حمزة بن يهمن بن فيروز الأسدي المشهور بالكسائي، رأس مدرسة الكوفة، وأحد القراء السبعة أخذ عن الخليل بن أحمد، وعيسى بن عمر الثقفي، والمفضل الضبي، ويونس بن حبيب ومعاذ الهراء وحمزة بن حبيب الزيات وغيرهم . وانتفع بعلمه خلق كثير منهم: أبو زكريا الفرا ء وابن الأعرابي وأبو عبيد القاسم بن سلام وعلي بن المبارك الأحمر، توفي سنة 189 هـ (عبد التواب،1999 ،109)

ويتحدث عن الاختلاف الذي حدث بين اللغويين في نسبة هذا الكتابي إلى الكسائي، ويشير إلى أن الدكتور حسين نصار قد تناول هذا الكتاب بالدراسة في كتاب " المعجم العربي " ويرفض رمضان عبد التواب تشكيك حسين نصار في نسبة هذا الكتاب إلى الكسائي يقول: " لا يعني سكوت كتب الطبقات عن ذكر كتاب معين لعالم من العلماء أن نسبة هذا الكتاب إليه زيفٌ على وجه الإطلاق " (عبد التواب،1999 ،111)

ويختم رمضان عبد التواب دراسته لكل كتاب في لحن العامة، بالحديث عن أسلوب الكتاب وطريقة معالجته للحن في عصره، يقول عن منهج الكسائي في كتابه:" نرى أنه غير منهجي على الإطلاق إذ تسرد فيه الكلمات سرداً وتعدُّ عَدَّاً دون أي نوع من الترتيب أو التقسيم، وليس هذا بغريب على أول تأليف في موضع " لحن العامة " فهو لا يهتم بجمع النظير إلى نظيره فالأرقام (1) حَرِصَ (2) نَقَم (5) عَجَز (11) عَسَيْت (18) دَمَع (62) نَكَلَ عن. كل هذه الأرقام مثلاً يجمعها أنها تعالج أفعالاً مفتوحة العين، وكسرها لحن عند الكسائي. (عبد التواب،1999 ،118)

ويطبق رمضان عبد التواب بعض قوانين التطور اللغوي على بعض الكلمات التي يوردها الكسائي يقول: " ونستفيد من كتاب الكسائي تطورات صوتية، وأخرى في الصيغ فحسب ولا يحتوي على أمثلة لظواهر التطور في الدلالة أو في النحو " (عبد التواب،1999 ،120)

فمن أمثلة التطور الصوتي قوله: " وتقول: سَمُّور وشَبُّوط وكَلُّوب وسُّود، وكل ما كان على فعُّول بتشديد العين مفتوح الأول وكذلك دَبُّوق وعَبُّود وحَسُّون إلا حرفين فإن العرب تكلمت بهما بالضم والفتح، وهما السَّبُّوح والقُدُّوس، وبعضهم يقول السَّبُّوح والقَدُّوس" .

يقول رمضان عبد التواب : " ففي هذه الأمثلة تطورت اللغة بضم أول الكلمة لكن تنسجم هذه الحركة مع حركة الضم التالية لها، وذلك من أنواع التأثر الرجعي التام في حالة الانفصال . (عبد التواب،1999 ،120)

ومن المخالفة الصوتية، وهي إبدال أحد الصوتين المتماثلين صوتاً آخر يغلب أن يكون صوتاً متوسطاً أو صوت علة يقول الكسائي (رقم 38): " ويقال: أترجٌّ واجانة، وإجَّاص . هذه الأحرف بإسقاط النون .

"فحين ينطق عامة بغداد في زمن الكسائي هذه الأمثلة: أترنج وإنجانة، وإنجاص؛ فإن ذلك يعني بالنسبة للغويين المحدثين حدوث تطور في الأصوات نتيجة لتأثير قانون المخالفة " (عبد التواب،1999 ،121)

ومن آثار قانون السهولة والتيسير ومن أمثلة التطور في الصيغة قوله : "وتقول هذه أتان، للأنثى من الحمير، بغير هاء " ؛ إذ يعني هذا أن العوام كانوا

ينطقون هذه الكلمة: " أتانة " بتطور الصيغة من التأنيث بدون علامة, إلى التأنيث بالتاء قانون السهولة والتيسير . (عبد التواب،1999 ،121)

ومن النتائج التي يَخْلُص إليها عبد التواب في هذه الدراسة:" أن اللغة أية لغة عرضة للتطور والتغير، وأنها في تطورها وتغيرها تخضع لقوانين مختلفة، رأينا آثارها في كلِّ ما سلف من كلام العامة على مرِّ العصور " (عبد التواب،1999 ،438)

وهذا الحديث يجريه رمضان عبد التواب على اللغة العربية، حتى في عصرها الذهبي العصر الجاهلي يقول: " فإنها لم تكن لغة جامدة، أو لغة مرَّ عليها آلاف السنين، وهي لم تتطور أو تتغير، كما يظن بعض الناس ؛ بل هي – في نظرنا – على العكس من ذلك، تمثل في تلك الفترة مرحلة من مراحل تطور العربية ونموها تسبقها مرحلة أقدم منها ضاعت ولم يصل إلينا من أمرها شيءٌ محدد واضح، غير أننا نستطيع بمقارنة اللغات السامية المختلفة، واللغة العربية منها أن نعثر في بعض الظواهر على أمثلة قديمة في تلك اللغات تعدُّ أصولاً لما يوجد في العربية فكلمة " ليس " في العربية مثلاً يعدُّها أكثر النحاة العرب فعلاً جامداً من أخوات " كان " ؛ فيقول ابن هشام في مغني اللبيب : " وهي فعل لا يتصرف وزنه فَعِل بالكسر ثم التزم تخفيفه، ولم نقدره فعل بالفتح ؛ لأنه لا يخفف، ولا فَعُل بالضم، لأنه لم يوجد في يأتي العين إلا في هَيُؤ " . (ابن هشام ، 1964 ،293/1 وعبد التواب،1999 ،438)

يفسر رمضان عبد التواب هذا قائلاً: " وإننا إذا نظرنا إلى ما يقابلها في اللغات السامية الأخرى، عرفنا أنها مركبة من حرف النفي: (لا) وكلمة: " أيس) التي لا وجود لها الآن في اللغة العربية إلا في بعض التعبيرات القديمة ؛ كقول العرب: " ائتني به من حيث أيس ولَيْس " ومعناه: من حيث هو ولا هو " . وفي حالة تركيبها مع (لا) ضاع منها الهمز، فصارت الكلمة: (لايْس) وهي مكونة من مقطعين الأول منها طويل مغلق حركته طويلة، وهو غير جائز في العربية إلا بشروط سبق أن ذكرناها، وهي ليست موجودة هنا، فتخلص العرب منه بتقصير حركته، فصارت الكلمة " ليْسَ " (عبد التواب،1999 ،439)

ويضيف رمضان قائلاً : " وهذا مثال يتبين لك منه كيف أن ما وصل إلينا مما يسمى بعربية الجاهلية هو مرحلة من مراحل تطور العربية " (عبد التواب،1999، 440)

الفصل الثالث

جهوده في الدراسات الصرفية .

يُعدُّ عبد التواب النظام الصرفي ثابتاً، على الرغم من أن استقراره يتطلب وقتاً أطول، ولكنه بعد أن يستقر لا يعتريه تغيرٌ يذكر، ذلك لأن الصرف لا يتغير في أثناء جيل واحد، بل هو كالصوتيات، إنما يتغير في الإنتقال من جيلٍ إلى جيل، فالنظام الصوتي والنظام الصرفي إذا ما اكتسبا مرةً بقيا طول العمر، وهما يدينان باستقرارهما ، إلى استقرار ذهنية المتكلم.(انظر عبد التواب، 1981 ، 12)

وقد تناول عبد التواب عدداً من القضايا الصرفية وهي :

أبنية الأفعال

من خلال دراسة رمضان عبد التواب لأبنية الفعل في اللغات السامية، وجد أنها تستخدم أبنية فعلية متعددة، لتعبِّر من خلالها عن شتى أوجه المفاهيم الفعلية، وهذه الأبنية تؤخذ من الأصل، الذي هو الأساس المشترك للاسم والفعل ؛ فهذه اللغات يتعلق المعنى الأساسي المشترك فيها، بثلاثة أصوات صامتة (consonants)، فالكلمات العربية : " ملَكَ " و " ملِكٌ " و " ومُلْكٌ " و " مملكة ". ترجع كلها إلى أصل واحد مشترك بينها جميعاً وهو " الميم واللام والكاف . (انظر عبد التواب ، 1997 ،229)

ويضيف رمضان عبد التواب قائلاً : " وليس من اللازم أن تكون كلُّ الأبنية التي نعالجها هنا، مستعملة مع كل فعل في اللغات السامية " (انظر عبد التواب ، 1997 ،229). ويستخدم الأصل : (ق ت ل) مع أنه ليس موجوداً في بعض اللغات السامية، وذلك على سبيل التمثيل.

أولاً : الوزن الأصلي (مجرد الثلاثي)

يتناول رمضان عبد التواب الوزن الأصلي المجرد للفعل قتل في اللغات السامية، فهو في العربية : " قَتَلَ "katala "وفي الحبشية :(ΦΤΛ katal) وفـــي العبريـــة (קָטַל) وفـــي الآراميـــة : (ktāL) وفي

سقطت من العبرية والآرامية، فإنها توجد فيهما قبل ضمائر النصب، إذ يقال في العبرية مثلاً: ( ]ִנִי]ַלָטַק katalani) وفي الآرامية : (ܩܛܠܢ qatLan) بمعنى : قَتَلَنِي " . ومن القواعد المقررة في دراسة اللغات أن الصيغ المتصلة بضمائر النصب كثيراً ما تحتفظ بالعناصر القديمة في اللغة " (انظر عبد التواب ، 1997، 23) .

كما أن موضع النبر في العربية على المقطع الأول، في حين أنه في باقي اللغات السامية، واقع المقطع الثاني . (انظر عبد التواب ، 1997، 229)

والراجح عند بروكلمان أن الحالة الثانية هي الأصل، لأنه يرى أن المقطع الثاني، هو المقطع الأساس، وحركته هي الحركة الرئيسة، وبذلك يرتبط بها الفرق بين المتعدي واللازم في الفعل . (بروكلمان ،1977، 45 وعبد التواب ،1997،230)

ويضيف رمضان عبد التواب أن هذا الوزن الأصلي (فعل) مُتعدٍّ، فإذا غيَّرنا حركة المقطع الثاني فيه، بالضم أو بالكسر، نتج عنه وزنان آخران لازمان لا يتعديان " يدل أحدهما وهو (فَعُل) على الخصائص الثابتة المستمرة ؛ مثال ذلك في العربية : حَسُن " وفي العبرية : (katon]ָטֹן) " صَغُر " . والثاني وهو: " فَعِل " يدل على الأعراض المتغيرة ؛ مثال في العربية : " يَبِسَ " و "فَرِحَ " . ومثاله في العبرية : (šālēm]ֵלֵם) " سَلِمَ" ([ָלֵם) " سَلِم" (šalem zaken). "هَرِم "

أما الحبشية فقد تحولت فيها هاتان الحركتان في الأفعال اللازمة إلى كسرة قصيرة ممالة (e)؛مثاله : (Labesa ለበሰ)"لَبِسَ " إلى أصبحت تنطق هي ونظائرها فيما بعد ، بسكون المقطع الثاني ؛ فيقال : labsa ومثل ذلك أيضاً: (gabra ገብረ) " عَمِلَ" .(انظر عبد التواب ،1997، 231)

أما العبرية فيرى رمضان عبد التواب أن وزن (فَعُل) نادرٌ فيها، ولا يوجد كذلك في اللغة الآرامية، إلا في بعض الأفعال المتحجرة، مثل (kfōd כָּפֹד) أنتفش الطائر " (ʾakōm אָכֹם) " اسودَّ " أما وزن (فَعِلَ) فمنه في العبرية والآرامية أفعال كثيرة نسبياً . وقد ذكرنا بعض أمثلته في العبرية، أما الآرامية فمن أمثلته فيها: (dḥel ܕܚܠ) " خاف" (šreḳ ܫܪܩ) " بقر " (انظر عبد التواب ، 1997، 231)

أما الآشورية ففيها بعض الأفعال، التي جاءت على وزن (فَعُلَ) مثل : imarus " مَرِضَ "، أو التي جاءت على وزن (فَعِلَ) مثل : isalim سَلِمَ ". (انظر عبد التواب ، 1997، 232)

ثانياً : وزن فَعَّل :

ويصاغ بتكرير عيْن الفعـــل، ويدل على الشـــدَّة والتكرار في الحدث intensive-iterative)، ويضيف رمضان عبد التواب قائلاً : " غير أنه غالباً ما يدل على السببية (kausativ) كذلك ؛ ففي العبرية " قَتَّل " (kattala) وفـــي الحبشية:(ΦΤΛ kattala) وفي العبريـــــــة : (קִטֵּל) kittel وفي الآرمية (ڡڵڵ) kattel وحركة العين في هاتين اللغتين الأخيرتين، مقيسة على حركتها في المضارع. وفي الآكادية : kattal " (انظر عبد التواب ، 1997، 232)

ثالثاً : وزن فاعل :

وينتج هذا الوزن بمدّ حـــــركة فاء الفعل، ولا يوجـــــد إلا فـــــي المجمـــــوعة الجنوبية من اللغات السامية ؛ ففي العربية : " قَاتَلَ " وفي الحبيشية: (ባረከ baraka) "بـــارك " (aḳaya) " عَذَّب " (ዋሐየ) wahaya " زار " (انظر عبد التواب ، 1997، 232) أما السامية الشمالية فإنها تخلو من هذا الوزن .

رابعاً : وزن السببية :

يقول رمضان عبد التواب : " وتشترك اللغات السامية كلُّها مرة أخرى، في بناء وزن السببية (kausativ) بواسطة مقطع يُزاد في الأول، وتسقط معه حركة فاء الفعل . وهذا المقطع هو : " أ " في العربية والحبشية والآرامية، ( ) في العبرية، وsa أو sa في الآشورية والمعينية ". (انظر عبد التواب ، 1997، 232-233)

ويضيف رمضان عبد التواب قائلاً: " وإذا كانت أنواع هذه المقاطع المختلفة، لا يمكن إرجاعها إلى أصل واحد، فإن ذلك يؤدي إلى الاعتقاد بأنها نشأت جميعها في السامية الأولى، الواحدة بجوار الأخرى، ولا تزال توجد في بعض هذه اللغات كذلك، فالشائع في العربية الشمالية هو المقطع : (أ) مثل : " ادْخل) غير أنه روى لنا فيها كذلك أفْعَال تبدأ بالمقطع : (ha) ؛ مثلاً هَرَاق أراق ؛ هَرَاد = أراد " (انظر عبد التواب ، 1997، 233)

وأما العربية الجنوبية، ففي اللهجة السبئية منها ؛ أداة السببية هي (ha) وفي اللهجة المعينية هي : (sa) وفي الحبشية تُبنى السببية بالمقطع : ( ) في مثل: (aktala) كما تبنى كذلك بالمقطع (sa) وذلك في مثل (astaraya)أظهر نفسه " (انظر عبد التواب ، 1997، 233)

وفي العبرية يشير رمضان عبد التواب إلى أن أصل المقطع في اللغة العبرية، هو : (ha) بالفتح، غير أن العبرية إذا وقع فيها الفتح في مقطع مغلق ليس بمنبور، تحوّل إلى كسر مثل: قَبْري (في العربية) . ( ) والدليل على أن أصل حركة الهاء هو الفتح، وجود هذا الفتح في المضارع، مثل: (yaktil) يَقْتُلُ "؛ لأنه مختصر من: (yaktil) كما اختصرت : "يُكرِمْ" من " : يؤكرم " مع الفارق في الحركات بالطبع. (انظر عبد التواب ، 1997، 233-234)

ولا يكاد يوجد في آرامية العهد القديم إلا المقطع (٦ ١) . أما اللغة السريانية، فليس فيها إلا المقطع (a)، فيما عدا الكلمات الدينية المستعارة من العبرية، عن طريق الآرامية اليهودية، مثل (haymen) آمن " وهذه الكلمة : " هيمن " استعارتها اللغة العبرية بمعنى : " سيطر " (انظر عبد التواب ، 1997، 234)

وفي السريانية بقايا لوزن السببية، بزيادة المقطع، (sa) أو (ša) مثل: (ša<bed) استعبد (šamii) " أكمل " (šawda) أخبر (sawhar) " اخترَ " ( ) (srarḥeb) أسرع" (sakbel) استقبل (sbask) سبَقَ. أما الاكادية فلا يوجد فيها إلا المقطع : (sa) وذلك مثل :usadgil " أظهر " (انظر عبد التواب ، 1997، 234)

خامساً : وزن المطاوعة بالتاء : يبنى هذا الوزن من كلِّ وزن من الأوزان السابقة، ويبنى بزيادة المقطع (ta) في أوله، ويسمى : وزن الانعكاسية (Reflexiv) أو المطاوعة، أو الافتعال .(انظر عبد التواب ، 1997، 234)

ففي الوزن الأول (مجرد الثلاثي : يقول رمضان عبد التواب : " تسقط حركة فاء الفعل، عند بناء وزن الافتعال منه، بسبب انتقال النبر من عليها إلى

المقطـــع: (ta) وعندئذ تنتـــج صيغة : taktala، وهذه الصيغة التي نتجت على هذا النحو، لا وجود لها – علـى الرغـــم من قدمها – إلاّ فـــي الحبشيـــة في كلمـــة : (tanse>a) "ارتفع" ولا يوجد لها فيما عدا ذلك من اللغات السامية، بسبب ما يسمى " القياس البنائي (انظر عبد التواب ، 1997 ،235)، على النحو التالي :

" في اللغة العربية : أثرت صيغة المضارع على صيغة الماضي ؛ إذ اشتق من المضارع : " يَقْتَلُ "، الذي فقدت التاء فيه حركتها، بسبب انتقال النبر – ماض جديد، هو " قْتَلَ ؛ ولأنه لا يجوز الابتداء بساكن في العربية احتاجت هذه الصيغة إلى ألف الوصل، فقيل : (اقْتَلَ) ولا تزال هذه الصيغة مستعملة في العربية في مصر والمغرب، ففي مصر يقال مثلاً : " انتَصَرْ : بمعنى : نُصِرَ . كما يقولون في تونس tktib " كُتِبَ " وفي مراكش : tsarak " سُرِق " (انظر عبد التواب ، 1997 ،235)

أما في العربية الفصحى، فقد وضعت فيها التاء بعد فاء الفعل، فقيل ؛ " اقْتَتَلَ " ويرجح بروكلمان (بروكلمان ،1977 ،110) أن السبب في هذا القلب المكاني، هو القياس على الأفعال الكثيرة، التي تبدأ بصوت من أصوات الصفير، كالسين والشين، فإن القاعدة السامية العامة، تقول بالقلب المكاني بين تاء الافتعال وفاء الفعل، إذا كانت هذه الفـــاء مـــن أصـــوات الصفير ؛ ففي العربية: اشتمل وفي العبرية (𐤀𐤋𐤁𐤉𐤓𐤔) " احترس "، وفي السريانية : (estmek>) " اعتمد" وفي الآشورية : (astanan>) " أقاتل " (انظر عبد التواب ، 1997 ،236)

أما في الحبشية فيقول رمضان عبد التواب عن هذا الوزن : " فقد تأثر فيها هذا الوزن : taktala من ناحية بوزن الافتعال في المضعف takattala في الإبقاء على حركة فاء الفعل، ومن ناحية أخرى بالوزن الأصلي اللازم نحو (Labsa) الذي يقاربـــه فـــي المعنى فسقطـــت حركة العيـــن، وجاءتـــنا لذلـــك صيغـــة : (ለበሰ) (انظر عبد التواب ، 1997 ،236)

" أما في العبريـــــة، فـــــلا وجود لهـــذا الوزن فيهـــا إلا في الفعـــل: (הִתְפָּקְדוּ hitpāḳdu) عـــدُّوا ومثـــل ذلـــك فـــــي الآراميـــــة: (אֶתְפְּקֶד ʾetpḳed) " فُقِدَ ". (انظر عبد التواب ، 1997، 236)

والافتعال من الوزن الثاني (فعّل) فيأتي : " بزيادة المقطع :" (ta) على وزن فعّلَ يظهر في صورته الأصلية في العربية والحبشية ؛ ففي الأولى : " تقتّل " وفي الثانية : (ተቀተለ taḳattāla) أما الآرامية والعبرية، فليس فيهما هذه الصورة الأصلية، بسبب اشتقاق ماض جديد مـــن المضـــارع، مثالـــه من الآرامية : (אתפקד >etpakkad) ومثالـــــه مـــن العبـــريـــــــة: (הִתְקַטֵּל hitḳatteL) "تقتّل "، وقد قيست فيه حركة العين على حركتها في مضعف العين المجرد، وقد ورد بفتح العين أحياناً، كما فـــي آرامية العهـــد القديم (הִתְקַטַּל hitkattal) والمقطع (!) هنا متأثر بمقطع السببية.(انظر عبد التواب ، 1997، 236)

" أمَّا الافتعال من وزن (فَاعَلَ)، فلا يوجد إلا في العربية والحبشية، لأن وزن " فاعل " لا وجود له إلا في السامية الجنوبية". (انظر عبد التواب ، 1997، 237)

وأما الافتعال من وزن السببية، فإنه يوجد كذلك في كُلِّ اللغات فيما عدا العبرية، غير أنه يبنى من السببية بالهمزة (a >) في الآرامية، ومن السببيـــة بالسين (sa) في غيرها (انظر عبد التواب ، 1997، 237)

" وفي العربية، كان المفروض أن يكون بناء الماضي هو : " تَستَقْتَل " ومضارعه " يَستَقْتِلُ " غير أنه حدث قلب مكاني في المضارع، بسبب ما ذكرناه من قبل، من خصائص حروف الصفير، فصار المضارع : " يستقتِل "، واشتق منه ماضٍ جديد، بعد حذف حرف المضارعة، واجتلاب ألف الوصل، فصار الماضي : " استقبل" .

وقد حدث مثل ذلك تماماً في الحبشية : (ʾastaktāla ኧስተቀተለ)والآشوريه مثل: (ustaksid) استقبل " (انظر عبد التواب ، 1997، 237)

وفي الآرامية وحدها، يبنى الافتعال في السببية بزيادة المقطع : (et>) قبل وزن السببية ؛ فمثلاً (אתפעל >afel) : (אתתפעל > etafal) ثم

يحدث إدغام الهمزة في التاء، فتصير في النهاية : (ﻣﺘﻔﺴﻰ > ettafsi) أفعل " (انظر عبد التواب، 1997 ،238)

سادساً : المطاوعة بالنون : مطاوعة انفعال بالنون يقول رمضان عبد التواب وإلى جانب وزن الافتعال للمطاوعة بزيادة المقطع : (ta)، هناك مطاوعة (انفعال) بالنون، في كل من العبرية والآكادية والعربية، ونؤثر أن نسميه هنا بوزن " الانفعال"، حتى يتميز عن الوزن السابق . وهو يبنى من مجرد الثلاثي بزيادة مقطع في الأول فيه (نون) . وتظهر الصورة الأصلية لهذا الوزن في ماضي العبرية: " (הִפְעִיל hif<al) وأمر الاكادية : (maktil) أما العربية، فقد ظهر فيها هنا بناء جديد، مأخوذ من المضارع ؛ مثل : " انكسر ".(انظر عبد التواب ، 1997 ،338)

ويوجد وزن الانفعال هذا في الحبشية أيضاً، غير أنها لا تصوغه من مجرد الثلاثي بل من الرباعي ؛ مثل : (ahfar <asa >) " وَثَبَ " . (انظر عبد التواب ، 1997 ،238)

سابعاً : المبني للمجهول : يقول رمضان عبد التواب : " ولكن وزن من الأوزان الأربعة الرئيسية (مجرد الثلاثي وفعّل وفاعَلَ والسببية) في الأصل، صيغة خاصة بالمبني للمجهول وتحرُّك مقاطعها بضم الأول، وكسر الثاني، وفتح الثالث، بدلاً من تتابع الفتحات في صيغة المبني للمعلوم" (انظر عبد التواب ، 1997 ،239-238)

" أما اللغة الحبشية فَقَد فُقِدَ المبني للمجهول منها مطلقاً . وكذلك ضاعت الصيغة الأصلية للمبني للمجهول من الثلاثي في اللغة العبرية، ونابت عنها صيغة " الانفعال (נִפְעַל). (انظر عبد التواب ، 1997 ،238-239)

أما المبني للمجهول في السببية في العبرية، فإنه على وزن: (הָקְטַל) وقد قيست حركة العين في الماضي على حركتها في المضارع : (יַקְטִיל) وليس في السريانية مبني للمجهول في صورته الأصلية، ولكن اسم المفعول مع الفاعل المسبوق باللام، يمكن أن يقوم فيها مقام المبني للمجهول ؛ مثل: (ܠܫܡܝܥ smī<lan) بمعنى : مسموع لنا، أي : سُمِعَ لنا، يعني : سَمِعْنا .

واحتفظت الآشورية بآثار المبني للمجهول في خطابات تل العمارنه ؛ مثل : dika " قُتِلِ في مقابل : daka " قَتَلَ " (انظر عبد التواب ، 1997 ،240)

أما العربية فيصاغ المبني للمجهول فيها، من أوزان الافتعال والانفعال أيضاً . وليس هذا في العبرية إلا أثارٌ ضئيلة مثل (hitpakdu הִתְפָּקְדוּ) عُدُّوا / أُحْصِيَ عَدَدُهم " (انظر عبد التواب ، 1997 ،240)

ثامناً : أبنية أخرى : يقول رمضان عبد التواب : "وفيما عدا الأوزان الأربعة الرئيسة، يوجد في بعض اللغات السامية، أبنية أخرى، لا نذكر منها هنا إلا وزني: " افعلَّ " و " افعالَّ " في العربية ؛ مثل : " اخضرَّ " و " احمرَّ " و " اشهابَّ " و " اصفارَّ " (انظر عبد التواب ، 1997 ،240)

أبنية جديدة :

يقول رمضان عبد التواب : " وتشترك الحبشية والآكادية، في الميل نحو توسيع دائرة الأوزان الأربعة الرئيسة، بأبنية جديدة، فإن الحبشية مثلاً يبنى وزن السببية لا في الوزن الأصلي فحسب مثل : (aktala ኣክተለ <) بدل من وزني (فعَّل) و (فاعَلَ) كذلك ؛ مثل: (akattala ኣክተለ <) و (akatala ኣካተለ <).

ويقل وجود وزن السببية في (فعَّل) في الأكادية، غير أن اللغتين تميلان، علاوة على ذلك، إلي تكديس حروف الزيادة، المترادفة المعنى، في وزن الافتعال؛ فإن الحبشية تصوغ من الفعل : (antolea< ኣንጠለዐ <) غطَّى . وهو سببي انفعالي – مبيناً للمجهول بزيادة للافتعال هكذا (tantol<a ትንጠለዐ <) " غطِّيَ " ومثل ذلك في اللغة الآشورية : (iptanala) " يعظِّمون " (انظر عبد التواب ، 1997،240)

أثر الوزن الشعري في أبنية العربية

من الآثار التي يلاحظ رمضان عبد التواب أثرها في ابنية العربية، الوزن الشعري، ممثلاً على ذلك بما حدث في صيغة (افعالَّ) ؛ ذلك أن هذه الصيغة تعدُّ

من المقطع الرابع (مقطع طويل مغلق حركته طويله) وهذا المقطع لا يجوز في العربية الفصحى إلا في آخر الكلمة في حالة الوقف عليها وأو في وسطها بشرط أن يكون المقطع التالي له مبتدئاً بصامت يماثل الصامت الذي خُتم هو به، وهذه الحالة الأخيرة هي ما عَبَّر عنها اللغويون العرب القدامى (بالتقاء الساكنين على حدهما) وهو أن الأول حرف مدٍّ، والثاني مدغماً في مثله نحو: دابَّة و (شابَّة)و (الضالِّين) وما أشبه ذلك . (انظر عبد التواب،194،1983-195)

إذن فصيغة (افعالّ)، يغتفر فيها التقاء الساكنين، على رأي النحاة، أو بعبارة أخرى يجوز فيها ورود المقطع الرابع، ولكن لا بدَّ أن ننبه أن كلَّ ذلك خاص بالنثر أما الشعر فإن هذا المقطع الرابع، لا يجوز فيها أصلاً ؛ إلا في الوقف على القافية أي أنه لا يجوز فيها أمثال: دابَّة، وشابَّة، والضالين، ومدهامَّتان، واحمارَّ، واصفارَّ، وغيرهما. (انظر عبد التواب،195،1983)

إذن فالشعر العربي، لا يقبل مثل هذا النوع من المقاطع، ولذلك فإن الشاعر إذا أراد استخدام كلمة، تحتوي على هذا المقطع الجائز في النثر، عمد في رأي رمضان عبد التواب إلى إقحام همزة في الكلمة، أو بعبارة أخرى، قسم المقطع إلى مقطعين مثل قول كثير عَزَّة: (انظر عبد التواب،196،1983)

وأنت ابْنَ لَيْلَىَ خيرُ قومِكَ مشهداً إذا ما احمأرَّت بالعبيط العوامِلُ

(كثير،1971، 294)

ويقول كثير أيضاً:

وللأرض أمّا سُودُها فتجلَّلَتْ بياضاً وأمَّا بيضُها فادهأمَّتِ

(كثير،1971، 223)

ويقول الحطيئة:

وضيَّعْتُ الكرامةَ فارمأدتْ وقَبَّضْتُ السِّقاء في جَوْف سَلْم

(الحطيئة ،175،1987)

يقول رمضان عبد التواب:" ومن هنا يبدو أن كلَّ صيغة على وزن:" افعأل "، قد جاءت في العربية عن هذا الطريق، حتى ولو لم يوجد إلى جوارها صيغة: "افعالّ" في الاستعمال . ويحشد رمضان عبد التواب بعد ذلك أمثلة على هذه

الصيغ محاولاً ربط المعنى في كلِّ مثالٍ بالثلاثي منه، والبحث عن الأشعار التي ذكرت فيها هذه الأمثلة: (عبد التواب، 1983، 197-198)

(اتمأر): يقال: اتمأرَّ الشيء اتمئراراً، فهو متمئر .

إذا كان صلباً مستقيماً، أو طويلاً شديداً . ومن أمثلة وروده في الشعر، قول زهير بن مسعود الضبي:

ثَنَّى لها يهتِكُ أسحارها بمتمئرٍّ فيه تحريبُ

(ابن منظور،1307 هـ،61/5)

(اجثألَّ): يقال اجثأل النبت، إذ طال وغلظ والتفَّ . واجثأل الشعر والريش إذا انتفش . ومن أمثلته الشعر قول جندل بن المثنى:

جاء الشتاء واجثألَّ القُرُّ (الأزهري،1967، 56/10، ابن دريد، 1351 هـ،217/3)

ولا شك أن لهذا المثال علاقة بما تذكره المعاجم العربية حتى أن الجثل والجثيل من الشجر والثياب والشَّعر: الكثير الملتف . (عبد التواب، 198،1983)

ويشير رمضان عبد التواب إلى أمثلة كثيرة على ذلك، مشيراً إلى أنه يمكننا أن نحكم باطمئنان إلى أن أصل الأمثلة السابقة هو: " افعالَّ " أي اتمارَّ، واجثالَّ. (انظر عبد التواب،1983 ،213)

وينبه رمضان عبد التواب إلى أن صيغة: "افعالَّ " ليست، خاصة في العربية بالألوان، ذلك أنه عثر على أمثلة كثيرة في الأدب العربي، والمعاجم اللغوية، لصيغة افعالَّ غير الألوان مثل: (انظر عبد التواب،213،1983)

1ـــابلاج الشيء ابليجاجاً: وضح (ابن القطاع، 1360هـ، 113/1، واللسان، 1307 هـ، 37/3)

2ـــابلاقَّ الباب: انفتح (ابن القطاع، 1360 هـ، 113/1، واللسان، 1307 هـ، 148/5)

3ـــابهارَّ الليل: انتصف (ابن القطاع، 1360هـ، 112/1 واللسان، 1307 هـ، 148/5).

ولم يكن إقحام الهمزة في هذه الأمثلة وغيرها، هو التطور الوحيد الذي أصابها يقول رمضان عبد التواب: " فقد أدَّت المبالغة في تحقيق الهمز هنا، إلى قلب الهمزة عيناً، في بعض كلمات هذا الوزن في الفصحى، على طريقة نطق بعض أهالي صعيد مصر: " لَعْ " في: " لأ" مثلاً، وعلى طريقة " العنعنة " في لغة تميم " (عبد التواب، 1983، 214-215)

وهناك تطور آخر لصيغة " افعأل "، لم يبالغ في تحقيق الهمزة فيها، وإنما يميل إلى تسهيلها بعض الشئ، فتنقلب في النطق هاءً . (انظر عبد التواب، 1983، 220)

وهناك الكثير من الآثار الأخرى للوزن الشعري على أبنية العربية يقول رمضان عبد التواب: " فالوزن الشعري هو المسئول مثلاً عن وجود (الكلكال) إلى جانب (الكلكل) بمعنى: الصدر، و (درهام) إلى جانب (درهم) و (ختام) إلى جانب خاتم) وغير ذلك مما سبق أن أشرنا إلى بعضه " (عبد التواب، 1983، 224)

ومن ذلك قولهم: (لم أُبَلْ) و (ولا أدْرِ) ؛ فقد كثر استعمالهم لهاتين الكلمتين في النثر بهذه الصورة والقياس فيهما: (لم أبالِ) و (لا أدري) وهم يعللون للحذف فيهما بكثرة الاستعمال " أما نحن، فإننا نرى أن الشعر، هو المسئول عن نشوء هاتين الصيغتين، من صيغ الكلام في العربية (عبد التواب، 1983، 225) فقد وردت (لم أُبَلْ) في قول الشاعر:

ولولا ابنةُ الوَهْبيِّ رَيْدَةُ لَمْ أُبَلْ طِوال الليالي أن يحالِفَهُ المَحَلُ

(الإصفهاني،1968، 38)

وقول الفرزدق:

لَوْلا يدا بشر بن مروان لَمْ أُبَلْ تكثُّر غَيْظٍ في فؤادِ الْمُهَلَّبِ

(الفرزدق،1987، 18)

" مراحل تطور الأفعال المعتلة في اللغة العربية "

ومن القضايا الصرفية التي يدرسها رمضان عبد التواب، تحت ما سمَّاه " الركام اللغوي " مراحل تطور الأفعال المعتلة في اللغة العربية وأخواتها اللغات السامية (انظر عبد التواب، 59،1982)

حيث يرى أن مراحل تطور هذه الأفعال قد تركت ركاماً لغوياً في تلك اللغات. وهذه المراحل هي :

أولاً : مرحلة الصحيح التام : يقول رمضان عبد التواب عن تطور هذه الأفعال: " فإنها كانت : قَوَلَ، وبَيَع، وخَوِف، وطَوُل، ودَعَوَ، وقَضَى، ورَوَى، وَهَوَى، على نمط الصحيح التام. وهذه المرحلة بقيت كما هي في الحبشية.(انظر عبد التواب، 1982 ،60)

أما العربية فقد بقيت فيها من هذه المرحلة، عدةُ أفعال، مثل " عَورَ " بمعنى فقد إحدى عينية، و " حَوِرَ " و " هَيِفَ " و " استحوذ ".(انظر عبد التواب، 1982 ،60)

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التسكين، أو ضياع الحركة بعد الواو والياء للتخفيف، فيصبح الفعل على نحو : قَولَ، وبَيْعَ، وخَوْف، وقَضَىْ، ورَمَىْ.(انظر عبد التواب، 1982 ،60)

ويشير رمضان عبد التواب إلى فطنة ابن جني إلى ضرورة وجود هذه المرحلة في طريق تطور الأفعال المعتلة ؛ فقال : " ومن ذلك قولهم : " إنَّ أصل قام : قوَم، فأبدلت الواو ألفاً وكذلك : باع، أصله بَيَع، ثم أبدلت الياء ألفاً، لتحركها وانفتاح ما قبلها. وهو لعمري كذلك ". (ابن جني،1956، 2/471-472)

ويشير كذلك إلى بقاء هذه المرحلة في قبيلة طيِّء يقول : " فقد رُوي لنا عنها أنها تقول مثلاً : " حُبْلَى " و " أفْعَىْ " و " هُدَىْ " وما شابه ذلك، في الوصل والوقف.(انظر عبد التواب، 1982 ،60)

أما المرحلة الثالثة : فهي مرحلة " انكماش الأصوات المركبة " يقول رمضان عبد التواب : والأصوات المركبة في العربية هي : الواو والياء المسبوقتان بالفتحة، في مثل : " قَوْل " و " بَيْت "، فإن الملاحظ في تطور اللغات، هو انكماش هذه الأصوات، فتتحول الواو المفتوح ما قبلها إلى ضمة طويلة ممالة ؛ كقولنا في اللهجة المصرية مثل : yōm و nōm و sōm بدلاً من : يَوْم " و " نَوْم " و " صَوْم ". وكذلك تنكمش الياء المفتوح ما قبلها، فتتحول إلى كسرة طويلة ممالة ؛ وكقولنا كذلك في اللهجة المصرية مثلاً : " zēt " و " Lēl " و " bēt " بدلاً من: " بَيْت " و "لَيْل" و " زَيْت " وغير ذلك. ويرى رمضان عبد التواب أن هذه المرحلة هي الشائعة في اللغة الحبشية، في الأفعال الجوفاء وبعض اللهجات العربية التي تميل في مثل قوله تعالى : ﴿ والضُّحَى ۞ والليل إذا سَجَى۞ ما ودعك ربُّكَ وما قَلَى ﴾ (الضحى ،1/93).(انظر عبد التواب، 1982 ،64)

أما المرحلة الرابعة : فهي مرحلة التحول من الإمالة إلى الفتح الخالص ؛ يقول: " ذلك أن الحركة الممالة الناتجة من انكماش الصوت المركب، كثيراً ما تتطور في اللغات المختلفة، فتحول إلى فتحة طويلة ؛ فمثلاً كلمة : " فأيْنَ " تطورت بعد سقوط الهمز منها إلى : " فَين " fēn، بدلاً من : " فَيْن "، وفي بعض

اللهجات: " وَين " "wēn المتطورة عن :" وَيْن " بعد سقوط الهمز من : " وأين". غير أننا نسمع بعض أهالي مصر العليا، ينطقون الكلمة الأولى بالفتح الخالص ؛ فيقولون : " فان " بدلاً من : " فِين " " fēn " الشائعة فيما عدا ذلك في بلاد مصر، أي أن التطور في هذا الصوت المركب، كان على النحو التالي : ā<ē<ay (انظر عبد التواب، 1982 ،64-65)

ويضيف رمضان عبد التواب أن : " هذا التطور الأخير هو الذي وصلت إليه العربية في مثل : " قام " و " باع " و " خاف " و " دَعَا " و " قضى " و "رَمى".(انظر عبد التواب، 1982، 65)

ألف المقصور ياء

يعالج رمضان عبد التواب هذه الظاهرة تحت ما سمَّاه بـــ (الخصَائص اللغوية لقبيلة طيِّيء القديمة) وتدور هذه الظاهرة حول أن قبيلة طيِّيء كانوا ينطقون بالألف المقصورة ياءً عند الوقف والوصل (انظر عبد التواب، 1982،243) قال سيبويه :" قول بعض العرب في أفعى : هذه أفْعَىْ، وفي حُبْلَى : هذه حُبْلَىْ، وفي مُثْنَّى : هذا مُثْنَّىْ، فإذا وصلتْ صيرتها ألفاً، وكذلك كل ألف في آخر الاسم. (سيبويه،1317 هـــ،282/2)

وتنسب هذه الظاهرة إلى قبائل أخرى غير طيِّيء وهي فِزارة وناس من قيس يقول سيبويه : "حدثنا الخليل وأبو الخطاب أنها لغة لِفزارة وناس من قيس، وهي قليلة ". (سيبويه،1317 هـــ،287/2)

ويخالف رمضان عدداً من العلماء الذين قالوا أن الألف المقصورة هي الأصل، وأن الياء في مثل : " حُبْلَىْ وأفْعَىْ "، في لهجة طيِّيء، وغيرها، ليست إلا انقلاباً لتلك الألف. (انظر عبد التواب، 1982 ،243)، كما يقول أبو علي الفارسي : " الياء في الأواخر وقعت موقع الألف في الوصل والوقف، وذلك لغة طيِّيء فيما حكاه (سيبويه) عن أبي الخطاب وغيره من العرب ". (أبو علي الفارسي،1965، 63/1-64)

فرأي رمضان عبد التواب أن الياء أسبق من الألف في سلسلة التطور اللغوي إذ يقول : " غير أن الاطلاع على اللغات السامية من جانب، وتحكيم القوانين

الصوتية من جانب آخر يدلاَّن على أن مثل : حُبْلَىْ وأفْعَىْ بالياء، أسبق في سلسلة التطور اللغوي من " أفْعَى وحُبْلى بالألف". (انظر عبد التواب، 1982 ،244)

ويقيس رمضان عبد التواب التطور في الاسم المقصور على التطور الذي حدث في الأفعال الناقصة، مثل : رمى ودعا، وهي تماثل في صورتها هذه صورةَ الأسماءِ المقصورةِ في الفصحى. (انظر عبد التواب، 1982 ،244)

ومن هنا فقد وضع رمضان عبد التواب، أربع مراحل لتطور الاسم المقصور قياساً على الأفعال المعتلة :

المرحلة الأولى مرحلة التصحيح : ذلك أننا إذ رجعنا إلى الأفعال الناقصة في اللغات السامية، وجدنا أنها كانت تَتَصَرَّفُ تصرُّف الصحيح تماماً. (انظر عبد التواب، 1982 ،244)

ويدلل رمضان عبد التواب على ذلك بقوله : " والدليل على ذلك وجود هذا الأصل القديم في اللغة الحبشية الجعزية، وهي إحدى اللغات السامية، ففيها مثلاً يقال: " صَحَوَ " في صحا، و " تَلَوَ " في: تلا " و " رَمَي " في "رمى". (انظر Dilmann 1959 , 163-165 وعبد التواب،1982 -244)

ويضيف رمضان عبد التواب قائلاً : " ولم يبقَ في هذه المرحلة في اللغات السامية الأخرى إلاّ بقايا قليلة من الأفعال الجوفاء ؛ مثل : حَوِرَ، وعَوِر، وهيفَ واستحوذ، واستوق، وغيرها ". (انظر عبد التواب، 1982 ،245)

ويقيس رمضان عبد التواب الاسم المقصور على هذا فيقول : " إذا رجعنا بالاسم المقصور إلى هذه المرحلة القديمة فإنه يكون مثل : " هُدَىٌ، وفَتَىٌ، وعَصوٌ، وقَفَوٌ، وما إلى ذلك ". (انظر عبد التواب، 1982 ،245)

المرحلة الثانية : مرحلة التسكين، في تطور الأفعال المعتلة والأسماء المقصورة، أو سقوط الحركة بعد الواو والياء للتخفيف، فيصبح الفعل على نحوْ "قَضَىْ ودَعَوْ، كما تصبح الأسماء المقصورة على نحو : أفْعَىْ وعَصَوْ. وقد بقيت هذه المرحلة في نظر رمضان عبد التواب فيما روى لنا مثل : أفْعَىْ وحُبْلَىْ ومُثَنَّىْ وغيرها. (انظر عبد التواب، 1982 ،245)

ومن الأمثلة التي تساق على قلب ألف المقصور ياءً عند طيِّىء قول الراجز :

إن لِطيٍّ نسوةً تحت الغَضَىْ

يمنعهنَّ اللهُ ممن قد طَغَىْ

بالمشرفيَّات وطعْنٍ بالقَنَىْ

(ابن جني،1،160/1954 وابن جني،1386 هـ،77/1)

يريد : الغضا، وطغى، والقنا. (عبد التواب، 1982 ،247)

ومنه حديث طلحة بن عبيدالله : " فوضعوا اللُجَّ على قَفَيَّ يعني على قَفَايَ (ابن سلاَّم، 1964 – 4،1/1967وابن منظور ، 1307 ،55/20)

ومن ذلك بيت لأبي داود الإيادي، وهو :

فأبلوني بليتكم لعلِّيَ أصالِحْكم وأستدرجْ نَوَيَّا

(ابن جني ،1956، 341/2)

المرحلة الثالثة : " انكماش الأصوات المركبة " يقول رمضان عبد التواب والأصوات المركبة في العربية هي الواو والياء المسبوقتان بالفتحة، في مثل : " قَوْل و " بَيْت " ؛ فإن الملاحظ في تطور اللغات هو انكماش هذه الأصوات، وتحولها إلى حركات ممالة، مثل قولنا في العامية، يُوم، صُوم، ونُوْم بدلاً من: يَوْم، وصَوْم ونَوْم. ومثل قولنا كذلك، بَيِت bet، ولِيل Lel، وعِين en< ، بدلاً من بَيْت ولَيْل وعَيْن ". (عبد التواب، 248،1982)

ويرى رمضان عبد التواب أن هذه المرحلة هي الشائعة في اللغة الحبشية في الأفعال الجوفاء. كما توجد هذه المرحلة أيضاً، في اللهجات العربية التي تُمِيلُ، في مثل قوله تعالى: ﴿ والضُّحَى ۞ والليل إذا سَجَى۞ ما ودعك ربُّكَ وما قَلَى﴾ (الضحى ،1/93). في قراءة من أمال. (عبد التواب، 249،1982)

أما المرحلة الرابعة في تطور الأسماء المقصورة، والأفعال الناقصة والجوفاء، فتتمثل في التحول من الإمالة إلى الفتح الخالص. ومن أمثلة ذلك : " تطور عبارة : " السلام عليكم " إلى " السلام علاكم " في بعض لهجات الخطابِ القديمة والحديثة ؛ فقد مَرَّت هذه اللهجات بالإمالة أولاً، ثم الفتح الخالص ".(عبد التواب، 249،1982)

كما جاء في قول بعض العرب : " إنَّ الرَّجَزَ لَعَابٌ، أي لعيبٌ والرجز ارتعاد مؤخر البعير ".(أبو زيد الأنصاري،1884 ،3)

ويرى رمضان عبد التواب أن : " هذا الطور الأخير، هو الذي وصلت إليه العربية، في المقصور والناقص والأجوف، في نحو " الفتى والهدى، وحُبْلَى وأَفْعَى، ودعا وسعى، وقام وباع، وغير ذلك. (عبد التواب، 1982، 250)

الفصل الرابع

جهوده في الدراسات النحوية

يتناول عبد التواب في هذا الفصل المستوى النحوي، ومن هذه المسائل قضية الإعراب التي عارض فيها استاذه أنيس الذي تابع قطرب في رأيه، حيث يرى عبد التواب أن الإعراب لم يأتي لمجرد وصل الكلام، وانما جاء للدلالة على معنى الفاعلية والمفعولية. ووضع عدداً من الأدلة للتدليل على رأيه، وتناول كذلك الإعراب وترتيب أجزاء الجملة، ويأتي هذا القانون تحت ما سمّاه بالتطور في إنتاج أنماطٍ مختلفةٍ للجملة الواحدة، ذلك أن اللغـــات التـــــي تحتوي مورفيم (morphem) وهي علامةٌ تلحق الكلمة للدلالة على وظيفتها في الجملة، وتناول كذلك قضيتن أخريين كَثُرَ دورانهما في كتب اللغة وهما قضيتا لغة أكلوني البراغيث(Resumptive pronauns)

" قضية الإعراب "

تعرض الدكتور رمضان عبد التواب لعدد من القضايا النحوية، ومن هذه القضايا " قضية الإعراب " ذلك أن النحاة جميعاً – إلاّ أبا علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب – قد أجمعوا على أن حركات الإعراب، تدل على المعاني المختلفة، التي تعتور الأسماء، من فاعلية أو مفعولية أو إضافة أو غير ذلك (عبد التواب، 1983 ،371–395)

ويوافق رمضان عبد التواب جمهرة النحاة القدماء، على أن للإعراب معاني عدة، ولكن قبل أن نعرض وجهة نظر الدكتور رمضان، لا بدَّ أن نعرض قضية الإعراب التي سنتحدث عنها.

قلنا إن علماء العربية جميعاً يرون أن للإعراب معاني، فالجملة إذا كانت فعلاً من الإعراب، احتملت معاني عدة، (عبد التواب، 1982 ،371–372) يقول الزجاجي : "فإن قال قائل : قد ذكرت أن الإعراب داخل في الكلام، فما الذي دعا إليه وأحتيج إليه من أجله ؟ فالجواب أن يقال : إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافاً إليها، ولم يكن في صورها وأبنيتها، أدلة على

هذه المعاني، بل كانت مشتركة، جعلت حركات الإعراب فيها، تنبئ عن هذه المعاني، فقالوا: ضرب زيد عمراً، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له، وبنصب عمرو على أن الفعل واقع به ". (الزجاجي، 69،1959)

فالإعراب عند القدماء يدل على المعنى، ويوقف فيه على أغراض المتكلمين، يقول ابن فارس اللغوي : " فأمَّا الإعراب فبه تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين ؛ وذلك أن قائلاً لو قال(ما أحْسَن زيد) غير معرب؛ أو(ضرب عمرو زيد) غير معرب، لم يوقف على مراده. فإذا قال : ما أحسن زيداً، أو ما أحسنَ زيدٌ، أو ما أحْسنُ زيدٍ، ابانَ الإعراب عن المعنى الذي أراده. وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها، فهم يفرقوه بالحركات وغيرها بين المعاني. (ابن فارس ، 1977، 190)

وقد عارض هذه النظرة " قطرب " الذي يرى وحده أن هذه الحركات، جيء بها للسرعة في الكلام، وللتخلص من التقاء الساكنين، عند اتصال الكلام ؛ فيقول: وإنما أعربت العرب كلامها ؛ لأن الاسم في حالة الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً، لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقباً للإسكان؛ ليعتدل الكلام، ألا تراهم بنو كلامهم على متحرك وساكن، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة، ولا في حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحركة ؛ لأنهم في اجتماع الساكنين يبطئون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون، وتذهب المهلة في كلامهم، فجعلوا الحركة عقب الإسكان " (الزجاجي، 70،1959)

وقد تابع قطرب في رأيه هذا، الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه:"من أسرار اللغة"ويلاحظ رمضان عبد التواب تأثره برأي قطرب.(أنيس، 1975، 198-274)

ويعرض رمضان عبد التواب رأي الدكتور إبراهيم أنيس قائلاً : " فقد بدأ بمقدمة طويلة، بيّن فيها كيف كان للنحاة سلطان على الشعراء والأدباء، وأنهم لم يصادفوا من يهاجمهم إلا في النادر، من أمثال : " ابن مضاء القرطبي " الذي ألف كتاباً، تصدَّى فيه لدحض علل النحاة. ثُم يذكر الدكتور أنيس أن المحاولة الثانية كانت محاولة إبراهيم مصطفى في كتابه : " إحياء النحو "، فإنها كانت محاولة تعليمية، لتيسير تلك القواعد الإعرابية على الناشئين.(عبد التواب، 1983 ،373)

ويبحث الدكتور إبراهيم أنيس عن آثار هذا الإعراب في اللغات السامية ، ويأخذ عليه رمضان عبد التواب، أنه لم يتعرض للإعراب في الأكادية والحبشية والأوجاريتية، مع أن هذه اللغات الثلاث، من أهم اللغات السامية في موضوع الإعراب، واستأثرتْ العبرية ببحثه في أقل من صفحة، وقال إبراهيم أنيس إنها استأثرت ببحث المستشرقين كذلك (أنيس،1975 ،213)، وعلل اعتقادهم في وجود الإعراب في اللغات السامية :" تأثرهم بما حدث في مشروع الفصيلة الهندية الأوربية، فقد عرفوا أن الوضع الإعرابي، الذي يسمى، case-ending كان شائعاً في لغاتهم القديمة، كاليونانية واللاتينية، وأنه قد فقد من اللغات الأوربية الحديثة، كالإنجليزية والفرنسية، فتصوروا أن ما حدث في التطور التاريخي للفصيلة الهندية الأوربية، قد تم مثله في الفصيلة السامية".(أنيس،1975 ،215)

وبعد أن استعرض الدكتور أنيس إعراب اللاتينية باختصار، قال : " ولعل أهم فرق بين رموز الأسماء في اللاتينية، وبين حركاتنا الإعرابية، أن الرموز اللاتينية لا تسقط مطلقاً، من نهاية الأسماء حين الوقوف عليها، كما يحدث غالباً للحركات الإعرابية في لغتنا، مما يجعلنا نرجح أن حركاتها الإعرابية، ليست رموزاً لغوية، تشير إلى الفاعلية أو المفعولية، أو غير ذلك ".(أنيس،1975 ،218-219)

وبعد أن درس أنيس ظاهرة الوقف، في اللغة العربية ولهجاتها بشيء من التفصيل (أنيس،1975 ،220-236)خرج بنظريته الجديدة، في تفسير ظاهرة الإعراب في اللغة العربية، ويلخص نظرية أنيس فيما يلي:(عبد التواب، 1983 ،274-376)

أولاً : ليس للحركة الإعرابية مدلول، فلا تدل الحركات الإعرابية على فاعلية، أو مفعولية، أو إضافة، أو غير ذلك.

ثانياً : هذه الحركات لا تعدو أن تكون حركات، يحتاج إليها في الكثير الغالب، لوصل الكلمات بعضها ببعض، بمعنى أنها حركات للتخلص من التقاء الساكنين، عند وصل الكلام، وأن معنى الفاعلية والمفعولية، لا يستفاد مِنْ هذه الحركات، وإنما من موقع كل من الفاعل والمفعول في الجملة العربية، وحاول الدكتور أنيس – تبعاً لذلك – أن يثبت نظاماً معيناً للجملة العربية القديمة – يلي فيها الفاعل على الفعل، ويسبق المفعول.

ثالثاً : هناك عاملان تدخلا في تحديد حركة التخلص من التقاء الساكنين، أولهما: إيثار بعض الحروف لحركة معينة، كإيثار حروف الحلق للفتحة مثلاً، وثانيهما : الميل إلى متجانس الحركات المتجاورة، أو ما يُسميه : vowel harmony.

رابعاً : سمع النحاة القدماء هذه الحركات، فأخطئوا تفسيرها، حين عَدُّوها علامات على الفاعلية والمفعولية وغيرها، في حين أنها لا تعدو أن تكون حركات وصل بين الكلمات.

خامساً : وحين اعتقد النحاة أنها حركات إعرابية، حرّكوا أواخر الكلمات التي لا داعي إلى تحريكها، لِتَّطردَ قواعدها، فقالوا مثلاً : " الرجل قائم " بضم اللام من " الرجل "، وكان يكفي أن يقال : " الرجلْ قائم " بتسكين اللام؛ إذ لا توجد ضرورة تدعو إلى تحريكها.

سادساً : الحالات التي ليسَ فيها ما يدعو إلى تحريك الآخر، جاءت في النثر والشعر على سواء، ولا يؤثر ذلك على وزن الشعر من الناحية الذوقية، وإن كان يخالف ما يشترطه العروضيون في بعض الأحيان ؛ مثل بيت أبي ذؤيب الهذلي :

أبى القَلْبُ إلاّ أُمَّ عَمْروٍ وأصبحت تُحَرِّقُ ناري بالشَّكَاةِ ونارُهَا

فيرى أنيس أن " كلمة " : " تحرق " قد حُرك آخرها دون ضرورة ملحة، وأن إنشاد البيت بغير هذه الحركة، لا يكاد يؤثر في موسيقاه أو وزنه، وكل الذي يترتب على مثل هذا الإنشاد، أن تصبح (مفاعيلن): (مستفعل) وهذا التغيير الطفيف، وإن لم يقل به أهل العروض، فيما أظن، لا يكاد يؤثر في وزن البيت شيئاً، يشهد بهذا أصحاب الآذان الموسيقية المرهفة " (أنيس،1975 ،267)

سابعاً : أما المعرب بالحروف، فكانت إحدى صوره تخص قبيلة معينة، والصور الأخرى تخصُّ قبائل أخرى، ولكن النحاة جمعوا كل هذه الصور، وخصوا كل صورة منها بحالة إعرابية معينة ؛ فهو يفترض مثلاً أن هناك قبائل عربية، كانت تنطق المثنى بالياء في جميع الحالات،

ثم تطورت هذه الياء فصارت ألفاً، عند بعض القبائل في جميع الحالات، ولم يفهم النحاة سرَّ الموضوع، فجمعوا بين الصورتين، وخصوا الأولى بحالتي النصب والجر كما خصّوا الثانية بحالة الرفع. (أنيس،270،1975-274)

ويذكر رمضان عبد التواب أن هذه النظرية لم تلقَ قبولاً لدى أي باحث من الباحثين، بل انبرى أحدهم للرد عليها : " وهو الدكتور مهدي المخزومي (المخزومي،251،1958)، ومن أبرز الاعتراضات التي أثارها، أن نظرية الدكتور أنيس، لا تستطيع أن تفسر اختلاف اللهجات العربية في الوقف، مثل لهجة أزد السراة، الذين إذا وقفوا على المرفوع، نطقوا بضمته وأطالوها، فكأنما هي واو، وإذا وقفوا على المكسور أطالوا كسرته، فكأنما هي ياء، فيقولون في الجملتين : هل جاء خالد ؟ وهل مررت بخالد ؟ : خالدو وخالدي، حيث يريدون الوقف"(عبد التواب،1983، 376-377)

وينتقد الدكتور رمضان ردَّ المخزومي (انظر المخزومي،249،1958-256)، بأنه جاء قصيراً في جملته، كما أنه لم يشر إلى اللغات السامية الأخرى، التي تعارض أصالة الإعراب فيها، نظرية الدكتور أنيس تماماً. (عبد التواب،1983، 377)

أمَّا موقف الدكتور رمضان عبد التواب من الإعراب، ومن نظرية أنيس فيقول: " إن الإعراب في العربية، كما يقول النحاة العرب، يدل على المعاني، من الفاعلية والمفعولية وغيرها، ولم يكن حركات وصل بين الكلمات، كما يرى الدكتور أنيس ". (عبد التواب،1983، 282)

ويدلل رمضان عبد التواب على رأيه هذا بعدة أمور :

أولاً : وجود الإعراب كاملاً في بعض اللغات السامية القديمة، كالأكادية، وتشمل اللغتين : البابلية والآشورية في عصورهما القديمة. وهذا قانون " حمورابي" (792 – 1750 ق م)، والمدون باللغة البابلية القديمة، يوجد فيه الإعراب كما هو في اللغة العربية الفصحى تماماً، فالفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، وعلامة الرفع الضمة، وعلامة

النصب الفتحة، وعلامة الجر الكسرة، تماماً كما في العربية، ففي الفقرة الأولى من هذا القانون نقرأ الجملة التالية :

summa awelum awelam ubbirma

بمعنى : " إذا اتهم إنسانٌ إنساناً : ؛ في حالة الفاعل، وهي مرفوعة بالضمة، أمّا الميم الأخيرة فهي في الأكادية، تقابل التنوين في اللغة العربية، awelam الثانية في حالة المفعول، وهي منصوبة بالفتحة، وبعدها التمييم كذلك".

ولا يقتصر الأمر على ذلك على حدّ قول رمضان عبد التواب، بل وإن المثنى وجمع المذكر، يماثلان في الإعراب : المثنى والجمع في العربية، وتوجد حالات الإعراب كذلك في اللغة الأوجاريتية وكذلك اللغة الحبشية، إذ تظهر في الحبشية حالة النصب، التي تطابق من الناحية الإعرابية، نظيرتها في اللغة العربية، إلى حدٍّ كبير. (عبد التواب،1983، 382-384)

ثانياً : القرآن الكريم، الذي وصل إلينا متواتراً، بالرواية الشفوية الموثوق بها جيلاً بعد جيل، وصل إلينا معرباً. ولا نظن أحداً يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم – كان لا يحرك أواخر الكلمات في تلاوته لنص القرآن الكريم، إلا حيث اقتضته وصل الكلمات، أو بعبارة أخرى حيث أراد التخلص من التقاء الساكنين عند اتصال الكلام. (عبد التواب،1983، 385)

ثالثاً : الرسم القرآني، الذي نقل إلينا متواتراً، يؤيد وجود الإعراب في العربية الفصحى، وأنه ليس من اختراع النحاة، وإلا فكيف نفسر وجود الألف في الخط العثماني، في حالة المنصوب المنون. مثل قوله تعالـــــــى : ﴿ وما الله بغافل ﴾ (البقرة 85/2) وقوله ﴿ ولا تحسبَّن الله غافلاً ﴾ (ابراهيم42/14).(عبد التواب،1983، 386)

رابعاً : الشعر العربي بموازينه وبحوره، لا يقبل نظرية الدكتور إبراهيم أنيس، بحال من الأحوال، ويكفي أن نقرأ بيتاً كبيت بشر بن أبي خازم:

فكأنَّ ظُعُنَهُم غداة تحملوا سُفنٌ تَكَفَّأُ في خليجٍ مُغْرِبِ

(أبي خازم، 35،1960)

بتسكين أواخر كلماته ؛ لتدرك إلى حدٍّ يفقد البيت وزنه الشعري ووقعه الموسيقي على النفوس. (عبد التواب،1983، 386-387)

خامساً : هذه الأخبار الكثيرة، التي وصلت إلينا، والتي تدل على فطنة العلماء، في الصدر الأول، إلى هذه الحركات الإعرابية ومدلولها، وعيبهم من يحيد عنها ممن فسدت ألسنتهم، بمخالطتهم للأعاجم. (عبد التواب،1983، 387)

فقد كتب كاتب لأبي موسى الأشعري، إلى عمر بن الخطاب : "من أبو موسى " فكتب إليه عمر رضي الله عنه – : " سلام الله عليك، فاضرب كاتبك سوطاً واحداً، وأخِّر عطاءه سنة ". وغير هذا روايات كثيرة يرويها رمضان عبد التواب مدللاً من خلالها على أصالة الإعراب. (أبو الطيب اللغوي ،1955، 6)

سادساً : ومما يؤيد رأينا أن الإعراب ليس مصنوعاً، أن العلماء في عصر هارون الرشيد، كانوا يَسْمَعُونه بكل دقائقه من الأعراب الذين كانوا يَلْقَوْنَهم. وهذا هو سيبويه، يروي في كتابه كثيراً عنهم. مثل قوله :

1: 3/147 : ومن ذلك قول العرب.

1: 12/153 : وزعم أبو الخطاب أنه سمع بعض العرب الموثوق بعربيتهم.

1: 6/156 : وسمعنا أيضاً من العرب من يوثق بعربيته يقول.

1: 8/16 : وهذا مثل بيت سمعناهُ من بعض العرب الموثوق به يرويه وغير ذلك كثير. (عبد التواب،1983، 390)

ويختم رمضان عبد التواب أدلته حول وجود الإعراب، بالإشارة إلى أن الإعراب يساعد على حرية بناء الجملة يقول : " لهذا كله نرى أن الإعراب، كان

من الأمور التي تساعد على حرية بناء الجملة العربية، وأن الجملة العربية، لهذا السبب، كانت تقال بأوجهٍ عدةٍ. وهذا هو ما كان الزجاجي يقصد إليه في النصّ الذي اقتبسناه من كتابه " الإيضاح " قبل ذلك، وهو قوله : " ... وكذلك سائر المعاني، جعلوا هذه الحركات دلائل عليها، ليتسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إذا أرادوا ذلك، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعاني ". فلما فُقِدَ الإعرابُ، كان الواجب أن يلزِمَ بناءُ الجملة نظاماً واحداً، وهو ما حدث في اللهجات العربية الحديثة، فإن جملة : " ضرب محمدٌ علياً " مثلاً "، أصبحت في اللهجات الحديثة : " محمد ضرب علي "، بتقديم الفاعل، والتثنية بالفعل، ثم الإتيان بالمفعول به. (الزجاجي،69،1959 وعبد التواب،1983، 359)

الإعراب وترتيب أجزاء الجملة

يأتي هذا القانون، عند رمضان عبد التواب، تحت ما يمكن أن نسميه بالتطور في إنتاج أنماط مختلفة للجملة الواحدة، ذلك أن اللغات التي تحتوي على المورفيم (morphem) وهي علامة تلحق الكلمة للدلالة على وظيفتها في الجملة، وهي تلك العلامة التي نسميها بالإعراب – فمثل هذه اللغات تتمتع الكلمات في داخل جملها بحرية الحركة ؛ فمثلاً اللغة اللاتينية تلحق بكلماتها تلك المورفيمات الإعرابية، لذلك يمكن أن يقال عبارة مثل عبارة : " بيت الملك " بطريقتين مختلفتين: "domusRegis" أو" regisdomus" فكلمة" dorusn " بمعنى : " بيت " في حالة الرفع، وكلمة " regs بمعنى : " ملك " في حالة الجر (انظر عبد التواب، 1981 ،124)

وفي ذلك يقول أنطون ميليه " وجود إعراب غنى بالحالات، بحيث يكفي للعبارة عما هو ضروري لبناء الجملة، ويعفى من الاعتماد على قواعد الترتيب .

(ميليه ،1969، 447)

ولقد ساعد الإعراب العربية، في رأي رمضان عبد التواب على هذه الحرية في بناء الجملة، وترتيب أجزائها فجملة مثل : " ضرب محمدٌ علياً " يمكن أن تقال في العربية الفصحى، بأوجه أخرى ؛ مثل : " ضرب علياً محمدٌ " أو " محمدٌ ضرب علياً " أو " علياً ضرب محمدٌ، تَبَعاً لاختلاف المقصود من الكلام، والجزء الذي يعني المتحدث إبرازه والاهتمام به، أكثر من غيره . فلما فقد هذا الإعراب، كان من الواجب أن يلزم بناء الجملة نظاماً واحداً، وهو ما حدث في اللهجات العربية الحديثة، فإن جملة : "

ضرب محمدٌ علياً " مثلاً، أصبحت في اللهجات الحديثة : " محمدٌ ضرب علي " بتقديم الفاعل، والتثنية بالفعل، ثم الإتيان بالمفعول به . (انظر عبد التواب، 1981 ،125)

أما القسم الثاني فهي اللغات التي استغنت عن علامات الإعراب والتزمت ترتيباً واحداً لكلماتها، ومن هذه اللغات الفرنسية والإنجليزية والصينية، فإذا قارنا اللاتينية بالفرنسية المتطورة عنها نجد جملة مثل : " بطرس يضرب بولس، تقال في اللاتينية بأربعة أوجه:

petrus caedit paulum" بطرس يضرب بولس .

Petrus paulum caedit" بطرس بولس يضرب.

Paulum caedit peturs"" بولس يضربه بطرس .

Paulum petrus ceadit" بولس بطرس يضرب.

أما اللغة الفرنسية فقد لزمت حالة واحدة، في ترتيب كلماتها ؛ إذ يقال في الفرنسية مثلاً :pierre frap pepaul

بيير يضرب بول " بتقديم الفاعل، فالفعل فالمفعول .

ومثل هذا الحديث يجري على الصينية والإنجليزية .

(انظر عبد التواب، 1981 ،125-126)

لغة أكلوني البراغيث

ومن القضايا النحوية التي يدرسها رمضان عبد التواب، في أكثر من موضع (لغة أكلوني البراغيث) ؛ فقد درسها تحت ما سمَّاه : (الركام اللغوي) وتحت الخصائص اللغوية (لقبيلة طيِّىء القديمة) وجاء حديثه فيها متشابهاً في الموضعين. (عبد التواب،1994، 117-128.عبد التواب 1982 ،67-250،68-258)

يشرح رمضان عبد التواب هذه اللغة بأنها : " إلحاق الفعل علامة تثنية أو جمع في بعض ما روى لنا من أمثلة العربية ؛ فمن المعروف في العربية الفصحى، أن الفعل يجب إفراده دائماً، حتى وإن كان فاعله مثنى أو مجموعاً، أي أنه لا تتصل به علامة تثنية ولا علامة جمع، للدلالة على تثنية الفاعل أو جمعه، فيقال مثلاً : " قام الرجلُ " و " قام الرجلان " و " قام الرجالُ " بإفراد الفعلِ : " قام " دائماً، إذ لا يقال في الفصحى مثلاً : " قاما الرجلان " ولا " قاموا الرجال ". (عبد التواب،1982، 67)

ويذكر رمضان عبد التواب أن جمهرة الجمل في القرآن الكريم جاءت على القاعدة المطردةِ في الفصحى شعراً ونثراً، غيرَ أنَّ بعضَ آيات القرآن الكريمِ، لحقت الفعل فيها علامةُ جمع للفاعل المجموع (عبد التواب،1982، 68-69)، كقوله تعالى : ﴿ ثم عَمُوا وَصَمُّو كثيرٌ منهم ﴾. (المائدة 71/5) وقوله عزَّ وجلَّ ﴿ وأسرُّوا النجوى الذين ظلموا﴾. (الأنبياء 3/21)

ويرى رمضان عبد التواب أنه رغم تعدد آراء المفسرين والنحاة واللغويين العرب في هذه الظاهرة، بأن مقارنة اللغة العربية باللغات السامية الأخرى ؛ تؤدي إلى معرفة أن الأصل في تلك اللغات، أن يلحق الفعل عَلامةُ التثنية، والجمع للفاعل المثنى والمجموع، كما تلحقه علامة التأنيث، عندما يكون الفاعل مؤنثاً سواء بسواء. (عبد التواب،1982، 69)

ويشير رمضان عبد التواب إلى كثرة ورود هذه الظاهرة في الشعر العربي (عبد التواب،1982، 71) في مثل قول عمرو بن ملقط الطائي :

ألفيتا عيناك عند القفا أولى فأولى لك ذا واقيه

(السيوطي، 1322 ،113)

وقول أمية بن أبي الصلت :

يلومونني في اشتراء النخيـــ ـــل أهلي فكلُّهم يَعْذِلُ

(أمية بن أبي الصلت، د. ت،357)

ويضيف رمضان عبد التواب قائلاً : " وإذا كانت العربية الفصحى، قد تخلصت رويداً رويداً من هذه الظاهرة فإن بقاياها ظلَّت حية، عند بعض القبائل العربية القديمة، كقبيلة طيِّىء. وقد حكيت لنا هذه اللغة كذلك عن قبيلة بلحارث كعب، وقبيلة أزد شنوءة وهي من القبائل اليمنية، التي تمت لأصل قبيلة طيِّىء بصلة. (عبد التواب،1982، 252)

ذو الموصولة

ومن القضايا النحوية التي عَالجها رمضان عبد التواب، قضية (ذو الموصولة) في لغة طيِّىء، ويرى أنها من بقايا لغة الشعـــر في العبرية ؛ يقول: " وهو اسم موصول قديم في اللغات السامية، منه بقايا لغة الشعر العبرية. ومن

أمثلته فيها : halo adonay zu hatanu Io اليس الربُّ الذي أخطأنا إليه ". (عبد التواب،1982، 252)

وقد لاحظ رمضان عبد التواب شيوع استخدام (ذو) اسماً موصولاً في لغة طيِّىء إذ يقول : " وقد شاع استخدام (ذو) هذه في كلام أهل طيِّىء، اسماً موصولاً عاماً للمفرد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث، بصورة واحدة لا تتغير في كلِّ ذلك". (عبد التواب،1982، 253)

ومن أمثلة ذلك : قول سنان الفحل الطائي:

فإن الماءَ ماءُ أبي وجدِّي وبئري ذو حفرتُ وذو طويتُ

(المرزوقي، 1953 ،591/2، ابن منظور، 1307 ،348/20)

وقول قيس بن مروة الطائي الملقب بعارق :

لئن تغيَّر بعضَ ما قد صنعتُم لأنتحِيَنْ لِلعظمِ ذو أنا عارِقُهْ

(المرزوقي،1953 ،1447/3)

وقول قَوَّال الطائي :

قولا لهذا المرء ذو جاء ساعياً هلمَّ فإن المشرفيَّ الفرائض

(المرزوقي، 1953 ،640/2، البغدادي، 1299، 295/2)

كما وردت هذه الظاهرة أيضاً في أمثال قبيلة طيِّىء ؛ نحو قولهم : " أتى عليهم ذو أتى " (الميداني ، 1310 هـ ،45/1 الأزهري ، 1967 ،45/15) ؛ أي : أتى عليهم الذي أتى على الناس، وهو الموت.

ولكن لا يمكن أن نقول أن قبيلة طيِّىء كانت كُلُّها تجعل (ذو موصولة)، يقول رمضان عبد التواب (عبد التواب،1982، 256) : " فقد كان بعض الطائيين يجريها مجـرى (ذي) بمعنى صاحب، فيقيسها عليها، ويعربها بالحروف ". قال المرادي: " وبعض طيِّىء يعرب (ذو) الطائية، إعراب التي بمعنى : صاحب، فيقول : جاء ذو قام، ورأيت ذا قام، ومررت بِذي قام ". (المرادي، 1992، 242)

ويضيف رمضان عبد التواب قائلاً : " كما أن بعض الطائيين، يفرق بين المذكر والمؤنث في الموصول، فيجعل (ذو) للمذكر مطلقاً، مفرداً ومثنى ومجموعاً، و(ذاتُ) للمؤنث مطلقاً، مفرداً ومثنى ومجموعاً كذلك" (عبد التواب،1982، 256) ؛ قال ابن الشجري: " وذو موحَّدة على كلِّ حال في التثنية والجمع، وكذلك ذاتُ موحدةٌ مضمومة في كلِّ حال ". (ابن الشجري، 1349، 305/2)

ويمثل ذلك ما رواه الفراء في كتابه : " لغات القرآن " من أنه سمع أعرابياً من طيِّىء يسأل ويقول : " بالفضل ذو فضّلكم الله به، وبالكرامة ذات أكرمكم الله بَهْ " أي بها. (الأزهري، 1967 ،44/15وابن عصفور ، 1986 ،59/1)

وينقل رمضان عبد التواب عن الفراء أن بعض الطائيين، يصرف هذا الاسم تصريفاً كاملاً، يختلف في المفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث ؛ فيقول : " هذا ذو نعرف، وهذان ذوا نعرف، وهؤلاء ذوو نعرف، وهذه ذاتُ نعرف، وهاتان ذواتا نعرف، وهؤلاء ذواتُ نعرف. ويضمون التاء من : (ذات) و (ذواتُ) على كلِّ حال.(انظر الأزهري، 1325 هـ، 138/1، ابن عصفور، 1986 ،59/1)

ومثل ذلك قول رؤبَة بن العجاج :

جمعتها من أينق موارق
ذواتُ ينهضن بغير سائق

(ابن الشجري، 1349، 305/2 وابن عصفور، 1986 ،58/1)

ويخلص رمضان عبد التواب في هذه المسألة : أن طيِّئاً تتقسم في (ذو) الموصولة على أربع فرق : (عبد التواب، 1982،357-358)

الأولى : توحد (ذو) دائماً، وتبنيها على الضم.

الثانية : توحد (ذو) دائماً، وتعربها إعراب (ذي) بمعنى (صاحب).

الثالثة : تجعل (ذو) لمفرد المذكر ومثناه وجمعه، و (ذاتُ) مفرد المؤنثِ ومثناه وجمعه.

الرابعة : تصرف (ذو) على حسب الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث.

ويؤكد رمضان بأن الأصل، اعتبار (ذو) اسماً موصولاً يقول : "والفرقة الأولى، تمثل الظاهرة في صورتها القديمة، بدليل ما في العبرية، والنقوش العربية القديمة، وما عند غير هذه الفرقة، تطور لعب فيه القياسُ اللغوي دوراً كبيراً ". (عبد التواب، 1982،358)

الفصل الخامس

جهوده في الدرس الدلالي

يُعدُّ علم الدلالة أو دراسة المعنى فرعاً من فروع اللغة وهي غاية الدراسات الصوتية والفونولوجية والنحوية والقاموسية وما يسعى إليه المتكلم أو الكاتب هو الإفصاح أو التعبير عمّا يجول في خاطره.

وتناول عبد التواب في هذا الفصل عدداً من الوسائل التي تنمو عن طريقها اللغات وتتسع، ويزداد ثراؤها في المفردات، فتتمكن به من التعبير عن الجديد من الأفكار، والمستحدث من وسائل الحياة .

وتناول كذلك القياس والتطور الدلال وتحدث عن عوامل التطور الدلالي ومظاهر التطور الدلالي وتجديد الألفاظ وتناول كذلك بلى الألفاظ وكيف أن كثرة الاستعمال تُبلي الألفاظ .

الاشتقاق

درس رمضان عبد التواب عدداً من الوسائل، التي تنمو عن طريقها اللغات وتتسع (انظر عبد التواب، 1983 ،229-368)

وأول هذه الوسائل اللغوية الاشتقاق، فعرّفه بأنّه : " توليدُ بعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد، يحدد مادتها ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد ". (الصالح ،1983، 174) . كما فَرّق بين الاشتقاق عند علماء الغرب وعند العرب فيقول : " فهو عند علماء الغرب بهذا المعنى، علم نظري عملي، يعنى بتاريخ الكلمة، ويتتبع حياتها عبر العصور المختلفة . أما الاشتقاق عند العرب، فهو علم عملي تطبيقي ". (انظر عبد التواب، 1983 ،290)

وهناك نوعان من الاشتقاق، دار الحديث حولهما في مؤلفات المتقدمين من اللغويين العرب، الاشتقاق الأصغر، والاشتقاق الأكبر. (انظر عبد التواب، 1983،291)

ويُعَّرفُ الاشتقاق الأصغر، أو " الاشتقاق الصرفي " بأنه : " أخذ صيغة من أخرى، مع اتفاقهما معنىً، ومادةً أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة، كضارب من ضرب، وحَذِرٌ من حَذَرَ ".(السيوطي ،1986 ،346/1 ، ابن السراج 1985 ،32)

ويخالف رمضان عبد التواب قدامى اللغويين، في قولهم – أي القدماء – إنه لا قياس على كلام العرب في الاشتقاق، وأن كل كلام العرب توقيف (انظر عبد التواب، 1983 ،292) ؛ " فإن الذي وقفنا على أن الاجتنان التستر، هو الذي وقفنا على أن الجن مشتق منه، وليس لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه لأن في ذلك فسادَ اللغة، وبطلان حقائقها " (ابن فارس ،1977 ،67 ، السيوطي ، 1986 ، 346/1)

فيرد رمضان عبد التواب على هذا الزعم بقوله : " وهذا النوع من الاشتقاق قياسيٌّ ، إذ لا يعقل أن يسمع عن أصحاب اللغة ، جميع المشتقات في كلِّ مادة من مواد اللغة " (عبد التواب، 1983 ،292)

ويشير رمضان عبد التواب إلى تعدُّد مذاهب العلماء حول الاشتقاق، وإن كانت جمهرة اللغويين، كسيبويه، والخليل، وأبي عمرو بن العلاء، وأبي الخطاب الأخفش، وعيسى بن عمر الثقفي، والأصمعي، وأبي زيد، وابن الأعرابي، وأبي عمروا الشيباني، وغيرهم يرون أن " بعض الكلم مشتق وبعضه غير مشتق، فقد غالت طائفة فادَّعت أن " الكلم كُلُّهُ أصلٌ " وأكثر منها غلواً تلك الطائفة، التي ادَّعت أن " الكلم كُلَّهُ مشتق، فمم اشتق إذن، إن لم يكن هناك أصول لهذا الاشتقاق المزعوم ؟ " (السيوطي ، 1986 ،348/1 وكذلك عبد التواب ، 1983 ،294)

ويضيف رمضان عبد التواب أن ابن فارس، حاول أن يرجع أصول الاشتقاق، في المادة اللغوية الواحدة، إلى أكثر من أصل، كقوله مثلاً : " الخاء والراء والسين أصول ثلاثة، الأول : جنس من الآنية، والثاني : عدم النطق، والثالث : نوع من الطعام ؛ فالأول : الخِرْسَ، بسكون الراء وهو الدَّنُ ، ويقال لصانعه الخرَّاس . والثاني : الخَرَسُ في اللسان، وهو ذهاب النطق، ويحمل على ذلك فيقال : سحابة خرساء، ليس فيها رعد . والثالث : الخُرْس والخُرسة وهو طعام يتخذ للوالد من النساء ". (ابن فارس ، 1991 ،167/2 وعبد التواب ، 1983 ، 295)

ويشير رمضان عبد التواب إلى ردِّ الدكتور صبحي الصالح، على صنيع ابن فارس في تعدد الأصول، وقد عدَّه لوناً من الترف العقلي، أو التزيد العلمي، أراد صاحبه أن يظهر من خلاله قدرته على تلمس الفروق الدقيقة بين المفردات (الصالح، 1983 ،176 وعبد التواب، 1983 ،195-296)

أما النوع الثاني من الاشتقاق، فهو الاشتقاق الأكبر، ويرى رمضان عبد التواب أن ابن جني من المولعين بهذا النوع من الاشتقاق، وهو الذي سمَّاه في كتابه : "الخصائص " بهذا الاسم، وفي باب طويل بعنوان : " باب في الاشتقاق الأكبر (انظر ابن جني ، 1956، 133/2-139) . وقد عرَّفه ابن جني، بقوله : " وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنىً واحداً، تجمع التراكيب الستة، وما يتصرف من كل واحدٍ منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه، رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل له " (ابن جني ،1956، 134/2 وكذلك عبد التواب، 1983 ،296)

وقد ضرب ابن جني على هذا الاشتقاق أمثلة كثيرة، منها قوله : " فمن ذلك تقليب (ج ب ر)، فهي أين وقعت للقوة والشدة، منها : (جَبَرْتُ) العظم والفقير، إذا قويتهما وشددت منهما . والجَبْر : الملك، لقوته وتقويته غيره . ومنها رجل (مُجَرَّب) إذا جرَّستْهُ الأمور، ونجدتْهُ، فقويت مُنَّته، واشتدت شكيمته، ومنه الجراب؛ لأنه يحفظ ما فيه، وإذا حفظ الشيء وروعي، اشتد وقوى، وإذا أُغفل وأُهمل، تساقط ورَذِى... " (ابن جني ،1956، 135/2 وعبد التواب، 1983 ،397)

وينبه رمضان عبد التواب إلى إقرار ابن جني نفسه، بأن هذا الاشتقاق الأكبر، صعب التطبيق، على جميع نصوص اللغة ؛ فيقول : " واعلم أنّا لا ندَّعي أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندَّعي للاشتقاق الأصغر، أنه في جميع اللغة، بل إذا كان ذلك متعذراً صَعباً، كان تطبيق هذا أو إحاطته، أصعب مذهباً وأعزَّ ملتمساً ". (ابن جني ،1956، 138/2 وعبد التواب، 1983 ،297)

ويرد الدكتور إبراهيم أنيس على ابن جني في هذا الرأي فيقول : " وإذا كان ابن جني، قد استطاع في عَنَتٍ ومشقة، أن يسوق لنا، للبرهنة على ما يزعم، بضع موادَّ من كل مواد اللغة، التي يقال إنها في جمهرة اللغة لابن دريد، تصل إلى أربعين ألفاً، وفي معجم لسان العرب تكاد تصل إلى ثمانين ألفاً، فليس يكفي مثل هذا القدر الضئيل المتكلف، لإثبات ما يسمى بالاشتقاق الأكبر ". (أنيس ، 1975 ،68 وعبد التواب ، 1983 ،297)

ويرى رمضان عبد التواب، أن رأى ابن جني يُعَدُّ مقبولاً ومعتدلاً، حين يحاول إرجاع تقليب المادة، إلى اصل ثلاثي، يحمل المعنى العام لهذه المادة، إذا

قيس بما يذهب إليه بعض المحدثين، من فكرة ثنائية الأصول، وأن المعنى العام للمادة يرتبط بأصلين اثنين فقط من أصولها. (انظر عبد التواب، 1983 ،298)

الترادف

ومن الوسائل اللغوية التي تساعد على ثراء اللغة، الترادف فعرّفه أولمان بقوله: " المترادفات هي : ألفاظ متحدة المعنى، وقابله للتبادل فيما بينها في أي سياق " (اولمان 1986 ،105)

ويقول رمضان عبد التواب : " الأصل في كلِّ لغة أن يوضع فيها اللفظ الواحد، لمعنىً واحد، أي أن يكون بإزاء المعنى الواحد فيها لفظ واحد، ولكنَّ ظروفاً تنشأ في اللغة، تؤدي إلى تعَدُّدِ الألفاظ لمعنىً واحدٍ، أو تعدد المعاني للفظ واحد. (عبد التواب ، 1983 ، 308)

يقول سيبويه : " واعلم أن من كلامهم، اختلاف اللفظين، لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين " (سيبويه ، 1317 هـ ، 7/1)

ويذكر رمضان عبد التواب أن اللغويين العرب، قد اختلفوا في وقوع هذا الترادف التام، في لغتنا العربية اختلافاً كبيراً، يقول : " فمنذ أن بدأ الرعيلُ الأول، من هؤلاء اللغويين، في القرنين الثاني والثالث الهجريين، في جمع اللغة العربية، من أفواه فُصَحَاء العرب من جانب، وتفريغ ألفاظ القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، والخطب، والرسائل، حتى نهاية العصر الأموي، والبحث عن معانيها وتفسيرها من جانب آخر، أخذ العلماء، أن يجمعوا الكلمات، التي تدل على معنى واحد في العربية، في تأليف مستقل، سمَّوه أحياناً، بالمترادف " ، وأحياناً أخرى باسم: " ما اختلفت ألفاظهُ واتفقت معانيه" . (عبد التواب ، 1983 ، 310)

ويلاحظ رمضان عبد التواب انقسام علماء اللغة حول هذه القضية إلى قسمين: فمنهم المؤيد، الذي يفتخر على غيره بما يحفظ لهذا الشيء أو ذاك، كذا وكذا اسماً، ومنهم الذي يعارض هذا الاتجاه، ومن أصحاب الاتجاه الأول : الأصمعي، وابن خالويه . ومن أصحاب الاتجاه الثاني المعارض للترادف : أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي، وأبو العبَّاس أحمد بن يحيى ثعلب، وابن درستويه، وأبو علي الفارسي، وابن فارس .

وتروي كتبُ اللغة بعض القصص حول هذا الخلاف ؛ قال أبو علي الفارسي: كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسماً . فتبسم أبو علي، وقال : ما أحفظ إلا اسماً واحداً، وهو السيف! قال ابن خالويه : فأين المهندُ والصارمُ وكذا وكذا ؟ فقال أبو علي : هذه صفات، وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة " (السيوطي ، 1986 ، 405/1 وعبد التواب ، 1983 ، 311)

ومن المعارضين للترادف الأدباء والنقاد : " وبعض هؤلاء الذين أنكروا الترادف، كانوا من الأدباء والنقاد، الذين يَسْتَشفُّون في الكلمات أموراً سحرية، ويتخيلون في معانيها أشياءَ لا يراها غيرهم، فهم قوم شديدو الاعتزاز بألفاظ اللغة، يتبنون الكلمات، ويرعونها رعايةً كبيرةً، ينقبون عمَّا وراء المدلولات، سابحين في عالم الخيال، يُصور لهم من دقائق المعاني وظلالها، ما لا يدركه إلاهُمْ ولا يقف عليه إلا أمثالهم " (أنيس ، 1965 ، 181)

ومن اللغويين الذين يبالغون في – نظر رمضان عبد التواب – في منع الترادف، أبو هلال العسكري، ويعرض رمضان عبد التواب لأمثلة من كتاب أبي هلال العسكري، يوضح فيها مذهبه في منع الترادف، ومنه ما قاله في الفرق بين المدح والتقريظ، يقول أبو هلال العسكري : " المدح يكون للحي والميت، والتقريظ لا يكون إلا للحي . وخلافه التأبين لا يكون إلا للميت . وأصل التقريظ من القرظ، وهو شيء يُدْبغُ به الأديم، وإذا دُبِغَ به حَسُنَ وصَلُحَ وزادت قيمته، فشبه مدحك للإنسان الحي بذلك، كأنه تزيد من قيمته بمدحك إياه، ولا يصلح هذا المعنى في الميت ؛ ولهذا يقال : مدح الله، ولا يقال : قَرَّظه ". (العسكري ، د . ت ، 27 وعبد التواب 1983 ، 214–215)

كما يقال في الفرق بين المدح والثناء، إن " الثناء مدح مكرر، من قولك : ثَنَيْتُ الخيط، إذاً جعلته طاقين، وثنيته – بالتشديد – إذاً أضفت إليه خيطاً آخر . ومنه قوله تعالى : ﴿ سبعاً من المثاني ﴾ (الحجر 87/15) يعني سورة الحمد، لأنها تُكَرَّرُ في كلِّ ركعةٍ ". (العسكري ، د . ت ، 27 وعبد التواب 1983 ، 215)

ويؤيد رمضان عبد التواب الترادف ؛ فيقول (عبد التواب 1983 ، 315–316):"ورغم ما يوجد بين لفظة مترادفة وأخرى، من فروق أحياناً ؛ فإننا لا يصح

أن ننكر الترادف، مع من أنكره جملة، فإن إحساس الناطقين باللغة، كان يعامل هذه الألفاظ معاملة المترادف ؛ فتراهم يفسرون اللفظة منها بالأخرى، كما رُوي عن أبي زيد الأنصاري أنه قال : قلت لأعرابي : ما المحبنطئ .؟ قال : المتكأكئ. قال : قلت : ما المتكأكئ ؟ فقال : المتآزف . قال : قلت : ما المتأزف قال : أنت أحمق ؟" (ابن دريد ، 1351 هـ 27/3)

أما أسباب كثرة المترادف في العربية الفصحى :

أولاً : تعدُّد أسماء الشيء الواحد في اللهجات المختلفة، ويفسر رمضان عبد التواب من خلال هذا السبب، وقوع المترادف في العربية المشتركة بقوله: "ونستطيع أن نفهم على ضوئه، ما وقع في القرآن الكريم، من هذه الألفاظ المترادفة، كورود : " حلف " و " أقسم " مثلاً بمعنى واحد، في قولـــــه تعالى: ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ (التوبة 147/9) ، وقوله تعالـــى:﴿وأقسمـــوا بالله جهـــد أيمانهـــم﴾(النور 53/24) ، وكورود : " بعث، وأرسل، بمعنى واحد، في قوله تعالـــى:﴿ بعث فيهم رسولاً (آل عمران 164/3) ﴾، وقولـــــه تعالى:﴿ فأرسلنا فيهم رسولاً ﴾(المؤمنون 32/23)• (عبد التواب ، 1983 ،317)

ثانياً : أن يكون للشيء الواحد في الأصل اسم واحد، ثم يوصف بصفات مختلفة باختلاف خصائص ذلك الشيء، وإذا بتلك الصفات تستخدم كاستخدام الاسم ومثل ذلك السيف وأسماؤه المختلفة، كالصارم والباتر، والقابض، والصقيل، وغير ذلك (عبد التواب ، 1983 ،319)

ثالثاً : التطور اللغوي في اللفظة الواحدة، فقد تتطور بعض أصوات الكلمة الواحدة، على ألسنة الناس، فتنشأ صور أخرى للكلمة، وعندئذ يعدُّها اللغويون العرب، مترادفات لمسمى واحد . (عبد التواب ، 1983 ،319)

ومن ذلك قول ابن جني مثلاً : " ومن ذلك قولهم : هَتَلَتْ السماءُ وهتنت : هما أصلان، ألا تراهما متساويين في التصرف ؛ يقولون : هَتَنَتْ السماء، تهتِنُ تَهْتاناً، وهتلت تهتل تهتالاً، وهُنَّ سحائب هُتُنٌ وهُتُلٌ " (ابن جني ، 1956 ،82/2 وعبد التواب 1983 ، 319-320)

رابعاً : الاستعارة من اللغات الأجنبية، التي كانت تجاورُ العربية في الجاهلية وصدر الإسلام . ومن ذلك الكلمات المستعارة من الفارسية وغيرها، " كالدِّمقس " و " الاستبرق " للحرير، والزَّرجون، والإسفنط والباذق والدِّرياقة للخمر، والبهرج للباطل، والتَخْت للجَدِّ والحظِّ، والجُلِّ للورد، والدَّست للصحراء، واليمُّ للبحر، وغير ذلك . (عبد التواب ، 1983 ،321)

واشترط علماء اللغة شروطاً معينة ، للقول بالترادف بين الكلمتين وهي:

أولاً : الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تامَّاً ، فإذا فهم العربي من كلمة : "جَلَسَ " شيئاً لا يستفيده من كلمة : " فقَعَدَ " قلنا ليس بينهما ترادف.(انظر عبد التواب ، 1983 ،322)

ثانياً : الاتحاد في البيئة اللغوية، يقول رمضان عبد التواب : ولم يفطن المغالون في الترادف إلى مثل هذا الشرط، بل عَدُّوا كلَّ اللهجات وحده متماسكة، وعدُّوا كل الجزيرة العربية واحدة، ولَكِنَّا نُعدُّ اللغة المشتركة أو الفصحى الأدبية، بيئة واحدة، ونَعُدُّ كل لهجة أو مجموعة منسجمة من اللهجات، بيئة واحدة ".(عبد التواب ، 1983 ،322)

ثالثاً : الاتحاد في العصر، يقول رمضان عبد التواب : " فالمحدثون حين ينظرون إلى المترادفات، ينظرون إليها في عهد خاصٍّ وزمن معينٍ، فإذا بحثنا عن المترادف، يجب ألا نلتمسه في شعر شاعر من الجاهليين، ثم نقيس كلماته بكلمات وردت في نقش قديم، يرجع إلى العهود المسيحية مثلاً " : (عبد التواب ، 1983 ،322-323)

رابعاً : ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي آخر، يقول رمضان عبد التواب : " فحين نقارن بين : (الجَنْل) و (الجَفْل) بمعنى : النمل، نلحظ أن إحدى الكلمتين يمكن أن تُعَدَّ أصلاً، والأخرى تطور لها". (عبد التواب ، 1983 ،323)

التضاد

عرَّفه علماء اللغة بأنه : " نوع من العلاقة بين المعاني، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن، من أية علاقة أخرى، فمجرد ذكر معنى من المعاني، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن، ولا سيما بين الألوان ؛ فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد، فعلاقة الضدِّية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني، فإذا جاز أن تعبر الكلمة الواحدة، عن معنيين بينهما علاقة ما، فمن باب أولى جواز تعبيرها عن معنيين متضادَّين، لأن استحضار أحدهما في الذهن، يستتبع عادة استحضار الآخر؛ فالتضاد فرع من المشترك اللفظي " (أنيس ، 1965 ، 207)

وقد انقسم علماء اللغة بين رافض وقابل، لهذه الظاهرة، ومن العلماء الذين رفضوا التضاد ابن درستويه، الذي عرض رمضان عبد التواب لموقفه، الرافض للترادف والمشترك اللفظي فقال، ابن درستويه في شرح الفصيح : " النوَّء الارتفاع بمشقة وثقل، ومنه قيل للكواكب : قَدْ ناء إذا طلع ؛ وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضاً، وأنه من الأضداد، وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا في إبطال الأضداد " (السيوطي ، 1986 ، 396/1 وعبد التواب ، 1983 ،336)

وينقل رمضان عبد التواب رأي الجواليقي إذ يقول : " المحققون من علماء العربية، ينكرون الأضداد، ويدفعونها . قال أبو العباس أحمد بن يحيى (ثعلب) ليس في الكلام ضدٌّ . قال : لأنه لو كان فيه ضدٌّ، لكان الكلام مجالاً ؛ لأنه لا يكون الأبيض أسود، ولا الأسود أبيض (عبد التواب ، 1983 ،337) وكلام العرب وإن اختلف اللفظ فالمعنى يرجع إلى أصل واحد، فالصارِخُ، المستغيث، والصارخ المغيث، لأنه صراخ منهما ... والقُرْء الوقت، فاحتمل أن يكون للحيض والطهر " (الجواليقي ، 1966، 251)

ونقل رمضان عبد التواب شرط ابن دريد، لقبول الأضداد، إذ يقول : " الشعبُ: الختراقِ، والشعب : الاجتماع، وليس في الأضداد، إنما هي لغة لقوم (ابن دريد ، 1351 هـ ، 291/1) وقد أفاد بهذا " أنَّ شرطَ الأضداد، أن يكونَ استعمالُ اللفظ في المعنيين، في لغةٍ واحدةٍ ". (السيوطي ، 1986 ، 396/1 وعبد التواب ، 1983 ،337)

ويحشد رمضان عبد التواب أقوالاً كثيرة، ومواقف عدة للعلماء، إلى أن نصل إلى موقفه، الذي يدعو فيه إلى التوسط بين قبول التضاد ورفضه، فمن الكلمات ما تعد من التضاد، ومنها الأخر ما ليس من التضاد، إذ يقول : " غير أننا لا نودُّ أن ننساق وراء المؤلفين في الأضداد، من اللغويين العرب، فنعدَّ كل ما أتوا به من كلمات هذه الظاهرة صحيحاً، فإننا مثلاً لا نرى شيئاً من التضاد في استعمال كلمة: "الضِّعف " بمعنى : المثل أو المثلين (الأنباري ، 1987 ، 131)، أو استعمال كلمة : "المِثل " بمعنى : المماثل أو الضِّعف (ابن الأنباري 1987 ، 132) أو استعمال : "الكأس " بمعنى : الإناء أو الشراب الذي يوضع فيه (ابن الانباري ، 1987 ،162)أو استعمال: "الاحفاص "، بمعنى : الأمتعة أو الإبل التي تحمل هذه الأمتعـــة (ابن الانباري، 1987،162)أو استعمال : " الظعينة " بمعنى الهودج أو المرأة في الهودج (الانباري ، 1987 ،164)أو استعمال " الرواية " بمعنى : المزادة أو البعير الذي يحملها (ابن الانباري ، 1987 ،164).. ومثل ذلك كثير في كتب الأضداد، وبعضه في الحقيقة من باب المشترك اللفظي، لا من باب الأضداد "(عبد التواب ، 1983 ، 339-340)

ويشترط رمضان عبد التواب لقبول التضاد، اتحاد الكلمة ومتعلقاتها في المعنيين، حيث يقول : كما أننا نشترط اتحاد الكلمة ومتعلقاتها في المعنيين ؛ لأن أي تغيير فيها، أو في متعلقاتها، يخرجها عن كونها بذاتها تحتمل المعنيين المتضادين، فلا نعدُّ لذلك : " ظاهر عليك " بمعنى : زائل، و " ظاهر عليك " بمعنى : لازم (ابن الانباري 1987، 56)، في كلمات الأضداد كما أنه ليس من الأضداد كذلك : " راغ على " بمعنى أقبل، و " راغ عن " بمعنى " ولَّى (قطرب 1985 ،78) وليس منها : " ترب الرجل " بمعنى : افتقر، و " أُترب " بمعنى : استغنى" (قطرب 1985، 89 وعبد التواب ، 1983 ،340)

وليس من الأضداد، ما ترك اللغويون العرب الاستشهاد على أحد معينة ؛ لأنه لم يثبت في كلام العرب أنه استعمل بهذا المعنى ؛ مثل قولهم : " إن " قَسَط " تعني عَدَلَ أو جار (قطرب ،1985، 259)فالمعنى الأول، لا دليل عليه، أما الثاني فقـــد ورد في قولـــــه تعالـــــى : ﴿ وأمَّا القاسطـــــون فكانوا لجهنم حَطَبا ﴾.(الجن 15/72)

كما استبعد رمضان عبد التواب من كلمات الأضداد، تلك التي صَحَّفها اللغويون أو حرَّفوها، ففي الأضداد لابن الأنباري (الانباري ، 1987 ، 63): قال " بعض العرب : بَرَدْتُ من الأضداد، يقال : بَرَّد الشيء " على المعنى المعروف، ويقال : برَّد الشيء، إذا سخَّنهُ واحتجوا بقول الشاعرة :

عافت الشُّربَ في الشتاءِ فقُلْنا بَرِّديه تُصادِفيهِ سخينا

(الأنباري ، 1987 ، 63)

فيقول : " ولا شك أن هذا تحريف لعبارة : " بل رديه " ؛ فقد قال ابن الانباري تعليقاً على ذلك : "قال أبو بكر : وحكى لي بعض أصحابنا عن أبي العباس، أنه كان يقول في تفسير هذا البيت : بل رديه من الورود، فأدغم اللام في الراء، فصارتا راءً مشدَّدة " (الأنباري ، 1987 ، 64 وكذلك عبد التواب ، 1983 ، 341)

ويلخصُ رمضان عبد التواب، في نهاية هذا الموضوع العوامل التي أدَّت إلى نشوء التضاد في العربية : (انظر عبد التواب ، 1983 ، 342-355)

أولاً : عموم المعنى الأصلي : فيقول : " قد يكون المعنى الأصلي للكلمة عاماً، ثم يتخصص هذا المعنى في لهجة من اللهجات، كما يتخصص في اتجاه مضاد في لهجة أخرى " (عبد التواب ، 1983 ، 342-343)

ويُطَبِّقُ هذا العاملُ، على عدد من الكلمات نأخذ منها كلمة " الذفر " : " تذكرها كتب الأضداد، بمعنى : الريح الطيبة، والريح المنتنه (أبو الطيب ، 1963 ، 277/1) ويقول قطرب (قطرب ،1985، 113) " الذَّفر " : المِسك ... ويقال لِنَتْنِ الإبطِ : الذَّفر، فكأنه ضدّ". ويبدو أن المعنى الأصلي للكلمة هو: " الريح " وهو أعم من الريح الطيب والخبيث . وقد فطن إلى هذا ابن الأنباري فقال : " الذِّفر حِدَّةَ الريح في الطيب والنتن جميعاً " (الأنباري ،1987، 88)

ومن الكلمات التي فسرها تحت هذا العامل : " الطرب "، والمأتم، والقَلْت، والسدفة، والصَّريم، والصارخ، والجون والحَبْر. (انظر عبد التواب ، 1983 ، 343-345)

ثانياً : التفاؤل : وقد أطلق اللغويون على هذه الظاهرة ما يمسى بـ " اللاحساس " أو " الحظر " وهي ترجمة لكلمة : "taboo " وتطلق على كل

ما هو مقدَّس، أو ملعون يَحرم لمسه، من الأشياء وأسمائها. (انظر عبد التواب ، 1983 ، 345)

ومن كلمات الأضداد التي يمكننا أن نفسرها على هذا النحو، في العربية:

المفازة : يقول رمضان عبد التواب :"معناها في العربية : المنجاةَ والمهلكةُ. واشتقاق الكلمةِ من : " الفوز " يؤكد إصابةَ المعنى الأول، أما إطلاقُها على المعنى الثاني، فهو على سبيل التفاؤلِ . وقد فطن إلى هذا علماؤنا الأقدمون (عبد التواب ، 1983 ، 346-347) ؛ فقال أبو حاتم السجستاني: " وإنما قيل للعطشان : ناهل، على سبيل التفاؤل، كما يقال : المفازة، للمهلكة، على التفاؤل، ويقال للعطشان : ياريّان، وللملدوغ : سليم، أي سيسلم، ونحو ذلك". (السجستاني ،1994 ، 115 ،116 ،130)

ومن الكلمات التي فسَّرها رمضان عبد التواب، تحت هذا العامل : "السليم " و " الناهل " و " المفْرح " و " الحافل " و " البصير " و " المسحور. (انظر عبد التواب ، 1983 ، 346-349)

ثالثاً : التهكم : يقول رمضان عبد التواب : " لا شكَّ في أن عامل التهكم والهزء والسخرية، من العوامل التي يؤدي إلى قلب المعنى، وتغيير الدلالة إلى ضدها في كثير من الأحيان ؛ فأصل كلمة : " التعزير " في العربية : التعظيم ؛ ومنه قوله تعالى :﴿ لتؤمنوا بالله ورَسُوله وتعزِّروه وتَوقروه ﴾ (الفتح 9/48) غير أنها تستعمل في معنى التأديب التعنيف واللوم (الأنباري ، 1987 ،147) تهكماً واستهزاءً بالمذنب. (انظر عبد التواب ، 1983 ، 349)

رابعاً : الخوف من الحسد : يقول رمضان عبد التواب : " يشيع في القبائل البدائية، الاعتقادُ في السحر والإصابةُ بالعينِ، وتلعب الكلمةُ دوراً مهماً في هذا الاعتقاد، فيفر المرءُ في مثل هذه البيئة، من وصف الأشياء بالحسن والجمال، حتى لا تُصيبُها عينُ الحسودِ، كما تُسمعُ العامةُ عندنا يقولون، عندما يشاهدون مولوداً جميل الطلعة : " إيه الوحاشة دي ؟ " . (عبد التواب ، 1983 ، 35)

ويقول ابن الأعرابي : " كانت امرأة لا يبقى لها ولدٌ إلا افقدها، فقيل لها: نفِّري عنه، فسمته قنفذاً، وكنتهُ أبا العَّداء، فعاش " . (ثعلب ، 1960 ، 466/2)

خامساً : التطور اللغوي : يقول رمضان عبد التواب في هذا العامل : " قد يحدث في بعض الأحيان، أن توجدَ كلمتان مختلفتان، لهما معنيان متضادان فتتطور أصوات إحداهما، بصورة تجعلها تنطبق على الأخرى تماماً، فيبدو الأمر كما لو كانت كلمة واحدة لها معنيان متضادان (عبد التواب ، 1983 ، 351)

" ومن أمثلة ذلك في العربية قول بني عقيل " لمقت الكتاب " أي كتبته، وقولُ سائر قيسٍ " " لمقت الكتاب " أي محوته . هكذا يبدو التضاد في الفعل: " لَمَقَ " غير أننا إذا عرفنا أن هناك فعلاً آخر، بمعنى الكتابة، هو : "نَمَقَ "، عرفنا أن بني عقيل، قد تطور هذا الفعل الأخير في نطقها، فأبدلت النون لاماً . والنون واللام من الأصوات المتوسطة في العربية، تلك الأصوات التي يحدث فيها الإبدال كثيراً، وبذلك صار الفعل : " لَمَقَ " فتطابق مع نظيره بمعنى : " محا "، وتولدَ التضادُ بينَ المعنيين عن هذا الطريق وقد رُويَ عن أعرابي أنه قال عن كتاب : " لمقته بعدما نمقته " أي محوتُهُ بعد أن سَطَّرتُهُ ". (الأنباري ، 1987 ، 35 وأبو الطيب ، 1963 ، 614/2 وعبد التواب ، 1983 ، 351-352)

سادساً : المجاز والاستعارة : يقول رمضان عبد التواب : " أوضح مثال لهذا العاملِ، هو إطلاقُ كلمةِ : " الأمَّةُ " على الجماعة وعلى الفرد (الأنباري ، 1987 ،35) فإنه مِمَّا لا شكَّ فيه أن الفرد لا يقال له أمَّةً، إلا على التشبيه بالجماعة على وجه المبالغة ؛ فيقال عن هذا العالم أو ذاك : " كان أُمّة وحده"، بمعنى أنه كان في رجحان عقله، وحِدَّة ذكائه، جماعة بأسرها، فاستعير له لفظ يطلق في العادة على الجماعة". (عبد التواب ، 1983 ، 352)

سابعاً : احتمال الصيغة الصرفية للمعنيين : يقول رمضان عبد التواب : " هناك صيغ كثيرة في العربية، تستعمل للفاعل أو المفعول ؛ ومن هنا ينشأ التضادُ كثيراً في معاني هذه الصيغ " . (عبد التواب ، 1983 ، 352)

ومن أمثلته على ذلك : صيغ (فعول) وصيغة (فعيل) وصيغة (فاعل) وصيغة (تَفَعّل) وصيغة (مُفْتَعِل) و (مُفْتَعَل) . فصيغ (فعول) مثلاً تستعمل في العربية بمعنى : (فاعل) مثل : شكور وغفور، كما تستعمل أحياناً بمعنى : (مفعول) مثل رسول، بمعنى : مُرْسَل، وناقة سَلُوب، بمعنى : مسلوبة الولد . ويضيف رمضان عبد التواب قائلاً : " هنا وردت إلينا بعضُ الأمثلة من هذه الصيغةِ بالمعنيين جميعاً ؛ مثل " ذَعُور، بمعنى : ذاعر ومذعور (قطرب ،1985 ،115 والانباري ، 1987 ، 75) و " ركوب " بمعنى الراكب والمركوب (قطرب ،1985 ،81، 85 ، ابن الأنباري ، 1987، 356) وزجور بمعنى : الزاجر والمزجور (قطرب ، 1985 ، 82 ، الأنباري ، 1987 ،357)والأكولة بمعنى الآكلة والمأكولة (أبو الطيب ، 1963 ، 24/1 وكذلك عبد التواب ، 1983 ،353)

وكذلك صيغة (فعيل) تأتي كذلك بمعنى : " فاعل " مثل : سميع وعليم وقدير، كما تأتي بمعنى : " مفعول " مثل : بهين بمعنى : مدهون ؛ وكحيل، بمعنى: مكحول؛ جريح بمعنى : مجروح . ويضيف رمضان عبد التواب قائلاً: " فلا عجب بعد هذا، إذا رويت لنا بعض أمثلة هذه الصيغة بالمعنيين جميعاً ؛ مثل: " الكَرى "، بمعنى : المكتَرى والمكتَرى (قطرب ،1985 ،102 ، الأنباري ، 1987 ، 199) و " الغريم " بمعنى : الدائن والمدين (الأنباري 1987، 372)، واقنيص بمعنى : القانص والمقنوص، والتبيع بمعنى : التابع والمتبوع :

وكذلك صيغة " فاعل " وصيغة (مُفْتَعِل) و (مُفْتَعَل)، اللتان تدلان على الفاعلية والمفعولية في آنٍ واحد . (عبد التواب ، 1983 ، 353 -354)

أما صيغة (تَفَعّلَ) : فيقول عنها رمضان عبد التواب : " وأصلها في العربية – فيما يبدو – للمطاوعة، كما في اصل اللغات الأخرى . أما معنى : السلب والإزالة، التي اكتسبته بعض أفعال هذه الصيغة، فأغلب الظن أنه قد جاءها من القياس على الفعل : " تجنَّبَ " الذي يعني الابتعاد عن الشيء جانباً . ومن هنا جاءتنا أفعال على هذا الوزن، لا تعني إلا السلب والإزالة، مثل : " تحرَّج، و "تهجَّد"، بمعنى : تجنب الحرج والهجود، أي النوم، كما بقيت أفعالٌ في العربية، تحمل المعنى الأصلي إلى جانب هذا المعنى الجديد . وكما كان هذان المعنيان

متضادين، تضادَّ الإيجاب والسلب، أصبحت تلك الأفعال من كلمات الأضداد" . . (عبد التواب ، 1983 ، 354)

ويمثل على ذلك بقولهم : " قِدْ تأثَّم الرجلُ، إذا أتى المأثم، وتأثَّمَ إذا تجنب المأثم. (الانباري ،169، 1987 وابو الطيب ،1963، 17/1) ، وكذلك قولهم " تحنث الرجل، إذا أتى الحنِثَ، وقد تحنَّثَ إذا تجنب الحِنث " . (الأنباري ، 1987 ،180)

المشترك اللفظي :

ومن الوسائل التي تساعد على نمو اللغة وثرائها، الاشتراك اللفظي وينقل رمضان عبد التواب تعريف الأصوليين للفظ المشترك بأنه " اللفظ الواحد الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر، دَلالة على السواء عند أهل تلك اللغة " (السيوطي ، 1986 ، 369/1 وعبد التواب ، 1983 ،324)

وقد وقع الخلاف بين علماء اللغة في الاشتراك اللفظي، كما وقع في الترادف، يقول رمضان عبد التواب : " وكما وقع الخلاف بين اللغويين، حول وجود المترادف في اللغة، فأنكره بَعضُهم، نجد الأمر نفسه يتكرر هنا كذلك، فهذا " ابن درستويه "، الذي عرفناه من قبل، معارضاً في وجود المترادف في اللغة الواحدة، ينكر كذلك أن يكون للفظ : " وجد" من المعاني المختلفة، ما رواه اللغويون فيه، وهي : العثور على الشيء والغضب، والعشق (عبد التواب ، 1983 ،324)، فيقول في شرح فصيح ثعلب : " فظن من لم يتأمل المعاني، ولم يتحقق الحقائق، أن هذا اللفظ واحد، قد جاء لمعانٍ مختلفة، وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد، وهو إصابة الشيء خيراً كان أو شرّاً " (ابن درستويه ، 1975 ،240/1)

كما يقول ابن درستويه أيضاً : " فإذا اتفق البناءان في الكلمة والحروف، ثم جاءا لمعنيين مختلفين، لم يكن بدٌّ من رجوعهما إلى معنىً واحدا، يشتركان فيه، فيصيران متفقي اللفظ والمعنى " (ابن درستويه ، 1975 ،240/1)

ويلخص رمضان عبد التواب عوامل نشأة المشترك اللفظي في العربية عموماً، في ما يلي :

أولاً : الاستعمال المجازي : يقول عن هذا العامل : " فمثلاً كلمة : " العين "، يدل في الأصل على عضو الإبصار في الإنسان والحيوان، بدليل مقارنة اللغات السامية المختلفة، وهي من الأسماء القديمة فيها، أما العربية ففيها زيادة على هذا المعنى : الإصابة بالعين، وضرب الرجل في عينه، والمعاينة ؛ وهذه كلها إشتقاقات فعلية من لفظ " العين " بمعناها القديم ... ومن المعاني كذلك: " خَيار الشيء " و "السيد " و " وسنام الإبل " وهذه الثلاثة يجمعها " بالعين " قيمتها بالنسبة إلى سائر الجسد، على التشبيه بها في المكانة والمنزلة . ومن المعاني أيضاً : " الدينار " و " عين الركبة " وهي نقرة في مقدمتها، و "عين الشمس " و " عين الماء " وهذه كلها على التشبيه بالعين في الاستدارة، أو سيلان الدمع منها، وبقي من معاني " العين " في العربية " : " الاعوجاج في الميزان " و " وما عن يمين قبلة أهل العراق " و "السحابة التي تنشأ من ناحية قبلة أهل العراق " و " مطر أيام كثيرة لا يُقْلع " و "طائر " و " ذات الشيء " ؛ وهذه كلها معانٍ، لا يتضح لنا الآن علاقتها بالعين المبصرة وما نظنُّ إلا أن هذه الصلة، كانت موجودة في أذهان العرب الأوائل، الذين أطلقوا لفظ : " العين " عليها ". (عبد التواب ، 1983 ،327)

ويضيف رمضان عبد التواب ؛ أن السبب في غموض بعض العلاقات في معاني المشترك اللفظي، تكون بأن هذه الألفاظ تكون مرتبطة بأشياء تاريخية، أدَّت إلى نشوء هذه المعاني البعيدة للكلمة، في ظل اختفاء هذه العلاقات التاريخية، مثل ما تقدم ذكره، في بعض معاني العين، كالاعوجاج في الميزان وغيرها. (عبد التواب ، 1983 ،328)

ثانياً : اللهجات : يقول رمضان عبد التواب : " فبعض هذه المعاني المجازية التي رويت لنا في بعض الكلمات، نشأت بالتأكيد في بيئات مختلفة، غير أن اللغويين لم يوضحوا لنا، إلا في النادر، بيئة هذا المعنى أو ذاك " . (عبد التواب ، 1983 ،328)

ومن ذلك أن عامة العرب تطلق على الذئب : " السِّرحان " و " السّيد " وهاتان الكلمتان تطلقان عند هذيل على : " الأسد ". (كراع النمل ، 1976 ، 63)

وكذلك رَوى لنا الأصمعي، أن عامة العرب، كانت تطلق : " السليط " على الزيت . أما أهل اليمن، فكانوا يطلقونه على دهن السمسم فقط (السيوطي ، 1986 ، 381/1) وقد جعل رمضان عبد التواب هذا من تخصيص العام في دلالة اللفظ، وهو طريق من طرق تطور الدلالة، في اللغات المختلفة. (عبد التواب ، 1981 ،178-179)

ثالثاً : اقتراض الألفاظ من اللغات المنحتلفة : يقول رمضان عبد التواب في تفسير هذا : " إذ ربما كانت اللفظة المقترضة، تشبه في لفظها كلمة عربية، لكنها ذات دلاله مختلفة، كما لو تصورنا أن العربية، استعارت من الألمانية، كلمة: KaLb (كَلْب) بمعنى : " عجل "، فتصبح كلمة : " كلب " في العربية، من كلمات المشترك اللفظي، تدل على الكلب الذي نعرفه، وعلى : العجل " . (عبد التواب ، 1983 ،331)

ويضيف قائلاً : " وقد حدث مثل هذا في العربية القديمة، ففيها أن : "السَّكر نقيض الصحو"، وفيها أيضاً أن "كل شقٍّ سُدَّ، فقد سُكِر، والسَّكْر سَدُّ الشقِّ ". والمعنى الأول عربي، أما الثاني فهو معرب من الآرامية (ﺳﻜﺮ sakkar) (عبد التواب ، 1983 ،331) وقد فطن إلى هذا : شهاب الدين الخفاجي، حين قال : " لا يَضُرُّ المعرب كونه موافقاً للفظ عربي، كسَكَّرَ، فإنه معرب، وإن كان عربي المادة، بمعنى: أغلق، قال الله تعالى :﴿ سُكِّرَت أبْصارُنا ﴾ (الحجر 15/15)(الخفاجي ، 1325هـ ،8)

رابعاً : التطور الغوي : يشرح رمضان عبد التواب هذا العامل فيقول : " فقد تكون كلمتان، كانتا في الأصل مختلفتين الصورة والمعنى، ثم حدث تطور في بعض أصوات إحداها، فاتفقت لذلك مع الأخرى في أصواتها . وهكذا

أصبحت الصورة التي اتحدت أخيراً، مختلفة المعنى، أي صارت لفظةً واحدةً مشتركة بين معنيين أو أكثر ". (عبد التواب ، 1983، 332)

ويمثل على ذلك بما روى لنا من أن مَرَدَ : أَقْدَمَ وعتا ؛ ومَرَدَ الخبز ليَّنَهُ بالماء " (الفيروز ابادي ، 1913، 1/337) وأصل الكلمة بالمعنى الثاني هو : " مَرَثَ "، ففي المعاجم: " مرث الشيء في الماء : أنقعه فيه حتى صار مثل الحساء " ؛ فقد أبدل صوت الثاء هنا تاءً، فصارت الكلمة : " مَرَتَ "، وهذه رويت لنا كذلك (انظر أبو الطيب ، 1960، 1/159) ثم جهرت التاء لمجاورتها للراء، فصارت : " مَرَدَ "، وبذلك ماثلت كلمة : " مَرَدَ " بمعنى : أقدم وعتا " . (عبد التواب ، 1983، 332)

النحت

عرّفه علماء العربية بـــ " أن تعمد إلى كلمتين، أو جملة، فتنزِع من مجموع حروف كلماتها، كلمة فذّة " تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها(لمغربي ،1949، 13)

ويوافق رمضان عبد التواب أولمان، في السبب الذي يؤدي إلى نشوء بعض المنحوتات في اللغة، ذلك أن المتكلم يعسر عليه "أن يفصل بين كلمتين، وردتا إلى ذهنه دفعة واحدة، وربما تتداخل الكلمتان فيما بينهما، تداخلاً تاماً . والنتيجة الطبيعية لمثل هذه الزلة، وجود كلمة هي خليط من عناصر مختلفة، أو صيرورة الكلمتين كلمة واحدة، عن طريق النحت (Contamination) أو تكون كلمة صناعية، مشتملة على مزيج من أصوات كلمتين أُخريين، وجامعة لمعنيهما . وأكثر الكلمات التي تتكون بهذه الطريقة، ذات عمر قصير غير أن قدراً غير يسير منها، قد يُكتب له البقاء، فيستقر في اللغة كلمات جديدة " (اولمان ، 1986 ، 143)

وقسم اللغويون العرب النحت في اللغة لأربعة أقسام : (المغربي 1949 ، 13-14 وعبد التواب ، 1983، 301)

أولاً : النحت الفعلي : وهو أن تنحت من الجملة فعلاً، يدل على النطق بها، أو على حدوث مضمونها، مثل : " جعفل "، إذا قال لآخر جُعِلْتُ فداءك، و "بسمل " إذا قال : بسم الله الرحمن الرحيم .

ثانياً : النحت الوصفي : وهو أن تنحت من كلمة واحدة، تدل على صفة بمعناها أو بأشدَّ منه ؛ مثل : "ضِبَطْر " للرجل الشديد، في : " ضبط " و " ضبر " وفي : " ضبر " معنى الشدة والصلابة .

ثالثاً : النحت الاسمي : وهو أن تنحت من كلمتين اسماً، مثل : " جُلمُود ": في: " جمد " و " جلد " . ومثل : صَبَقُرٍ " للبَرَد، وأصله : حَبٌّ قُرٌّ .

رابعاً" : وهو أن تنسب شيئاً إلى بلدتي " طبرستان " وخوارزم " مثلاً، فتنحت من اسميهما اسماً واحداً على صيغة اسم المنسوب، فتقول : طبر خزي.

ويعرض رمضان عبد التواب في هذا الموضعِ، لأبي الحسين أحمد بن فارس، ويؤكد أن له اليد الطولى في هذا الموضوع، فهو في نظره إمامُ القائلين بالنحت بين اللغويين القدامى ؛ يقول في كتابه مقاييس اللغة : " واعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس، يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوتٌ . ومعنى النحت : أن تَؤْخَذَ كلمتان، وتنحت منهما كلمة تكون آخذةً منهما جميعاً بحظ (ابن فارس ، 1991 ، 328/1)

ويأخذ رمضان عبد التواب على ابن فارس، أنه لم يستطع أن يُفسِّر الرباعي والخماسي كله هذا التفسير، فجعله على ضربين : " أحدهما المنحوت الذي ذكرناه، والضرب الآخر الموضوع وضعاً، لا مجال له في طرق القياس. (انظر ابن فارس ، 1991 ، 329/1 وعبد التواب ، 1983 ، 303)

ومن أمثلة المنحوت عند ابن فارس : " البُحتُر " وهو القصير المجتمع الخَلْق، فهذا منحوت من كلمتين : من الباء والتاء والراء، وهو من بترته فَبُتِر، كأنه حرم الطول، فَبُتِر خَلْقُهُ ، والكلمة الثانية : الحاء والتاء والراء . وهو من : حَتَرْتُ وأحْتَرتُ، وذلك ألا تُفْضل على أحد، يقال أحْتَرَ على نفسه وعياله، أي ضيق عليهم؛ فقد صار هذا المعنى في القصير ؛ لأنه لم يُعْطَ ما أُعطيه الطويل " (انظر ابن فارس ، 1991 ، 329/5 وعبد التواب ، 1983 ، 303)

ومن أمثلة الموضوع وضعاً : الصَّمْعج للناقة الضخمة، والطَّفَنشَّ للواسع صدور القدمين، والكرنافة لأصل السَّعفة الملتزق بجِذع النخلة . (انظر ابن فارس ، 1991 ، 194/1 وعبد التواب ، 1983 ، 304)

ويضيف رمضان عبد التواب أمراً مهماً ؛ إذ يرى أن النحت قد يأتي في الكلمات الثلاثية، وهو بهذا يخالف ابن فارس، الذي يرى أن النحت يكون فيما زاد على ثلاثة أحرف . ويمثل رمضان عبد التواب على ذلك بكلمة : أسمر " مثلاً، منحوتة – في رأينا – من : " أسود " و " أحمر ". (عبد التواب ، 1983 ، 305)

ويعتز رمضان عبد التواب، بوضعه طريقاً من طرق خلق الرباعي في العربية، وهو طريق : المخالفة الصوتية "، يقول : " كما لم يفطن هو ولا غيره، إلى طريق من طرق خلق الرباعي في العربية، وهو طريق :" المخالفة الصوتية"، وهي عبارة عن إبدال أحد الحرفين المتماثلين، في صيغة : " فعّل "حرفاً يغلب أن يكون من الحروف المائعة أو المتوسطة : (ل م ن ر)، مثل : "تقرْصَعَ"، بمعنى: سال في مشيته، فأصلها " تقصّع " خولفت فيها الصاد الأولى، وجعلت راءً ومثل ذلك في اللهجات الحديثة : " هَرْدم " في : " هَدَّم " و " طَرْبق " في: " طبَّق " و كربس " في "كبَّس " و " خرْمش " في :" خمَّش"، وغير ذلك. (عبد التواب ، 1983 ، 306)

وأشار رمضان عبد التواب، إلى طريقة أخرى لتوليد الأبنية وهي استعمال وزني : " افعألّ " في الشعر، بإقحام همزة فيه مثل " اطمأنّ "(عبد التواب ، 1983 ، 194-195)

التعريب

يعرفه رمضان عبد التواب بأنه : " اقتراض هذه اللغات بعضها من بعض، وتأثير إحداهما في الأخرى، وهذا ما حدث للغة العربية، مع جاراتها من اللغات الأخرى، في ذلك الوقت المبكر. (عبد التواب ، 1983 ، 358)

وأكثر ما تتأثر اللغات، تأثراً متعلقاً بالمفردات، فإنه يكْثُرُ التبادلُ في هذه اللغات ويكثر اقتباسها بعضها من بعض. (وافي ، 1945 ، 229)

ويضيف رمضان عبد التواب قائلاً : " وكان هذا دأب العرب في جاهليتهم، تجري على ألسنتهم بعض الألفاظ، التي يحتاجون إليها، من لغات الأمم المجاورة لهم، بعد أن ينفخوا فيها من روحهم العربية، ويتلقفها الشعراء منهم، فيدخلونها في أشعارهم وأرجازهم ؛ فهذا هو الأعشى ميمون بن قيس، يكثر في شعره ذكر: اليرندج، والديابوذ، وإستار، والإسفنط، والبستان، والبوصى، والبرجان،

والجلسان، والبنفسنج، والمرزجوش، وغير ذلك . كما يشيع في شعر عديّ بن زيد ذكر : الإبرلق، والجؤذر، والخوان، والدخدار والمرزبان، وغير ذلك . (عبد التواب ، 1983 ، 359)

ويشير رمضان عبد التواب إلى أنه طال الأمر، على كثير من هذه الألفاظ في الجاهلية، فصارت جزءاً من اللغة العربية، ونزل القرآن محتوياً على مثل هذه الألفاظ . (عبد التواب ، 1983 ، 359 -360)

أما موقف العلماء القدماء من هذه القضية فينقسم ثلاثة أقسام : قسم مؤيد، وقسم رافض، وقسم وقف موقفاً وسطاً فمن المؤيدين الجواليقي، الذي ألف كتاباً، سمّاه:"المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم " ويستشهد الجواليقي على صحة رأيه، بما يُروى عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فقد : " رُوي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم في أحرف كثيرة (من القرآن) أنه من غير لسان العرب ؛ مثل :" سجِّيل والمشكاةُ، واليمُّ، والطور، وأباريق، وإستبرق، وغير ذلك". (الجواليقي ، 1966 ، 5 وعبد التواب ، 1983 ،360)

ومن الرافضين أبو عبيدة معمر بن المثنى، الذي يقول : " من زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية، فقد أعظم على الله القول ".. (الجواليقي ،1966 ،4 والسيوطي ،1986 ،266/1)

وهناك تيارٌ ثالث، يقف من التعريب موقفاً وسطاً، ويمثل هؤلاء أبو عبيد القاسم بن سلام، الذي يوازن بين رأي شيخه أبي عبيدة، ورأي السلف الصالح، وانتهى إلى عربية هذه الألفاظ، بعد أن تكلمت بها العرب وعربتها يقول : " فهؤلاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة . ولكنهم ذهبوا إلى مذهب، وذهب هذا إلى غيره. وكلاهما مصيبٌ إن شاء الله ؛ ذلك أن هذه الحروف، بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثم لَفَظَتْ به العربُ بألسنتِها، فعربته فصار عربياً بتعرِيبها إياهُ فهي عربيةٌ في هذه الحالِ، أعجميةُ الأصل ".. (الجواليقي ، 1966،101 والسيوطي ، 1986 ، 266/1)

أما رمضان عبد التواب فيرى، " أنه من العبث إنكار وقوع المعرب في العربية الفصحى، والقرآن الكريم، وقد وضع العلماء علامات، يُعْرَفُ بها المعرَّبُ في العربية، استنتجوها من مقارنة نسج الألفاظ العربية، بنسج هذه الألفاظ المعربة". (عبد التواب ، 1983 ، 363)

ويلخص رمضان عبد التواب، هذه العلامات، التي يعرف بها المعرَّب في العربية :

1- اجتماع الصادر والجيم ؛ مثل : جص، وصنجة، وصولجان .

2- اجتماع الجيم والقاف، مثل : المنجنيق، والجوالق، والحرموق .

3- اجتماع الباء والسين والتاء : مثل : البستان .

4- وقوع الراء بعد النون : مثل نرجس – ونرسيان .

5- وقوع الزاي بعد الدال : مثل : المهندز

6- خلو الكلمة الرباعية والخماسية من حروف الذلاقة (فر من لب) ؛ مثل : عقحش.

7- خروج الكلمة عن الأوزان ؛ مثل : إبريسم .(عبد التواب ، 1983 ، 36)

ويضيف رمضان عبد التواب، بأن العربية تنتهج منهجاً معيناً في تعريف الألفاظ الأعجمية، وذلك على النحو التالي:

أولاً : إبدال الأصوات التي ليست من أصوات العرب، إلى أقربها مخرجاً ؛ لئلا يدخل في كلامهم ما ليس من أصواتهم . فمهما غيَّروه من الأصوات: ما كان بين الجيم والكاف (كـَـ)، وربما جعلوه كافاً، وربما جعلوه جيماً، وربما جعلوه قافاً . (الجواليقي ،6،1966)، وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء (P) فاء، وربما جعلوه باء. (الجواليقي ، 1966 ، 7 وعبد التواب ، 1983 ، 363 -364)

ثانياً : تغيير بناء الكلمة إلى أبنية العربية . فمهما ألحقوه بأبنيتهم : " دِرْهَم، ألحقوه بهجْرَع . (الجواليقي ، 1966 ،8) وكان الفراء يقول : " يبنى الاسم الفارسي أي بناءٍ كان، إذا لم يخرج عن أبنية العرب " . (الجواليقي ، 1966 ، 9 وعبد التواب ، 1983 ، 364)

ثالثاً : ترك اللفظ الأعجمي على حاله، إذا كان موافقاً لمنهج العربية في الأصوات والصيغ، أو أبنية الكلمات ".. (عبد التواب ، 1983 ، 364)

أما عن موقف العرب من اللفظ المعرب في الاشتقاق، فيقول رمضان عبد التواب : " وتعامل العرب اللفظ المعرب، معاملة العربي في الاشتقاق منه، فمثلاً : كلمة : " لجام "، اشتق منها في العربية : ألجم، وتلجَّم، والفرسُ مُلْجَم، وغير ذلك.

ويماثل هذا تماماً، ما يحدث الآن في اللغة العامية، حين تستعير بعض الكلمات من الإنجليزية وغيرها، فتشتق منها أفعالاً، وتجمعها جموعَ تكسير عربيةِ، وغير ذلك،فكلمة : nervous مثلاً، اشتق منها في العامية العربية : (نرفز)، و (نرفزة)، و(ينرفز) و (متنرفز) ... ؛ وكلمة : table صارت في العامية طبلية وجمعت على: (طبالى)، وغير ذلك. (عبد التواب ، 1983 ، 365)

ويرى رمضان عبد التواب، أن حياة لغة لا تَفْسُدُ بدخول لفظ دخيل إليها، ولكن المشكلة في نظره عدم قدرة هذه اللغة على هضم هذا الدخيل، وهذه في نظره من مزايا العربية، كما يدعو رمضان عبد التواب المجامع اللغوية، إلى المسارعة في وضع لفظ عربيٍّ بديلٍ للمصطلح الأجنبي، أو المخترع الأجنبي، قبل انتشار هذا المصطلح، لأنه في حالة انتشاره يولد المصطلح العربي ميتاً، كما يدعو إلى تجنيد وسائل الإعلام للدعوة لهذا المصطلحِ العربي ونشرِهِ . (عبد التواب ، 1983 ، 367-368)

التطور الدلالي

يطول حديث الدكتور رمضان في هذا القانون ، ويرى رمضان عبد التواب أن للتطور الدلالي عوامل مختلفة تؤدي إليه ومظاهر معينة، يسلكها التطور الدلالي(انظر عبد التواب، 1981 ،110-119)، وقد عرض لهذا القانون الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه " دلالة الألفاظ " (انظر أنيس ،1963 ،123)

أمَّا عوامل التطور الدلالي عند الدكتور رمضان عبد التواب فمتعدّدةٌ سنأتي على ذكرها مع التمثيل على كلٍّ عامل :

أولاً : عوامل مقصودة متعمدة، ويمثل الدكتور رمضان لذلك، بقيام المجامع اللغوية والهيئات العلمية، بخلع دلالات جديدة، على بعض الألفاظ، التي تطلبتها حياة اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية جديدة وهذا العامل لا يهمنا في هذا المقام.
(انظر عبد التواب، 1981 ،111)

ثانياً : عوامل لا شعورية : وهذه العوامل هي التي تهمنا في هذا المقام، يقول رمضان عبد التواب : " تتم دون تعمد أو قصد، منها السياق المضلِّل الذي نسمع فيه الكلمة لأول مرة ". ويمثل الدكتور لذلك بما سمعه من إحدى المذيعات عندما وصفت " البخل " بأنه " بخل مدقع " لأنها تسمع هذا الوصف دائماً، مع كلمة : " الفقر " بمعنى " الفقر الشديد " (انظر عبد التواب، 1981 ،111-112)

ثالثاً : سوء الفهم: وهذا العامل متصل بالقياس، يقيس المرء فيه ما لم يعرف، على ما عرف من قبل، فيصيب حيناً ويخطئ حيناً آخر، ويمثل رمضان عبد التواب لذلك بتطور دلالة كلمة " عتيد " بمعنى حاضر " إلى معنى " عتيق " أو " عنيد" بسبب القياس الخاطئ . (انظر عبد التواب، 1981 ،75،112)

رابعاً : تطور أصوات الكلمة : يقول رمضان عبد التواب : " بحيث تصبح تلك الكلمة، مماثلة لكلمة أخرى لها معنىً آخر (انظر عبد التواب، 1981،112)ومثل لذلك بالكلمة الفارسية : "كماش " بمعنى نسيج من قطن خشن، فقد تطورت فيها الكاف فأصبحت قافاً، فتشابهت الكلمة العربية : قماش" بمعنى : أراذل الناس، فأصبحت الكلمة العربية ذات دلاله جديدة على المنسوجات . (انظر عبد التواب، 1981 ،112-113)

خامساً : اختصار العبارة : حيث تؤدي كلمة واحدة ما كانت تؤديه عبارة كاملة، قبل اختصارها، ويمثل الدكتور لذلك بمثالين منها ما حدث في اللغة الإنجليزية حيث استغنت عن الكلمتين : constitutional + walk بمعنى المشي لأغراض صحية بكلمة واحدة وهي: constitutional (أولمان، 1986 ،173)

سادساً : كثرة دورانها في الحديث، فالكلمة تكتسب دلالات كثيرة، كلما زاد استعمالها وكثر ورودها في نصوص مختلفة وسماه فندريس بالتأقلم " وهو قدرة الكلمة على اتخاذ دلالاتٍ متنوعةٍ، تَبَعاً للاستعمالات المختلفة التي تستعمل فيها وعلى البقاء في اللغة على هذه الدلالات . ويمثل فندريس لذلك بكلمة : bureau بمعنى : " مكتب " ؛ إذ حملت هذه الكلمة دلالات كثير ة، فكانت تدل على نسج الصوف الغليظ، ثم على الأثاث التي تغطى بهذا النسج، ثمَّ على الغرفة، ثم على الأعمال التي تعمل في هذه الغرفة... وغيرها من الدلالات . (انظر اللغة ، فندريس ،1950، 253-254)

سابعاً : الابتذال : وهذا العامل يصيب الألفاظ في كلِّ لغة، لظروف سياسية، أو اجتماعية أو عاطفية، فمثلاً كلمة : " الحاجب " كانت تعني في الدولة الأندلسية: " رئيس الوزراء "، ثم صارت على النحو المألوف الآن . (انظر عبد التواب، 1981 ،114)

أمَّا مظاهر التطور الدلالي فيقسمها رمضان عبد التواب، ثلاثة أقسام على النحو التالي : (انظر عبد التواب، 1981 ،115)

أولاً : تخصيص الدلالة : ويعرفها فندريس بأنها تلك الحالة التي يطلق فيها الاسم العام، على طائفة خاصة، تمثل نوعها خير تمثيل في نظر المتكلم(انظر فندريس ،1950، 257-258)

ويمثل الدكتور رمضان عبد التواب لذلك : بتخصيص الكلمة في أذهان الناس : كـ (الطهارة) بمعنى : " الختان "، وبتخصيص كلمة : " الحريم " للدلالة على النساء بعد أن كانت تطلق على كلِّ حميً محرم . (انظر عبد التواب، 1981، 116)

ثانياً : تعميم الدلالة : ويعرفها فندريس، بأنها إطلاق اسم نوع خاص من أنواع الجنس على الجنس كلِّه. ويمثل رمضان عبد التواب لذلك، بما حدث في لهجاتنا في إطلاق كلمة : " البأس " على كلِّ " شدَّة " وهي في الأصل بمعنى : " الحرب " . وغير ذلك أمثلة كثيرة يذكرها رمضان عبد التواب (انظر عبد التواب، 1981، 117 نقلاً عن فندريس ،1950، 258)

ثالثاً : انتقال الدلالة لغير التخصيص والتعميم، ومن أمثلة ذلك عند الدكتور رمضان، استعمال كلمة : " الشجرة " بمعنى " النخلة " والطير بمعنى : " الذباب " و " الوغى " بمعنى : " الحرب . وأصلها : اختلاط الأصوات في الحرب، وما إلى ذلك من أمثلة يذكرها رمضان عبد التواب . (انظر عبد التواب، 1981، 118-119)

القياس

ومن القوانين الصوتية، التي يفسر بها الدكتور رمضان عبد التواب بعض التطور اللغوي، القياس، ذلك أن مراحل النمو اللغوي عند الأطفال، تبدأ بأن يسمع الطفل من الكبار حوله كتلاً لغوية أو عبارات كاملة، فيلتقطها الطفل كما هي، كتلاً لغوية وعبارات، دون تحليل لعناصرها المختلفة، بل بربط بينها وبين ما يترتبُ عليها من الأحداث حوله، فيقوم الطفل عندها بتخزين كلمات تكررت على سمعه ليستخدمها عند الحاجة إليها، غير أنه يحدث أحياناً أن يفتقر الطفل في ذخيرته اللغوية، إلى ما يحتاجه من كلمات، فسرعان ما يخترع كلمة من عنده، بالقياس على ما لديه فيضع مثلاً كلمة : مسّاحة (للأستيكة) أو : وقّافة (للفرملة) أو : نضّافة (للفرشاة) وغير ذلك . (انظر عبد التواب، 1981، 67)

ويتفق رمضان عبد التواب مع ما قاله فندريس، من أن القياس يتوقف إلى حدٍّ ما، على قانون الاقتصاد في المجهود (أي قانون السهولة والتيسير) الذي يتجنب إثقال

الذاكرة بمتاع غير مفيد، من الصيغ الشاذة، النادرة الاستعمال، التي تُنسى وتُصاغ من جديد تبعاً للقاعدة المطردة . (انظر فندريس، 1950 ،206)

والقياس يأتي في نظر رمضان عبد التواب ؛ ليلغي هذه الاختلافات ويقيس بعض الأمثلة على بعض، فتتوحد الظاهرة عن هذا الطريق .

مثال ذلك : ثبت من مقارنة اللغات السامية، أن الأصل في ضمير المتكلم هو الكاف والأصل في ضمير المخاطب هو التاء، أي أن الأصل أن يقال مثلاً : "ضَرَبْكُ – ضَربتَ – ضَرَبْتِ " غير أن القياس أدى إلى تسوية هذا الاختلاف، فسادت الكاف وحدها في الحبشية ؛ ففيها مثلاً يقال : " قَتَلْكو – قَتَلْكَ – قَتَلكي "، وفي العربية والآرامية والعبرية، سار القياس في اتجاه آخر، فسادت التاء ؛ إذ يقال في العربية مثلاً : " قَتلتُ – قَتلتَ – قَتلتِ ". (نقلاً عن عبد التواب،1981 ،68–69)

ومثال آخر على أثر القياس في التطور، أن الأصل في " لام " الجر هو الفتح، والأصل في " باء " الجر هو الكسر، بدليل وجود هذا الأصل، في اللغات السامية الأخرى، وبدليل الاحتفاظ به في العربية، عند الاتصال بالضمائر، في مثل : (لَهُ) و (بهِ) أما كسر لام الجر في مثل : " لِلرجل " و " لِلناس " في العربية فإن سببه هو القياس على " باء " الجر . (انظر عبد التواب، 1981 ،69)

والنصب في " ما " عند الحجازيين، أثر من آثار قياس " ما " على " ليس ". (انظر عبد التواب، 1981 ،69)

ومن آثار القياس في التطور اللغوي، ما جاء عند الدكتور رمضان، تحت ما يُسمَّى بـــ " طرد الباب على وتيرة واحدة " . فالقياس ينقضُ القانون الصوتي، ومن أمثلة ذلك : أن القانون الصوتي يطلب أن ينطق الفعل : " عَبدَ " مثلاً عند إسناده إلى تاء الفاعل هكذا : " عَبَتُّ " بإدغام الدال في التاء،تبعاً لقانون المماثلة، أو التأثر المدبر الكلي في حالة الاتصال، غير أن القياس على باقي صيغ تصريف هذا الفعل، مثل : " عبدوا " و " عبدا " يحتم الإبقاء على الدال لكي يطَّرد الباب على وتيرة واحدة (عَبدتُ) مع قلقلة الدال (انظر عبد التواب، 1981 ،70)

ولا يقف القياس عند رمضان عبد التواب، عند نقض القانون الصوتي، بل يتعداه إلى إكمال الطريق الذي بدأه القانون الصوتي ومثاله : مضارع وزن " أَفْعل " المسند إلى ضمير المتكلم مثل : " أُكرم " الأصل فيه ؛ " أُوكرم " فتوالى فيه مقطعان متماثلان، والقانون الصوتي يفر من توالي الأمثال فيحذف أحدُ المقطعين المتماثلين، وبذلك يصبح

الفعل " أُكرم " ثم تقاس عليه باقي صيغ المضارعة، طرداً للباب على وتيرة واحدة فنقول : (أُكرم يُكرم وتكرم ويكرم) (انظر عبد التواب، 1981 ،70-71)

ويشير الدكتور رمضان إلى فطنة ابن جني إلى هذه الظاهرة (انظر ابن جني ،1954 ،192/1). ومن أمثلة طرد الباب على وتيرة واحدة التي يذكرها رمضان عبد التواب، ما حدث مع الفعل الناقص المسند للغائبتين (رمى – رماتا) وتحولها – إلى " رمتا "، قياساً للفعل المسند للغائبة، (رمى - رمات - رمت) . فالذي دفع لهذا التغيير في الفعل المسند للغائبة، هو تجنب المقطع الرابع، وطرد الباب على وتيرة واحدة. (انظر عبد التواب، 1981 ،71)

ومثل هذا القياس المطرد، هو المسئول عن تسكين آخر الأفعال فوق الثلاثية، المسندة إلى ضمائر الرفع المتحركة، على الرغم من عدم توالي هذه المقاطع الأربعة، نحو " استخرْجَتُ " قياساً على " ضَرَبْتُ". (انظر عبد التواب، 1981 ،71)

ويشير رمضان عبد التواب إلى قول ابن السراج، في ذلك: " وأمَّا لام " يَفْعَلْن"، فإنما أسكنت تشبيهاً بلام فَعَلْنَ، وإن لم يجتمع فيه أربع متحركات، ولكن من شأنهم إذا أعلُّوا أحد الفعلين لعلة، أعلوا الفعل الآخر، وإن لم تكن فيه تلك العلة. (ابن السراج ،1985 ،18/1)

في ويؤدي القياس في نظر الدكتور رمضان عبد التواب، إلى نشوء كلمات جديدة اللغة، مثل ذلك ؛ بناء " اتبع " من " تبع " مثلاً، أدى إلى توهم أن " اتخذ " مَأخوذة من " تخذ " مع أنها من : " أخذ "، وبذلك نشأت كلمة جديدة هي: " تَخِذَ " (انظر عبد التواب، 1981،73) واستخدمها الشعراء كقول الممزق العبدي :

وقد تَخِذت رجلي إلى جنب غَرْزها نسيفاً كأفحوص القطاة المطرّق

(الأصمعي ،1993 ،189)

وهذا القياس الخاطئ، هو المسئول عن استخدام : " تَقي " بمعنى : " اتّقى " (انظر عبد التواب ، 1981 ،74)، في قول عمرو بن قميئة :

فلو أنني أُرمى بهم تِقَيتُه ولكنني أُرمى بغير سهام

(ابن درستويه ،1975 ،299/1)

ويشير رمضان عبد التواب، إلى أن هذا القياس الخاطئ، هو الطريق الذي وصلت إلينا عنه كلمات أخرى مثل : " التكلان " من " وكل " و " التخمة " من الطعام الوخيم

و: " التقوى " من " وقي " و " التراث " من " ورث "، و " تجاه " من " وجه " و " التكأة "من" توكأ "و"والتالد" و" التليد" من " ولد " وغير ذلك.(أبو الطيب اللغوي ،1960 ،149/1)

وسمَّى " برجشتراسر " هذا النوع من القياس " ببناء الأبنية، وكان رمضان عبد التواب قد سمَّاه " بالقياس البنائي(بروكلمان ،1977 ،110) يقول برجشتراسر : " وقد أصاب الزمخشري، في معرفة أصل الحرف، في كثير من الكلمات غير أنه ضل طريقه إلا بدال في بعضها، فزعم أنها قصيرة، وهي في الحقيقة طويلة منحرفة ؛ فقد ذكر مثلاً أن التاء في كلمة " تهمة " أبدلت من الواو، وهذا هو عين الصواب، إلا أن التغير ليس من التغيرات الصوتية المحضة، كما رأى هو، وإنما أبدلت الواو بالتاء وبواسطة " بناء الأبنية " وذلك أن الافتعال من : " وهم " وهو " اتهم " بقلب الواو تاء بالتشابه، ثم إدغامها في تاء الافتعال، و " اتهم كاتبع في مظهرها، فظنوا أنها من : " تهم " كتبع، فاشتقوا منها كلمات عديدة، فاؤها التاء، منها : " التهمة " (برجشتراسر ، 1994 ،52)

ويشير رمضان عبد التواب ؛ إلى أثر القياس في تطور الصيغ والدلالة في بعض الأحيان : " فتشابه كلمة " سراويل " وهي للمفرد في اللغة الفارسية، بصيغة من صيغ الجمع المكسر في العربية وهي صيغة : " فعاليل "، جعل العرب يقيسونها على تلك الصيغة من صيغ الجمع، ويشتقون لها مفرداً، قياساً على مفردات ذلك الجمع فيقولون : " سِروال "(انظر الأزهري ،1967 ،390/12 وانظر عبد التواب ،1981 ،74-75)

ومما تطورت دلالته في نظر الدكتور رمضان عبد التواب، بسبب القياس : كلمة " عتيد " حيث شاعت هذه الكلمة بين المثقفين العرب بمعنى " عتيق قديم " أو "جبار قوي " وهذا لم يكن للكلمة في الأصل إذ إن معناها في العربية الفصحى "حاضر " . وفي القرآن الكريم (ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيد) (سورة ق 18/50) أمَّا السرَّ في شيوع هذا الخطأ في نظر رمضان عبد التواب : أن كلمة : "عتيد" تشترك في معظم أصواتها، مع كلمتين أخريين، هما : " عتيق " و " عنيد "، فقيستْ قياساً خاطئاً في معناها عليهما ".(انظر عبد التواب، 1981 ،75)

ويروي الدكتور رمضان معتمداً على ما سمعه هو أمثلة أُخرى يقول : "كما سمعت خطيباً يقول : " تبِعاً لكذا " بدلاً من : " تَبَعاً لكذا، يقيسها على :" طبِقاً لكذا " وما شيوع : " عَرِفْتُ " بكسر الراء، إلا لقياسها على : " علِمْتُ " كما يشيع في السعودية جمع : " مدير " على " مُدراء " قياساً على مثل : " كريم " و " كرماء "، وهي ليست على " فعيل " كما توهموا ". (انظر عبد التواب، 1981 ،76)

ويحشد الدكتور رمضان عبد التواب أمثلة كثيرة على هذا القياس الخاطئ، وينبه إلى معرفة قدماء اللغويين العرب لهذه الظاهرة، ظاهرة القياس الخاطئ وسموها : " التوهم " أو " الحمل " أو " القياس الخاطئ " أيضاً يقول سيبويه مثلاً : "فأمَّا قولهم : مصائب، فإنه غلط منهم، وذلك أنهم توهموا أن مُصيبة فعلية، وإنما هي مُفْعِلَة ". (سيبويه ،1316-1317 ،367/2، وانظر كذلك ابن جني ،1954 ،307/1)

تجديد الألفاظ

ومن العوامل التي تؤدي إلى تطور وتغير كثير من الألفاظ، في نظر رمضان عبد التواب، الذوق المجتمعي، وابتذال بعض الألفاظ ؛ فيستعاض عنها بألفاظ أخرى من اللغة نفسها أو من لغة أجنبية (انظر عبد التواب، 1981 ،120)

ومن تلك الألفاظ تلك التي تشير إلى التبول والتبرز والعملية الجنسية وأعضاء التناسل، ويمثل رمضان عبد التواب لذلك، بما حدث في العربية، في أسماء الحمامات، وأماكن قضاء الحاجة، فاستعملت كلمات كثيرة للدلالة على مكان قضاء الحاجة مثل : " المرحاض " و " بيت الأدب " و " الحمام " و " دورة المياه " وكُلُّها لا تزال حية، واستعارت بعض البيئات المدنية، كلمات أجنبية للدلالة على هذا المكان مثل : الكابينه " و " التواليت "، وأخيراً " الدبليوسي " (w . c) (انظر عبد التواب، 1981 ،120)

وهناك ألفاظ في نظر رمضان عبد التواب، تصاب بما يشبه الحظر، على استعمالها في المجتمع ؛ لأن الناس يتشاءمون من ذكرها، فيستبدلون بها كلمات أخرى، كاستعمالهم " المبروكة " للحمة " و " المرض الخبيث " للسرطان . (انظر عبد التواب، 1981 ،121)

ويذكر رمضان عبد التواب أن هذه الظاهرة، هي ما يطلق عليه اسم "اللامساس" أو " الحظر " وهو ترجمة لكلمة : taboo " وتطلق على كلِّ ما هو مقدس، أو ملعون، يحرم لمسمه، أو الاقتراب منه، من الأشياء وأسمائها ؛ والسبب في ذلك الاعتقاد الخرافي في سحر الكلمة . (عبد التواب، 1981،121،وانظر اولمان، 1986،193)

بلى الألفاظ

يُقرُّ الدكتور رمضان عبد التواب، ما أقرَّه المحدثون من علماء اللغات من : "أن كثرة الاستعمال، تبلى الألفاظ، وتجعلها عرضةً لقصِّ أطرافها، تماماً كما تبلى العملات المعدنية والورقية، التي تتبادلها أيدي البشر " (انظر عبد التواب، 95،1981) وينقل رمضان عبد التواب قول فندريس الذي يرى أن الكلمات القصيرة أكثر عرضة لهذا القانون، من

الكلمات الطويلة، ذلك أن المتحدث بهذه الكلمات الصغيرة لا يكلِّف نفسه في نطقها كاملة، فهو يكتفي بنطقها بصورة مختصرة، وهذه الألفاظ عمومها إما آلات مساعدة في اللغة، وإما عبارات محفوظة متداولة (انظر فندريس، 1950، 89)

ويمثل رمضان عبد التواب بالعبارات المتداولة لعددٍ من الأمثلة مثل عبارة : " عِمْ صباحاً " المتطورة عن " : أنعم صباحاً " و " والله " المأخوذة من " أيمن الله" ونحن نقول في مصر مثلاً " سلخير " بدلاً من مساء الخير " وفي الألمانية الفصحى يقولون في " صباح الخير " gutenmorgen وهي مقتطعة من جملة طويلة في الأصل وهي ich munsche dir einen guten morgen: وقد تطورت على ألسنة العامة، منذ عشرات السنين إلى : Morgen، وحدها، ثم صارت أخيراً في أيامنا هذه إلى : mo فحسب (انظر عبد التواب، 1981، 95)

وتحت هذا الباب، يفسر الدكتور رمضان عبد التواب تطور كثير من الألفاظ في عددٍ من الدول العربية . (انظر عبد التواب، 1981، 96-97)

أمَّا بخصوص الأدوات النحوية من حروف جر، وحروف وصل فيتفق رمضان عبد التواب مع فندريس (انظر عبد التواب، 198 1،216) بأن هذه الأدوات النحوية، ليست إلا بقايا من كلمات مستقلة قديمة، أفرغت من مَعْناها الحقيقي، واستعملت مجرد موضحات، أي مجرد رموز (انظر عبد التواب، 1981، 97)

ويمثل رمضان عبد التواب على هذه الأدوات النحوية المتطورة بفعل قانون " بلى الألفاظ " بكلمة " سوف " وهي في نظر رمضان عبد التواب من الألفاظ التي عانت كثيراً من آفة " بلى الألفاظ "، ولذلك يُخطِّئ الدكتور رمضان نحاة البصرة الذين ظنوا أن (السين وسوف) أداتان مختلفتان، ويرى رمضان عبد التواب، أن السين نتجت عن طريق قصِّ الأطراف الذي لحق بـــ (سوف)، ودليله على ذلك أن سوف من الكلمات القديمة في اللغات السامية الأخرى، كالآرامية فهي فيها : sawpā (ضُرمُل) وهي اسم معناه فيها : الغاية والنهاية، ثم أصبح في العربية القديمة أداة تدل على الاستقبال في الأفعال، ثم بدأت تعاني قَصَّاً لبعض أطرافها، في الفترة التي سبقت نزول القرآن الكريم، فقد ورد أن العرب قالوا : سَوْ يكون، وسَفْ يكون، وسَايكون، وسيكون (ثعلب، 1960، 315/1 وابن هشام، 1964، 139/1).وينقل رمضان عبد التواب تأييداً لرأيه عدداً من آراء العلماء نكتفي فيها بما ذكرناه في هذا الموضع (انظر عبد التواب، 1981، 98-99)

ومن الأمثلة على ما قاله رمضان عبد التواب من تأثر قانون (بلى الألفاظ)، ما حدث في " لام الاستغاثة " التي يقول عنها رمضان عبد التواب، بأنها بقية لفظة " آل " ومثاله قول مهلهل بن ربيعة :

يا لبكر انشروا لي كِليباً يا لبكر أين أين الفرارُ

(سيبويه، 1316-1317، 318/1)

أما العامية فلم تكن بأحسن حالاً من الفصحى، فقد طال هذا القانون ألفاظها، ومن أمثلة ما حدث في لفظة شيء التي صارت على صورة الشين فقط . وكذلك الفعل بقي، الذي لم يبقَ منه إلا الباء، في مثل قولنا (فلانٌ بياكل وبيشرَب وبيلعب) هذه الباء هي كلُّ ما بقي من الفعل بقي (انظر عبد التواب، 1981، 101)

ويشير رمضان عبد التواب (انظر عبد التواب، 1981،101) إلى عدم إدراك الشيخ محمد علي الدسوقي، سرَّ هذه الباء حين ظن أن هذه الباء هي حرف جرٍّ دخل على الفعل المضارع. (الدسوقي، 1913، 254)

الخط العربي

عرض الدكتور رمضان عبد التواب في أثناء حديثة عن ظاهرة الهمز، إلى أصول الخط العربي حيث قال : " لم يتبكر العرب خطهم الذي كتبوا به لغتهم ابتكاراً، وإنما تأثروا في وضعه – على أصح الأقوال – بالخط النبطي، الذي كان منتشراً في شمالي الجزيرة العربية في البتراء، والحيرة والأنبار، وغيرها قبل مجيء الإسلام".(عبد التواب، 1996، 11)

والذي يعنينا هنا محاولة الدكتور رمضان دراسة مشكلة الخط العربي، وقد عقد فصلاً لهذه المشكلة في كتابه فصول في فقه اللغة، على الرغم من أن فقه اللغة يهتم باللغة المنطوقة، ويبرر ذلك، بأن اللغويين العرب القدامى، قد تأثروا في بعض الأحيان بالصورة المكتوبة، وغفلوا عن النطق، فوقعوا لذلك في أوهام كثيرة في قواعدهم وقوانينهم وأحكامهم اللغوية. (عبد التواب، 1983، 396)

ويعالج رمضان عبد التواب أحد هذه الأوهام : " وهو أثر الخط العربي، في نظرة هؤلاء اللغويين ؛ إلى أصوات العلة العربية، وهي التي تسمى في الإنجليزية "vowels " وتعرَّف بأنها الأصوات المجهورة، التي يحدث في تكوينها أن يندفع الهواء في مجرى مستمر، خلال الحلق والفم، وخلال الأنف. معهما أحياناً، دون

أن يكون هناك عائق، يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً، أو تضييق مجرى الهواء، من شأنه أن يُحْدِثَ احتكاكاً مسموعاً. (عبد التواب، 1983 ،396)

ذلك أن أصوات العلة لم تحظَ، من متقدمي اللغويين بمثل ما حظيت به الأصوات الصامتة من العناية بها، ويرجع رمضان عبد التواب هذا إلى أن الكتابة العربية، لا ترمز إلى الحركات، أو أصوات العلة – القصيرة في بنية الكلمة، وإنما توضع رموزها في الخط فوق الحرف أو تحته، فتوهم متقدمو اللغويين من هنا أنها تابعة للحرف، وليست رموزاً لصوت مستقل تمام الاستقلال، لا يقل في شأنهِ عن رمز الحرف للأصوات الصامتة. (عبد التواب، 391،1983)

ومن هنـــا فقد وقع القدماء في خطأ آخر في نظـــر رمضان عبد التواب يقول: "حين عَدُّوا حُروف المد، وهي الألف في مثـــل : " قام " والواو في مثل : "يدعو" والياء في مثل " القاضي" – أصواتاً صامتة ؛ ولذلك وضعوا قبل الألف علامة الفتحة، كما وضعوا قبل الواو علامة الضمة، وقبل الياء علامة الكسرة، في حين أن الألف والواو والياء، في مثل هذه المواقع، علامات الأصوات : الفتحة الطويلة، والضمة الطويلة، والكسرة الطويلة. وقد وقعوا في هذا الخطأ أيضاً،بسبب أن الخط العربي يرمز للحركات الطويلة، برمز في داخل بنية الكلمة، بعكس الحركات القصيرة. (عبد التواب، 1983 ،398)

ويرجع الدكتور رمضان عبد التواب هذا العيب في الخط العربي، إلى أصوله التي أخذ منها، وهو الخط النبطي، الذي كان منتشراً في شمالي الجزيرة العربية، في الحيرة والأنبار وغيرهما، قبل مجيء الإسلام.(عبد التواب، 398،1983)

ويضيف الدكتور رمضان قائلاً : " وعلى الرغم من أن أصوات العلة، قصيرها وطويلها، أوضح في السمع من الأصوات الصامتة بكثير، فإن هؤلاء الساميين لم يرمزوا لها في خطوطهم منذ البداية، سواء في ذلك القصير منها والطويل، فكلمة : "كتاب " مثلاً، كانت تكتب : " كتب " و " عمود " كانت تكتب: " عمد " و " جميل" كانت تكتب : " جمل " وهكذا.(عبد التواب، 1983 ،398)

ثم حدث تطور صوتي في اللغة، ترتب عليه أن اكتسب بعض رموز الأصوات الصامتة، صفة الدلالة على أصوات العلة الطويلة ؛ فقد كانت الألف في الأصل رمزاً للهمزة في مثل : " أكل " و " رأس " و " ملأ " مثلاً، كما كان كل

من حروف الواو والياء رمزاً للصوت الصامت في مثل : " ولد " و " يكتب " و " يوم " و "بيت" وغير ذلك. ثم حدث أن ضاعت الهمزة في غير أول الكلمة، وتَحوَّل الصوت المركب (aw) و (ay) في مثل : " يَوْم " و " بَيْت " إلى حركة طويلة ممالة : (ō) و (ē) ومع حدوث هذا التطور في النطق، كان الخط ثابتاً، فكان الناطق ينطق مثلاً: (sār)، ويكتب : "راس" ؛ كما ينطق: (yōm) ويكتب: " يوم " وينطق : (bēt) ويكتب : " بيت " إلى غير ذلك. (عبد التواب، 1983، 398-399)

وبالتالي فقد أصبحت الألف رمزاً للفتحة الطويلة، إلى جانب رمز للهمزة، مع أنها كانت في الأصل رمزاً للهمزة فحسب، ومثل ذلك ظنه الناس في الواو والياء، أنهما رمزان للضمة الطويلة والكسرة الطويلة، إلى جانب أنهما رمزان لصوتي الواو والياء الصامتين. (انظر عبد التواب، 1983، 399)

ويلخص رمضان عبد التواب المشكلة بقوله : " ولسنا نرد هنا الخوض في تفاصيل نشأة الخط العربي وتطوره، وإنما يهمنا هنا أن نشير إلى أن الخط العربي بصورته الحالية، كان من الأسباب التي أدَّت بالغويين القدامى، إلى عد أصوات العلة أصواتاً ثانوية، بالنسبة للأصوات الصامتة، ويدلك على هذا أيضاً : ذلك الجدل الذي يثيره ابن جني (انظر ابن جني 1954، 1/46-47) حول الحركة القصيرة، أهي قبل الحرف، أو معه أو بعده ؟ وبدلاً من أن يلجأ إلى التجربة، أخذ يستخدم منطق أرسطو في التدليل على أن الحركة القصيرة تقع بعد الحرف، مثلها في ذلك مثل حروف المد، وهي الألف والواو والياء ". (عبد التواب، 1983، 404)

ويضيف رمضان عبد التواب قائلاً : " وقد أثَّرتْ تلك النظرةُ الخاطئة، التي تعتمد على الخط لا على النطق – في أحكام اللغويين العرب في كثير من قواعدهم، وعلى الأخص في أبنية (الصرف) وأوزان الشعر ".(انظر عبد التواب، 1983، 410)

" فمن أمثلة ذلك في المجال الأول، أنهم يقولون في المضارع المعتل الآخر، عند جزمه في مثل : " لم يَدْعُ " و " لم يخشَ "و " لم يرمِ " أنه مجزوم بحذف حرف العلة، فهم هنا ينظرون إلى الخط لا إلى النطق، ولو نظروا إلى النطق لقالوا إنه مجزوم بتقصير الحركة ؛ فبدلاً من(ū) في المثال الأول : (يدعو)،

يوجد في حالة الجزم : (u) وبدلاً من : (ā) في المثال الثاني : (يخشى)، يوجد في حالة الجزم: (a)، وبدلاً من : (ī) في المثال الثالث : (يرمي) يوجد في حالة الجزم : (I) في نهاية الفعل ". (انظر عبد التواب، 1983،410)

ويردد رمضان عبد التواب هذه الأمثلة – وغيرها – محاولاً أن ينصف الخط العربي – ذلك أن اللغويين العرب كانوا ينظرون في بناء قواعدهم إلى الخط العربي لا إلى النطق، ولا يعيب هذا الخط العربي، بقدر ما يعيب مناهج اللغويين القدامى (انظر عبد التواب، 1983 ،410)

الفصل السادس

جهوده في الدراسات السامية المقارنة والترجمة والتعريب

إن الدارس لجهود رمضان عبد التواب، في المقارنات السامية دراسة حقيقية يجده يعتمد على الدارسين الألمان ، بالأخص بروكلمان.

والحقيقة التي تتجلى من مجرد عرضنا لغالب كتب رمضان عبد التواب في الدراسات السامية، أنها كتب تعليمية ليست غير ذلك، فمنها " اللغة العبرية : قواعد ونصوص ومقارنات باللغة السامية " و " نصوص من اللغات السامية مع الشرح والتحليل والمقارنات " و " في قواعد الساميات : العبرية والسريانية والحبشية " ويعرب رمضان عبد التواب عن ذلك فيقول : " منذ أن خرج كتابي : " اللغة العبرية: قواعد ونصوص ومقارنات باللغات السامية " وأنا ألمس أثره الطيب، في الدارسين من طلابي وغيرهم من الباحثين، في شتى أرجاء الوطني العربي" (أنظر عبد التواب ، 1983 ،5)

ويقول كذلك: " وقد وفق الله تعالى، فلبست هذه الرغبة الكريمة، وأودعت هذا الكتاب الجديد، القواعد الأساسية، لكلٍّ لغة من اللغات الثلاث : العبرية والسريانية والحبشية، وأتبعت كل قسم بشيء من النصوص المحلَّلة المشروحة، ونصين أو ثلاثة بلا شرح أو تحليل " . (أنظر عبد التواب ، 1983 ،5)

أما دراساته الأخرى في هذا الموضوع والتي توزعت، بين فقرٍ في شتى كتبه، وبين فصول مستقلة في كتابيه " المدخل إلى علم اللغة " وكتابه " فصول في فقه اللغة. فقد استقى معظمها من الدارسين الألمان وعلى رأسهم كما قلنا بروكلمان، وبرجستراسر : ، ونولدكه . فمن الفصول التي نقلها رمضان عبد التواب نقلاً عن غيره من الدارسين :

أولاً : في أصوات اللغة (المدخل إلى علم اللغة) (263 –280) نقله برمته عن بروكلمان (فقه اللغات السامية 41 – 64)

ثانياً : أبنية الفعل (المدخل إلى علم اللغة)(229–240) نقلها عن بروكلمان (فقه اللغات السامية) (188–197) .

ثالثاً : أدوات التعريف والتنكير (المدخل إلى علم اللغة)(241-250) نقلها عن بروكلمان فقه اللغات السامية (103-104)

رابعاً : التذكير والتأنيث (المدخل إلى علم اللغة (251-265)، نقلها عن بروكلمان (فقه اللغات السامية (95-99) والتطور النحـــوي برجشتراسر (112-116)

خامساً : إسناد الماضي إلى الضمائر (المدخل إلى علم اللغة) (267-289) نقلها عن بروكلمان فقه اللغات السامية (118-119) والتطور النحوي برجشتراسر (77-82)

سادساً : اللغة العربية واللغات السامية (فصول في فقه اللغة 25-63) نقله عن اللغات السامية لنولدكه، وتاريخ اللغات السامية، لإسرائيل ولفنسون .

ومن القضايا التي ركّز عليها رمضان عبد التواب في دراساته السامية، قضية "التذكير والتأنيث " فعرض لها في أكثر من موضع ناقلاً حيناً ومضيفاً حيناً آخر (أنظر عبد التواب ، 1997 ،251-265 وعبد التواب ، 1983 ، 26-29)

ومن أهم تلك المواضع في كتابه " التذكير والتأنيث في اللغة مع تحقيق رسالة أبي موسى الحامض في المذكر والمؤنث " .

ودرس رمضان عبد التواب هذه القضية من خلال مقارنة اللغات السامية، التي تدل على " أن الساميين القدماء كانوا يفرقون بين المذكر والمؤنث في اللغة لا لوسيلة نحوية، ولكن بكلمة للمذكر وكلمة أخرى من أصل أخر للمؤنث ؛ ففي اللغة العربية مثلاً : " حمار " للمذكر في مقابل " أتان " لأنثى الحمار، و " حصان " للمذكر في مقابل " فرس " لأنثى الحصان، و " وغلام " للمذكـــر في مقابل " جارية" وغير ذلك . وفـــي اللغة العبرية (paqil) " كبش " في مقابل (rahel نعجة، رخِل)لأنثى الكبش، وغير ذلك كثير . (أنظر عبد التواب ، 1967 ،1)

وينطبق هذا في نظر رمضان عبد التواب على اللغات الهندواوربية يقول : ففي الإنجليزية مثلاً : " son "ابن" في مقابل daughter " ابنة " وكذلك brother " أخ " في مقابل " sister " أخت " ومثل ذلك في الألمانية sohn " ابن " في مقابل tochter "ابنة " وكذلك Bruder " أخ" في مقابل schwester" أخت"(أنظر عبد التواب ، 1967 ،1)

ولم تسر اللغات السامية في نظر رمضان عبد التواب حسب نمط الهندوأوربية التي وضعت أسماء الجمادات والمعادن، كالحجر والجبل والعدل والكرم، تحت قسم ثالث غير المذكر والمؤنث وسمته " بالمحايد "neuter " وهو في الأصل ما ليس مذكراً ولا مؤنثاً . فقد وزعت اللغات السامية مثلاً أسماء القسم الثالث، وهو المحايد على القسمين الآخرين، وصارت الأسماء فيها إما مذكرة وإما مؤنثة . (أنظر عبد التواب ، 1967، 2)

وقد أهملت بعض اللغات ناحية التذكير والتأنيث، وقسمت الأسماء فيها إلى أسماء أحياء وأسماء جمادات . وينقل رمضان عبد التواب عن بروكلمان قوله: " لا يوجد في اللغات البدائية نوعان فحسب من الجنس كما في اللغات السامية، ولا ثلاثة أنواع كما في اللغات الهندوأوربيه، بل يوجد فيها غالباً أنواع كثيرة تفترق عن بعضها نحوياً، وتتوزع في كل أشياء العالم المحسوس . ويرجع هذا التوزيع في الحقيقة إلى تأملات لاهوتيةٍ وبتعبير أحسن تأملات خرافية على قدر ما يبدو للرجل البدائي أن العالم كله من الأحياء . (بروكلمان ،1977 ،106 وعبد التواب ،1967 ،2)

وعلَّق رمضان عبد التواب على نصٍّ بروكلمان هذا فقال : " وهذه التأملات الخرافية " التي يتحدث عنها بروكلمان توجد كذلك في اللغات التي قسمت فيها الأسماء إلى مذكر ومؤنث ؛ إذ أننا لا نجد في كثير من الأحيان صلة عقلية منطقية بين الاسم وما يدل عليه من تذكير أو تأنيث، والدليل على فقدان هذه الصلة العقلية أن من اللغات ما يعتبر بعض الكلمات مؤنثاً وهي مذكرة في لغات أخرى، والعكس بالعكس، فمثلاً تعتبر اللغة العربية " الخمر " و " السن " و " السوق " كلمات مؤنثة، في حين تعتبرها اللغة الألمانية مذكرة فهي فيها : derwein " و " derzehn " و "dermark". مما تعتبر اللغة العربية كذلك " الصدر " و " الأنف " و " اللسان " كلمات مذكره، وهي في الألمانية مؤنثة، فهـــي فيهـا : die brust و " die Nase و "die zunge " (أنظر عبد التواب ، 1967 ،3)

ويضيف رمضان عبد التواب بأنه حتى اللغات التي تفرق بين المذكر والمؤنث والمحايد مثل الألمانية، نلحظ فيها فقدان هذه الصلة العقلية المنطقية، فالحجر derstein والمطر " derRegen والجبل der Berg كلها مذكرة في حين أنه

لا أثر فيها للتذكير الحقيقي، وكان أولى بها أن تكون في قسم المحايد.(انظر عبد التواب ، 1967،2)

أما ما سببه فقدان هذه الصلة العقلية فيقول رمضان عبد التواب : " وقد ترتب على فقدان هذه الصلة العقلية بين الاسم ومدلوله الجنسي أن يهتز هذا المدلول في أذهان أصحاب اللغة أنفسهم، فهناك من يظن أن كلمة " مستشفى " مثلاً مؤنثة مع أنها مذ كرةٌ ، ويظهر أنَّ تأنيثها قد جاء قياساً على الكلمة الأخرى " اسبتالية " المستعارة من اللغات الأوروبية . وكذلك كلمـــــة " السِلم " يظن كثير من الناس أنها مذكرة، وهي مؤنثة كما جـــاء في القـــــرآن الكريم: (إن جنحوا للسلم فاجنح لها) (الأنفال 61/8) وهذا هو السرُّ في أن كثيراً من الكلمات التي تسمى بالمؤنثات السماعية في اللغة العربية – وهي التي تخلو من علامات التأنيث – قد روى فيها التذكير كذلك، ويُنسبُ ذلك في بعض الأحيان إلى مختلف القبائل العربية ؛ مثل ما رواه "أبو عبيد " في كتابه الغريب المصنف عن " أبي زيد " أنه قال : " أهل تهامة يقولون: العُضد والعُضْد والعُجُز والعُجْز ويؤنثونهما، وتميم تقول : العَجُز والعضُد، ويذكرّون. قال أبو عبيد: ويجوز التخفيف " (أنظر عبد التواب ، 1967، 3)

أما العلامات الخاصّة في التأنيث فهي ثلاثٌ في اللغات السامية، وهذه العلامات هي : التاء، والألف الممدودة والألف المقصورة .

ويرى رمضان عبد التواب أن التاء هي أهم العلامات، وأكثرها انتشاراً في اللغات السامية ، ويرى بروكلمان أنها " ربما كانت في الأصل عنصراً من عناصر الإشارة " وقد بقيت هذه التاء في الآشورية والحبشية كما هي في حالتي الوصل والوقف أما العربية فإنها تقلبُ فيها هاءً عند الوقف . (أنظر عبد التواب ، 1967، 3)

وقد انتقلت صيغة الوقف كذلك إلى الكلام المتصل، فصارت التاء هاءً في الكلام المتصل في الآرامية والعبرية واللهجات العربية الحديثة، ثم تحولت في الآرامية والعبرية إلى ألف مدٍّ فيقال في الآرامية مثلاً (bīšāI) " رديئة " وفي العبرية (yalda) ، "بنت" وفـــــي اللهجـــات العربيـــة الحديثة يقال مثلاً šaġara kbīrah "شجرة كبيرة " فتزول الهاء تماماً عند اتصال الكلام ولا يبقى إلا فتح ما قبلها. (أنظر عبد التواب ، 1967، 4)

أما العلامة الثانية : " وهي الألف الممدودة، فتوجد في اللغة العربية على الأخص في صيغة " فَعلاء " مؤنث " أفعل " الدال على الألوان والعيوب الجسمية ؛ مثل " حمراء " مؤنث " أحمر " و " عرجاء " مؤنث " أعرج " ويرى بروكلمان أن هذه الألف تطابق في اللغة العبرية (ō) في أسماء الأماكن مثل silo (أنظر عبد التواب، 1967، 5)

وأما العلامة الثالثة : " وهي الألف المقصورة، فتوجد في العربية على الأخص في صيغة " فُعلى " مؤنث " أفعل " الدال على التفصل ؛ مثل " كبرى " مؤنث "أكبر". وهي تقابل في العبرية (ay) في مثل (šāray) إلى جانب sara وتقابل في السريانية (ay) كذلك في مثل (tu <yay) ضلالة ".(أنظر عبد التواب ، 1967، 5)

ويقول رمضان عبد التواب عن هاتين العلامتين الثانية والثالثة : " وهاتان العلامتان الثانية والثالثة قد زالتا تقريباً من بعض اللهجات العربية الحديثة، وحلت محلهما تاء التأنيث، فنحن نقول في حمراء، وبيضاء، وصحراء، وعمياء، وميناء، واستيلاء : حمره، وبيضه، وصحره، وعميه، ومينه واستيله . كما نقول في حُبْلى، وسَلْمى، وخُبَّازى، وعَدْوَى، وفتوى : حِبْله وسَلْمه وخُبيزه، وعَدْوه، وفتوه . وقد حدث مثل ذلك في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري؛ فقد ذكر أبو بكر الزبيدي في كتابه " لحن العوام " أن الأندلسيين كانوا يقولون في عصره : مِينه وحَلْوه ودفلة وحُبَاره في مِيناء وحَلْواء، ودُفلى، وحُبَارَى .(عبد التواب ، 1967، 5 وعبد التواب ، 1999/230-231)

أما السرُّ في زوال هاتين العلامتين في رأي رمضان عبد التواب، وحلول العلامة الأولى، وهي التاء، محلهما هو ميل اللغة إلى أن تسير في طريق السهولة والتيسير ؛ فبدلاً من أن يكون عندنا للتأنيث ثلاث علامات تصبح في اللغة علامة واحدة لكل أنواع المؤنث ".(أنظر عبد التواب ، 1967، 5)

ومن الجهود التعليمية التي تحدثنا عنها عند رمضان عبد التواب ما جاء في كتابه " اللغة العبرية " إذ عمد الى كتابه مقدمة تاريخية في اللغة العبرية واللغات السامية، نقل جلها عن بروكلمان وإسرائيل ولفنسون، وكتب كذلك فصلاً عن قواعد القراءة والكتابة : الأبجدية – الحركات – التشديد – الصامت المستتر – الفتحة المستعارة – بناء المقاطع في العبرية .

وتحدث أيضاً في هذا الفصل عن قواعد اللغة العبرية : الضمائر والأسماء واسم الموصول وأدوات الاستفهام والتذكير والتأنيث والمفرد والمثنى والجمع – وأدوات التعريف – بالإضافة إلى الضمائر – بالإضافة إلى الظاهر – الفعل في العبرية – وأوزان الفعل وإسناد الأفعال إلى الضمائر والمجرد السالم الماضي – المستقبل – الزمن الحالي – وفعل الأمر واسم الفاعل واسم المفعول والمصدر – صيغ الزوائد – وإسناد الماضي من صيغ الزوائد – المستقبل من صيغ الزوائد – والثلاثي من الأفعال المعتلة – المثال – معتل الفاء بالألف – معتل اللام بالألف – معتل اللام بالهاء – الفعل المضعف حركة حرف المضارعة في الثلاثي .

وعرض في الفصل الثاني بعض النصوص في العبرية بالشرح والتحليل من مثل:

- المزمور الأول من مزامير داود .
- المزمور الثالث عشر من مزامير داود .
- سفر روث (آيات في الإصحاح الأول).

وعرض في الفصل الأخير إلى بعض الموضوعات المقارنة في اللغات السامية أشرنا لها سابقاً – وقلنا أنه نقلها عن بروكلمان – من مثل : أصوات اللغات السامية، وأبنية الفعل في اللغات السامية، والتعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث .

ولا تختلف مادة الكتابين (في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية مع النصوص والمقارنات) (نصوص من اللغات السامية) عما جاء في كتابه (اللغة العبرية) إلا في بعض الزيادة في النصوص المقارنة والمحللة والمترجمة، حيث أن الفصلين الأول والثاني في كتابه اللغة العبرية قد ضمنها، لهذين الكتابين.

جهوده في الترجمة

درس رمضان عبد التواب مرحلة الماجستير والدكتوراه في ألمانيا، وقد مكنته دراسته للغات السامية، أن يدرس عدداً من اللغات كالعبرية والسريانية والحبشية والسبئية والمعينية، والى جانبها درس الأكادية والفارسية والتركية .

ومن اللغات التي صار رمضان عبد التواب مبرزاً فيها الألمانية، وقد ساعده هذا على ترجمة عدد من الكتب المهمة، من هذه اللغة إلى العربية وأهم هذه الكتب:

اللغات السامية (لنولدكه)

ومن الكتب المهمة في اللغات السامية كتاب " اللغات السامية " لنولدكه " وهو من الكتب التي ترجمها – رمضان عبد التواب، ترجمة دقيقة كعادته، ويعد هذا الكتاب مرجعاً لكل من أراد أن يرسم في ذهنه صورة سريعة عن اللغات السامية، وهو حلقة مهمة في سلسلة الدراسات التي دارت حول هذا الموضوع (انظر مقدمة المترجم ، نولدكه ، 1963 ،ص2)

وخرج هذا الكتاب في طبعته الأولى فمثلاً لمقالٍ نشر في " دائرة المعارف البريطانية " تحت اسم " للغات السامية semititic langusges " وقد اهدى نولدكة الطبعة الأولى من هذا الكتاب " للصديق الحميم بروفسور " فريدرك فيرلر " fried wlesler." بمدينة " جوتنجن " Gottingen " بمناسبة مرور خمسين عاماً (اليوبيل الذهبي على حصوله على الدكتوراه) . (أنظر مقدمة المترجم نولدكه ، 1963، 5)

أما الطبعة الثانية فقد جاءت نتيجة الفحص الدقيق، وقد أهداها الى المستشرق " جورج هوفمان " في " كيل " وأحبُّ أن أنقل فقرة من إهدائه هذا تدلُّ على تواضع هذا العالم الكبير، الذي يُعَدُّ بلا مراء، شيخ المستشرقين وكبيرهم يقول فولدكه مخاطباً جورج هوفمان : " لا شكَّ أنك تعلم أنني أحكم على كثير من مسائل اللغات السامية حكماً يخالف حكمك أنت عليها، وأنني أكتفي غالباً بكلمة " لا أدري " في حين أنك بذكائك لا تزال تأمل في الحصول على نتائج راجحة " (نولدكه ،6،1963)

الكتاب صغير مكون من مئة وعشر صفحات بدأ مؤلفه بالحديث عن اللغات السامية وبعد ذلك تحدث عن كلِّ لغة من اللغات السامية بشكل منفرد مبتدئاً بالعبرية ثم الفينيقية، ثم الآرامية، ثم السامرية، ثم السوريانية، ثم الآشورية، ثم العربية، ثم السبيئية، ثم الأمحارية .

فقه اللغات السامية

يُعَدُّ هذا الكتاب من الكتب المهمة في المكتبة العربية، أضافه رمضان عبد التواب إليها بعد ترجمته لهذا الكتاب من الألمانية، وهو لعلم من أعْلامِ المستشرقين وعن الدافع وراء الترجمة يقول رمضان عبد التواب : " تخلو المكتبة العربية، من كتاب يدرس اللغات السامية، درساً مقارناً، وهذا ما دعاني إلى ترجمة هذا الكتاب من الألمانية، لعلم من أعلام المستشرقين هو " كارل بروكلمان "، الذي عرفه قراء العربية من قبل، مؤلفاً لكتاب " تاريخ الأدب العربي " . وليس في المكتبة العربية إلا " تاريخ اللغات السامية " لإسرائيل ولفنسون، و " اللغات السامية، لنولدكه، الذي ترجمته عن الألمانية، ونشرته في عام 1963 بالقاهرة . غير أن هذين الكتابين اقتصرا على الناحية التاريخية، ولم يتجاوزاها إلى مقارنة القواعد، إلا في النزر اليسير " .(بروكلمان ،1977،5)

وعن فضل " بروكلمان " مؤلف الكتاب، وأثره فيمن تبعه من المؤلفين في اللغات السامية يقول رمضان عبد التواب : " وكل من جاء بعد " بروكلمان " عالة عليه، من أمثال " أوليري " الذي نشر سنة 1929 م كتاباً بعنوان " النحو المقارن للغات السامية " و " برجشتراسر " الذي ألف سنة 1928 م كتاب " المدخل إلى اللغات السامية" . كما ألقى في الجامعة المصرية القديمة، محاضرات عن التطور النحوي، مقارناً العربية باللغات السامية، وقد طبعت هذه المحاضرات، بعنوان " التطور النحوي ، في سنة 1929 م . و " موسكاتي " الذي نشر في روما سنة 1960م . كتاباً بالإيطالية عنوانه : " محاضرات في اللغات السامية، وترجمه بعد تنقيح إلى الإنجليزية، بالاشتراك مع " أنطون شبيتالر " و " إدوارد ألندروف " و " فولفرام فون سورن "، ونشر في ألمانيا عام 1964 م تحت عنوان : " مُقدمة في النحو المقارن للغات السامية " ".(بروكلمان ،1977،7)

وقد نقل عنه رمضان عبد التواب نقولاتٍ كثيرة، أشرنا لها في موضعها حتى أن معظم الذي كتبه رمضان عبد التواب في فصل " المنهج المقارن بين مناهج البحث اللغوي " هو نقل عن هذا الكتاب ".(انظر مقدمة المترجم ، عبد التواب ، 1997 ،(181-306)

ويشير رمضان عبد التواب إلى أمرين في الكتاب، الأمر الأول : أن هذا الكتاب يخلو من الحديث عن " اللغة الأوجاريتية " لأنها اكتشفت بعد أن نشر " بروكلمان " كتابه هذا بزمن طويل، كما أن حديثه عن البابلية – الآشورية ينقصه بعض الدقة، بسبب ضآلة المعلومات، التي كانت معروفة في وقته، عن هاتين اللغتين .

أما الأمر الثاني، أن " بروكلمان " استخدم في الدلالة على بعض أصوات اللغات السامية، رموزاً لا تتوفر في مطابع الشرق، وقد استبدل رمضان عبد التواب بها رموزاً أخرى . ".(مقدمة المترجم ، بروكلمان ،1997، 7)

وقد عرضنا لكثير من الموضوعات التي جاءت في هذا الكتاب، من خلال غرضنا لجهود رمضان عبد التواب في أكثر من موضع، وقد اشتمل الكتاب على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : اللغات السامية .

الفصل الثاني : الكتابة السامية .

الفصل الثالث : القواعد المقارنة للغات السامية.

العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب.المستشرق يوهان فك

ومن الكتب التي ترجمها رمضان عبد التواب، والتي تُعدُّ من أهمِّ الكتب التي ترجمها " العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب " للمستشرق يوهان فك" وكان هذا الكتاب قد ترجم قبل رمضان عبد التواب على يد الدكتور عبد الحليم النجار، وبعد نفاد هذه الترجمة، أعاد رمضان عبد التواب ترجمته ملتزماً بترجمة هوامش المؤلف التي تركها المترجم الأول.

وعن أهمية الكتاب وصعوبة تحقيقه يقول رمضان عبد التواب : " والكتاب دائرة معارف واسعة يحتاج من مترجمه إلى الكثير من الصبر والجهد، ومراجعة الكثير من المصادر، لتحقيق هذا النصِّ أو ذاك، من نصوصه الكثيرة، الممتدة عبر عصور العربية الخالدة. ولقد التزمتُ الدقة في التعبير عمَّا أراده المؤلف، وحاولتُ البحث عن المصطلح العربي المناسب، لترجمة المصطلحات الإفرنجية، التي عالج بها المؤلف قضايا العربية وتطورها " . ".(مقدمة المترجم ، فك ،1980، 3)

وعن أهميته يقول المستشرق شبيتالر : " قدم فك بكتابه : " العربية " إلى المتخصص في علم العربية عملاً لم يقدمّ مثلُهُ من قبل " ".(تعليقات ثبتالر ،198 ،5)

أما موضوع الكتاب : " فقد تعقب " فك " تاريخ العربية، ابتداءً من العصر الأموي والعباسي، وانتهاء بعصور السلاجقة والسيل المغولي الذي أكمل حلقة الختام في مراحل الانحلال اللغوي، التي بدأت بظهور السلاجقة، لكي يشير في " نظرة خاطفة " إلى الطريق الذي سلكه تطور العربية الأدبية، في القرون التالية حتى العصر الحاضر ". ".(فك ،1980 ،5)

ويقول شيتالر في عرض جوانب الموضوعات في هذا الكتاب : " وإنه لمن غير الممكن، التحدث بالتفصيل، عن كيفية استيفاء " فك " بجوانب الموضوع، فقد استطاع المؤلف بالقراءة الواسعة المستفيضة التي ربما لم تتوفر في الوقت الحاضر، إلا لقلة من المتخصصين، وبالشواهد التي لا تحصى من المصادر العربية الأصلية التي لم تجمع إلا بجهد سنوات، أن يقدم لنا عرضاً حيَّاً مثيراً، يشوق القارئ دائماً للأحوال والظروف التي تقلبت فيها اللغة العربية والتاريخ الإسلامي، وكذلك التأثيرات المتعددة للبيئات المجاورة المتغيرة دائماً، على اللغة والأدب، ضمن تخطيط تاريخ للحضارة، إلى بحوث معجمية، وتحليلات أدبية وأسلوبية، تختلط بملاحظات إعرابية ونصوص غير مجهولة لنا تعرض في سياق جديد، ومادة غير معروفة من قبل، تُساق للبرهنة في أصالة " ".(فك ،1980 ،5-6)

ويقول كذلك:"وإن نظرة على الفهارس المتنوعة (للأشخاص والموضوعات والكلمات والآيات القرآنية) التي ألحقت بالكتاب، والتي تجعل فيه بالتأكيد مرجعاً عربياً لتعطى صورة تقريبية عن اتساع المادة التي عالجها المؤلف فيه"(فك ،1980 ،6)

وقد قسم " فك " كتابه إلى أربعةَ عشرَ فصلاً (بالإضافة إلى الملحق الذي يتضمن دراسة معجمية دلالية لكلمة " لحن " واشتقاقها، تعد كما يقول شيتيالر عملاً رائداً في حقيقة الأمر وهذه الفصول هي :

الفصل الأول : تمهيد (13-17) ومما جاء فيه : الإسلام يقرر مصير العربية – العربية لغة الدين والحضارة في العالم الإسلامي – سقوط الدولة

الأموية لم يضعف العربية – العصر الذهبي للعربية في أوائل الدولة العباسية .. إلخ

الفصل الثاني :العلاقات اللغوية في عهد الدولة (الأموية) . (18–58)

هجرة القبائل للغزوات مشرق عصر جديد للعربية – تأثير العربية وتأثرها بلغات الأقاليم الجديدة– اختلاف اللهجات لم يحل دون تفاهم العرب .. إلخ .

الفصل الثالث : عربية الدولة ولغة الشعب في أوائل العصر العباسي . (ص59–92) . سقوط الدولة لم يضْعف العربية – لغة القرآن تصير جزءاً من حقيقة الإسلام – الأسرة العباسية تبرز الطابع الديني بلسلطانها – الثقافة العربية مثل أعلى – الشعوبيون لم يستطيعوا نقض مكانة العربية .. إلخ .

الفصل الرابع : اللغة العربية في عصر هارون (ص93–108)

بلوغ الدولة ذروة سلطانها في ظل هارون – ازدهار علوم العربية – اقترانها بأعلام العلماء – لغة البدو هي المثل الأعلى – خلاف علماء اللغة مع اللهجة الدارجة – البصريون يتهمون القراء باللحن ... إلخ .

الفصل الخامس : العربية المولدة (109–118)

مبدأ " تنقية اللغة " يجعل عربية البدو مثلاً أعلى للكلام والتحرير – أثر الحضارة في اللغة – عربية الدولة واللغة الدارجة – العربية المولودة تكتسب مناطق جديدة – لم يتأثر المجتمع الراقي بالعربية المولدة حتى القرن الثالث .

الفصل السادس : العلاقات اللغوية في عصر المأمون وعقيدة الاعتزال الرسمية (119–137).

الفصل السابع : العربية تصير لغة الأدب الفصحى من النصف الثاني من القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي (ص138–149).

الفصل الثامن : عربية الأدب في القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي . (ص150–159).

الفصل التاسع : العربية ولهجات البدو في القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي (160–173)

الفصل العاشر : العربية واللغة المولدة في القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي (174–188)

الفصل الحادي عشر : ظهور اللغة الدراجة في أشعار القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي (189–197)

الفصل الثاني عشر : وصف المقدسي للعلاقات اللغوية في المحيط الإسلامي إبان القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي (198–214)

الفصل الثالث عشر : اللغة العربية في عهد السلجوقيين . (ص215–237)

الفصل الرابع عشر :نظرة خاطفة (ص131–242) : أثر السيل المغولي في الريخ اللغة – مصر تتصدر بلدان العالم الإسلامي 0– النهضة الأدبية في مصر تستمر قرنين من الزمان .... إلخ .

–ملحق – مادة : ل ح ن ومشتقاتها (ص243–255)

الأمثال العربية القديمة (مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عُبيد) تأليف المستشرق، الألماني " رودلف زلهايم " .

ويبين رمضان عبد التواب سبب ترجمته لهذا الكتاب، في مقدمته للكتاب، مظهراً إعجابه في الكتاب وبمؤلفه ومجملاً منهج مؤلف الكتاب، إذ يقول رمضان عبد التواب : " وتتابع التأليف في الأمثال العربية على هذا النحو، فوصلت الينا عشرات الكتب التي يعتمد بعضها على بعض في كثير أو قليل . وقد خلط مؤلفوها بين المَثَلِ والحكمة والتعبير اللغوي الدائر على الألسنة، ولم يفرقوا بين الحقائق التاريخية والأساطير التي تحاك حول الأمثال . حتى جاء مؤلف هذا الكتاب – وهو من المستشرقين النابهين – فدرس هذه المشكلات في دقة وعناية . وتناول مجامع الأمثال العربية بالتحليل . في استقصاء يبعث على الإعجاب، مبيناً لمناهجها وطرقها المختلفة ؛ ومتتبعاً لرواياتها ورحلاتها في الشرق والغرب في صبر العالم، واخلاصه المتفاني في علمه، وبراعة الباحث المدقق " ".(مقدمة المترجم 1984، ص8)

ويصف رمضان عبد التواب الكتاب فيقول : " وكان هذا الكتاب من أوائل الكتب التي تطلعت نفسي إلى ترجمتها، لما يتسم به من دقة في المنهج، ووضوح في التفكير، واستقصاء لجزئيات الموضوع، ونصاعة الحجج والبراهين ؛ ولخلو

المكتبة العربية من مثل هذه الدراسات الجادة، لأمثالنا العربية القديمة " ".(زلهايم ،1984، 8)

وقد يكون رمضان عبد التواب، مختلفاً عن بعض المترجمين، الذي يأخذ نسخته الأجنبية ويعكف عليها وينشرها، دون أن يلتقي بمؤلفها . فقد كان رمضان عبد التواب على العكس من ذلك تماماً ؛ فلم ينقطع رمضان عبد التواب عن مؤلفي كتبه التي يترجمها، وهذا ديدنه في معظم كتبه التي ترجمها، فقد كان يلتقي بالبروفيسور (زلهايم) مؤلف هذا الكتاب، كما راسل (يوهان فك) الذي ترجم له كتاب العربية، وأفاده هذا بإعادة النظر في ترجمته مرة أخرى، في ضوء نسخة ثانية للمؤلف " تفيض بالتصحيحات والتنقيحات، والإضافات الجديدة . ".(عبد المجيد وآخرون ،2001، 32)

وكان لرمضان عبدة التواب مراسلات مع عدد كثير من الاساتذة الألمان، فكاتب أوشبس، أو كوشبس في بون، وكاتب ريتر في استانبول . ".(عبد المجيد وآخرون ،2001، 32)

ومن موضوعات كتاب الأمثال لزلهايم، بعد مقدمة لرمضان عبد التواب وتعريف بالكتاب :

- مقدمة : الدراسات الأوروبية لأمثال العرب .
- الأمثال العربية وقصص الأمثال .
- تعريف المثل .
- المثل .
- التعبير المثلى
- الحكمة .
- العبارة التقليدية .
- أمثال القرآن والحديث .
- أمثال الشعراء والفلاسفة وغيرهم .
- عُمْرُ الأمثال .
- عُمْرُ قصص الأمثال ومصدرها .

الفصل الثاني : دراسة عدد من كتب الأمثال .

- كتب الأمثال قبل أبي عبيد .

- المفضل بن محمد يعلى الضبي .
- كتاب آخر من هذا العصر .

أبو فيد مؤرخ بن عمرو السدوس العجلي .

ومن موضوعات الفصل الثالث والرابع والخامس.

- كتاب الأمثال لأبي عبيد .
- وحياة أبي عبيد، ومخطوطات كتاب أبي عبيد، ومقدمة الكتاب، وفهرس المحتويات . وشرح البكري لأمثال أبي عبيد، حياة العكبري، ومخطوطات شرح البكري
- كتاب الأمثال العربية القديمة بعد أبي عبيد .
- أبو عكرمة الضبي .
- ثمانية كتب أخرى من هذا العصر .

وأنهى المؤلف الكتاب بمجموعة من الفهارس المهمة التي تضيء الكتاب للقارئ :

1- فهرس الموضوعات .
2- فهرس الأعلام العربية .
3- فهرس الكتب العربية التي وردت في النص .
4- فهرس المصادر العربية للكتاب .
5- فهرس الأعلام الأجنبية .
6- فهرس الكتب الأجنبية التي وردت في النص .
7- فهرس المصادر الأجنبية للكتاب .
8- كشاف المختصرات.

الفصل السابع

منهجه في تحقيق التراث

يُعَدُّ الدكتورُ " رمضان عبد التواب " علماً من أعلام التحقيق، حتى أنه أرسى قواعد مدرسة في التحقيق، صارت تعرف بين جمهور المحققين بالمدرسة الرمضانية (أنظرعبد المجيد الطويل وآخرون، 2001، 304) ؛ فقد حقَّق الدكتور رمضان ما يزيد على الثلاثين كتاباً،– ولم تأتِ شهرةُ الدكتور من عدد الكتب المحققةِ ولا من أهميتها، ولكن جاءت من المنهجِ الذي اتبعه الدكتور في عمليـــةِ التحقيـــقِ فيقول الدكتور : " ولقد سبق إلى التأليف في تحقيق النصوص ونشرها جماعةٌ من العلماء الأفاضلِ، من العرب والمستشرقين ولكن واحداً منهم لم ينهج ذلك النهج الذي اتبعناه في كتابنا هذا ". (عبد التواب، 4،1986)

وقد عرض الدكتور منهجه هذا في كتابه " مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين " بالإضافة إلى عدد من البحوث والمقالات، التي نُشرت في عدد من المجلات العلمية .

ويشير الدكتور إلى أن أي باحث في العلوم الإنسانية، مطالبٌ بتحقيق النص، الذي يستنبط منه نتائجَ معينةً، قبل أن يقدم على استنباط هذه النتائج. (عبد التواب، 5،1986).

وليست الكتب المخطوطة هي فقط التي تحتاج إلى تحقيق في نظر الدكتور رمضان عبد التواب : " فكثير من الكتب المطبوعة التي بين أيدينا لا تفترق كثيراً عن المخطوطات إذ إن الذين تولوا طبعها ونشرها طائفةٌ من الوراقين، وبعضُ الأدعياءِ الذين لا يدرون عن فن تحقيق النصوصِ شيئاً ؛ ولذا جاءت هذه المطبوعاتُ في كثير من الأحيانِ مليئةً بالتصحيف والتحريف، نصوصُها مضطربةٌ مشوشةٌ، تبعد كثيراً عن الأصل الذي كتبه مؤلفوها"(عبد التواب، 1986 ،5).

وهذه دعوةٌ من الدكتور رمضان عبد التواب إلى العودة إلى كثير من تراثنا المطبوع بالنظر والتأمل، وأن لا يقدم على هذا الموضوع إلا من عرف في نفسه القدرة يقول الدكتور : " وقديماً قالوا : " لا يعرف الشوق إلا من يكابده " وأنا أقول لا يعرف الشوكَ إلا مَنْ يخوض هذا الميدانَ الصعبَ، ميدانَ تحقيق النصوص .

ولقد ظن بعض أدعياء العلم، أن تحقيق النصوص ونشرها عمل هَيِّنٌ سهلٌ، وكأن لكثرة الدخلاء على هذه الفن أثراً في حكمهم هذا، وما درى هؤلاءِ أن المحقق الأمين قد يعطي ليلةً كاملةً في تصحيح كلمةٍ، أو إقامة عبارة، أو تخريج بيت من الشعر، أو البحث عن علمٍ من الأعلام في كتب التراجم والطبقات ".(عبد التواب، 1986، 4).

فلم يعد العمل الذي كان يقدم عليه الوراقون في الزمن الماضي من قراءة المخطوط وطبعه بأغلاطه وتحريفاته الموجودة به مقنعاً. فليس التحقيق تذييلاً للصفحات، ولا طبع كتابٍ من الكتب الصفراء، على ورق أبيضَ مصقولٍ فإن عملاً كهذا ليس إلا مثارةً للسخرية. (أنظر عبد التواب، 1986، 4).

ويكفينا مثال واحدٌ – قبل أن نشرع في بيان الأسس التي تشكل منهج الدكتور رمضان – للتدليل على أن كثيراً من تراثنا المطبوع، لا يختلف عن المخطوط بل إنَّه أشرُّ من المخطوط؛ ذلك أنه زادت احتمالات أيِّ كلمة في المخطوط الأصلي احتمالاً خاطئاً، وزادت الصعوبة أمام الباحث الذي ينهض لإعادة تحقيق النص بل إن الشرَّ أن يبني باحثون آراءَ علمية على هذا الكتاب ثقةً منهم بالتحقيق الذي بين أيديهم .

قال الدكتور رمضان : " يكفي للتدليل على هذه القضية، مراجعةُ النص الذي اقتبسه الإمامُ السيوطيُّ، في القبائل التي تؤخذ عنها اللغة عن كتاب " الألفاظ والحروف " لأبي نصر الفارابي الفيلسوف المشهور. يقول السيوطي في كتابه " المزهرِ " عن الفارابي : " وبالجملة فإنه لم يؤخذ لا من لخمٍ ولا من جذامَ لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعةَ وغسّان وإياد لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانيةِ، ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكرِ لمجاورتهم للقبط والفرس ".(السيوطي، 1986، 211/1).

إن مراجعة كتاب الألفاظ والحروف للفارابي، الذي نشره محسن مهدي في بيروت سنة "1969 م" . لا تغني شيئاً في إصلاح التحريف الواقع في المزهر ؛ لأن في كتاب الفارابي نقصاً في مخطوطته، ترتب عليه ضياع نصوص كثيرة، منها هذا النص الوارد في المزهر .

ويقف المرء حائراً أمام هذا النص ؛ إذ كيف لليمن أن تكون بالجزيرة مجاورة لليونان ؟ ثم كيف لبكر أن تمتد بجناحيها في شمالي الجزيرة العربية، فتجاور في الشرق الفرس في إيران، كما تجاور في الغرب القبط في مصر ؟

ويتحيَّر الباحثُ ويزداد عجبُه، حين يرى مجموعةً كبيرةَ من علمائنا الأفاضل، يقتبسون هذا النص من المزهر، ويضعونه في بحوثهم دون أن يخطر على بالهم أية تحريفاتٍ فاحشةٍ، وثوقاً منهم بنصٍّ قد طبع محققاً، هو نصُ المزهرِ.

ويقول الدكتور رمضان عب التواب " وحين توقفت أنا أمام هذا النص، قبل نحو عشرين عاماً، رأيت أن أراجع من أجله كتب السيوطي اللغويةَ، في محاولةٍ للعثور فيها على هذا النصِّ مرةً أخرى، إذ تعودنا ذلك في كثيرٍ من المؤلفين، حين يستخدمون النص الواحدَ في أكثرَ من كتاب من مؤلفاتهم بمناسباتٍ شتى ... وقد صدق حدسي ؛ إذ وجدت النص نفسه مرة أخرى، في كتاب : " الاقتراح في أصول النحو " للسيوطي وفيه صواب العبارة : " ولا من تغلب والنمر، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من بكر، لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس".(السيوطي ،1999، 60)

فانظر كيف حرفت كلمة : " النمر "، فصارت في نشرة المزهر " اليمن " كما حرفت أختها : " النبط "، فصارت في هذه النشرة كذلك : " القبط " ؟ " (عبد التواب، 1986، 4-8) .

نلاحظ من خلال المثال الذي يضربه الدكتور رمضان كيف بنى عددٌ من الباحثين الكبار نتائج مهمةً على نصٍّ خاطئ، ليس لشيء إلا لثقتهم بأنه نصٌّ محققٌ.

إذاً فالباحث مطالبُ أن يكون محقِّقاً لكلِّ نصٍّ يستنبط منه نتيجةً قبل أن يستنبطها، فلو أن واحداً من هؤلاء العلماء الكبار، رجع إلى المصادر الأصلية، لما وقع هذا العدد الكبير بهذا الخطأ .

وللرجوع إلى المصادر الأصلية أهمية لأمرين اثنين : " لما لهذا الموضوع من أهمية كبرى في النتائج التي يصل إليها الباحث في بحثه، ولارتباطه من جانب آخر بموضوع الخط العربي الذي أصيب بداء التصحيف والتحريف، منذُ أول

نشأته، بسبب تشابه أكثر حروفِ الهجاءِ العربيةِ، واختلافِ أماكن النقط وعدده ". (عبد التواب، 1982 ،191) .

وقبل الخوض في عرض الأسس التي سارت عليها المدرسة الرمضانية في تحقيق التراث لا بدَّ من الإشارة إلى تعريف تحقيق النصوص ونشرها عند هذه المدرسة يقول الدكتور رمضانُ تحقيق النص معناه : " قراءته على الوجه الذي أراده، عليه مؤلفه، أو على وجه يَقْرُبُ من أصله الذي كتبه به هذا المؤلف " وهذا الكلام لا يحتمل التخمين يقول الدكتور رمضان " وليس معنى قولنا : " يقرب من أصله " أننا نخمن أية قراءة معينة بل علينا أن نبذل جهداً كبيراً في محاولة العثور على دليل يؤيد القراءة التي اخترناها ". (عبد التواب، 1986، 5)

" فالتحقيق إثبات القضية بدليل.(لسان العرب (حقق) " وحَقَّقْتُ الأمرَ، وأحققته : كنت على يقين منه ". (ابن منظور 1317، 333/11).

ويقدم الدكتور لمنهجه الذي يبسطه في كتابه " مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين " بمقدمةٍ حول جهود علمائنا العرب القدماء في التحقيق وسبقهم لعلماء أوروبا في " الاهتداء للقواعد التي يقابلونها بين النصوص المختلفة، لتحقيق الرواية " والوصول بتلك النصوص إلى الدرجة القصوى من الصحةِ " (عبد التواب، 1986 ،13).

ويعرب الدكتور رمضان عن عجبه حين يرى علماءنا القدامى يفطنون إلى كثير من المسائل التي يعالجها المحدثون في تحقيق النصوص .

فقد تعرض القدامى إلى عدد من المسائل التي تعالج في تحقيق أي نص من : (عبد التواب، 1986، 28-44) .

(1) المقابلة بين النسخ .
(2) إصلاح الخطأ
(3) علاج السقط
(4) علاج الزيادة .
(5) علاج التشابه بين بعض الحروف .
(6) صنع الحواشي .
(7) علامات الترقيم والرموز والاختصارات .

أسس المدرسة الرمضانية في تحقيق التراث

وللوصول إلى النص الذي خرج على يد مؤلفه لا بدَّ من اتباع الخطوات التالية:

أولاً : جمع النسخ المخطوطة للنص .

" لتحقيق النصِّ ما لا بدَّ من معرفة نسخةَ المخطوطة في شتى مكتبات العالم المختلفة . وللوصول إلى هذا الغرض لا بدَّ من الإطلاع على المصادر التالية :

1- كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (Brockelmann) .

وكتابه : " بداية تاريخ الأدب العربي " ليس كتاباً في تاريخ الأدب بالمعنى المعروف، وإنما هو تسجيل لكل ما وصل إلى علم صاحبه، مما أُلفٍّ باللغة العربية، في جميع فروعها، ما دامت هذه المؤلفات موجودة مخطوطةً كانت أو مَطْبوعة ".(عبد التواب ،1986 ،62)

2- تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، الذي طاف في كثير من مكتبات العالم التي لم تُفَهْرِسْ كُتُبَها حتى صدورِ كتاب بروكلمان وقام هو بفهرسة المخطوطات الموجودة بها وابتدأ يخرج كتابه في عام 1967. (عبد التواب، 1986، 60-64)

3- فهارس المكتبات التي يوجد فيها مخطوطات عربية .

4- سؤال أهل العلم عما يعرفونه من نسخ الكتاب المراد نشره . وفي حالة " كان للكتاب الذي نريد نشره نسخ خطية كثيرة كان الفيصل في ترتيب هذه النسخ من حيث الأهمية واختيار الأمهات منها ثلاثة أمور :

أ. قدم النسخة : ويعرف ذلك من التاريخ المدوَّن على آخرها " .

ب. عِلمُ الناسخ : فقد تكون هناك نسخةٌ قديمة غير أن ناسخها جاهل كثير الخطأ والتصحيف والتحريف، بجوار نسخة أخرى حديثة غير أن ناسخها عالم جليل مشهود له بالدقة وتحري الصواب، وعندئذٍ لا بدَّ للمحقق أن يَعُدَّ هَذه النسخةَ الحديثةَ أُمًّا يعتمد عليها في نشر الكتاب.

ج. كمالُ النسخة : فقد تكون هناك نسخةٌ قديمةٌ أو بخط عالم من العلماء، غير أنها مخرومةٌ، أي تنقص عدة أوراق من أولها أو أوسطها أو آخرها، فَيفْضُلُها عندئذٍ نسخةٌ كاملةٌ للكتابِ يحتفظ بنصه كاملاً بلا نقصان .

د. وَتَرَتُّبُ النسخُ المخطوطةُ للكتاب الواحدِ من حيثُ علُّو الدرجة على النحو التالي :

1. النسخة التي بخط المؤلف .
2. النسخة المقروءة على المؤلف .
3. النسخة المنقولة عن نسخة المؤلف، أو المقابلة بنسخته .
4. النسخة التي كتبت في حياة المؤلف (انظر عبد التواب، 1986، 74)

ثانياً : توثيق عنوان الكتاب، ونسبته إلى مؤلفه :

ولك في ذلك أن ترجع إلى عدة مصادر منها كتب التراجم التي ترجمت لمؤلف الكتاب، وكتب الفهارس التي وقفت عند مجاميع الكتب في أبوابها مثل فهرست ابن النديم وابن خير الأشبيلي، وكشف الظنون، أو المؤلفات التي عرضت لبعض الكتب من خلال حديثها عن فنٍ من الفنونِ مثل مقدمة المخصص لابن سيده، ومقدمة شرح شواهد المغنى للسيوطي، ومقدمة شرح الشواهد الكبرى للعينى ومقدمة خزانة الأدب للبغدادي، وإقليد الخزانة للميمي وغيرها. (أنظر عبد التواب، 1986 ،74)

وينبه الدكتور رمضان إلى أن " عدم ذكر الكتاب في كتب التراجم والطبقات لا يصحُّ وحدَهُ أن يكون مؤدياً إلى الشك في نسبة الكتاب إلى مؤلفه ؛ إذ لم تَدَّعِ كتبُ التراجمِ يوماً أنها أحصت جميعَ مؤلفاتِ العلماءِ الذين يرد لهم ذكر فيها . ولدينا الأمثلة على ذلك، فكتاب " الأمثال " لمؤرج السدوسي، الذي نشرتُه أنا بالقاهرة سنة 1971 م لولا اقتباسات منه في جمهرة الأمثال " للعسكري، " و " مجمع الأمثال " للميداني " و " خزانة الأدب " للبغدادي، وغيرها، لشكَّ المرء في نسبته، إذ لم يرد له ذكر بين كتب المؤرج التي تُروى له في كتب الطبقات". (عبد التواب، 1986، 74)

ثالثاً : التمرس بالخطوط :

ولهذا الأمر أهميةٌ، إذ يترتب عليه الوصولُ إلى القراءة الصحيحة للمخطوط، القراءةَ الخاليةَ من التصحيف والتحريف : " يتعين على المحقق أن يتمرس بخطوط المخطوطات التي يستخدمها، حتى لا يقرأها بالطريقة التي تعوَّد عليها في

إملاء عصره هو، أو يقرأ الخط المغربي بطريقة المشارقة، فيخلط القاف بالفاء مثلاً ". (عبد التواب، 1986، 78)

ولا بدَّ للباحث : " من المران على قراءة خطوط القدماء، والوقوف على طريقة النساخ في كتابتهم للحروف الهجائية، حتى لا يخلط المحقق بين الراء والدال أو اللام والكاف مثلاً. وقد كان لبعض النساخ في الزمن القديم اصطلاحات خاصَّةٌ في الضبط بالشكل مثلاً، فلا بدَّ عندئذ من تعرُّف هذه الاصطلاحات في المخطوطة ؛ فقد كان بعض الكتاب يكتب الشدَّة والفتحةَ، الشدَّة والكسرةَ بطريقة تخالف طريقتنا اليومَ؛ إذ يضعُ الفتحة تحت الشدة، فَيُخيَّلُ لمن لم يُمَرَّن على خط المخطوطاتِ إنها شدة وكسرة في حين أن هذا الكاتب يضع الشدة فوقَ الحرفِ، والكسرة تحته، للدَّلالةِ على الشدةِ والكسرةِ " (عبد التواب، 1986، 78)

أما الخطُّ العربيُّ فكان وما زال مشكلةً كبيرة تواجه العربية وتواجه المحقق فالخطوط باابرة " . ويكتب التاء المفتوحة تاءً مربوطة في مثل " ذاة "، كما يكتب: " لاكن " و " هاكذا ". (عبد التواب، 1986، 78)

رابعاً : معرفة مصطلحات القدماء في الكتابة

ويشير الدكتور إلى أهمية هذه الخطوطِ عندَ تحقيق أيِّ نصٍّ " فلا بدَّ من إلمام المحقق بها وإلا خلط النصَّ بغيره مما ليس منه أو أسقط ما هو جدير بالثبوت، أو أساء الضبط، لأنه لم يعرف طريقةَ الناسخ في ذلك، فإنه إذا لم يعرف علامات التضبيب التي سبق أن شرحناها في مناهج القدماء، أدخل في النصِّ ما ضَرَبَ عليه الناسخ لأنه ليس منه وإذا غفل عن علامة " اللحق " أو " الإحالة " ظنَّ ما على حواشي النسخة شروحاً أو إضافاتٍ من النسَّاخِ، وهي في صلب النص الذي يحققه" (عبد التواب، 1986، 87)

ومن مصطلحات القدماء وعلاماتهم واختصاراتهم :

1- الدائرةُ التي تفصل بين الآياتِ .
2- علاماتُ الاقتباسِ، وعبروا عنها بعباراتٍ شتى ؛ مثل : " هذا كلامُ فلانٍ" هذه ألفاظُ فلانٍ " هذا قولُ فلانٍ " انتهى ما ذكره فلانٌ ... " .

3- اختصار الكلمة ومثله فعل الفيروز أبادي في مقدمة القاموس المحيط، فقد وضع بعض الاختصارات وشرحها، مثل ج = جمع / م = معروف / ع = موضع / د = بلد / ة = قرية وكذلك اختصار عبارات تَحَمُّلِ العلمِ: حدثنا : ثنا/ نا / أخبرنا : أنا . وحدثني : ثني .

4- علامات إهمال الحروف غير المعجَّمة .

5- كتابة الكاف كاللام، بغير الشرطة الأفقية .

6- التعقيبة : وهي كلمة تكتب في ذيل ظهر الورقة، تبدأ بها الورقة التالية .

7- علامة اللحق أو الإحالة : وهي خطٌّ رأسيٌّ مائلٌ نحو اليمين، إذا كتب الاستدراك على الحاشية اليمنى، أو نحو اليسار إذا كتب الاستدراك على الحاشية اليسرى للصفحة ". (عبد التواب، 1986، 87-88)

خامساً : المران على أسلوب المؤلف ومراجعة كتبه :

وهذا مهم جداً إذ يجب " المران على أسلوب المؤلف، والإلمام بموضوع الكتاب، فلكل مؤلفٍ أسلوبُه وعباراتُه التي يرددها، ولازماته التي تدور في كلامه. وينبغي لكي نكتسب هذا المران، أن نقرأ الكتاب عدة مرات ". (عبد التواب، 1986، 90)

ومما يعين على أسلوب المؤلف قراءة كتبه الأخرى ويكفي هنا عرض ما سبق عرضه من نص كتاب " المزهر " للسيوطي عندما قال : " لم تؤخذ اللغة من تغلب واليمن ؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس". وهذا التناقض يجلوه كتاب آخر للسيوطي هو: " الاقتراح في أصول النحو " فيقول : " لم تؤخذ اللغة من تغلب والنمر، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس". فحرفت كلمة : " النمر " إلى اليمن " كما حرفت كلمة " النبط " إلى " القبط " في نصٍّ المزهر. وعند مقابلة نصّ " المزهر " بنصِّ الاقتراح . سَهُلَ إصلاحُ التحريف. (عبد التواب، 1986، 90-91)

وسائل تحقيق النص :

" يسلك المحقق في إقامة عبارة النص الذي أمامه على وجهها الصحيح طرقاً مختلفة، كما يستعين على فهم أسلوب المؤلف بوسائل شتى ".(عبد التواب، 1986، 93)

أولاً : الشكُّ في النص أو الشك في النفس :

فعند استغلاق النص على المحقق فهو بين أمرين إما أن يتهم النص الذي يحققه بالتصحيف والتحريف وإما أن يتهم نفسه بقلة المحصول اللغوي.(انظر عبد التواب، 1986، 93)

والمحقق المنصف من اتهم نفسه قَبْل النصِّ وإلى هذا ذهب برجشتراسر : "على الناشر أن يَحْذَرَ غاية الحذر من تغيير ما لا يفهمه، إلا بعد أن يثبت بالبرهان القاطع أن عدم فهمه للنص لم ينشأ من عدم فهمِه للغة، بل إن استحالة الفهم على هذه الصورة، لوقوع الخطأ في النسخ ". (برجشتراسر، 1969، 49)

ويلفت الدكتور المحققين إلى أمرٍ في غاية الأهمية وهو أنه ليس كل نص غير مفهوم، يُعَدُّ مغلوطاً. ويشير إلى أن النساخ قد يعمدون أحياناً إلى تغيير العباراتِ الصعبة غير المفهومة بأخرى سهلة مفهومة فإذا وجدنا مثل ذلك رجَّحنا الأولى على الثانية . (انظر عبد التواب، 1986، 97)

أمَّا في حالة تأكدنا من خطأ النسخة التي بين أيدينا، فإما أن يكون الخطأ من المؤلف، أو من النساخ وليس لنا أن نتأكد أن الخطأ من المؤلف إلا إذا كانت النسخة التي بين أيدينا مكتوبة بخط المؤلف. (انظر عبد التواب، 1986، 97)

وفي حالة تأكدنا من خطأ النسخة التي بين أيدينا نقوم بإصلاح الخطأ في هوامش التحقيق من دون أن نغير في متن الكتاب شيئا. (انظر عبد التواب، 1986، 97)

ثانياً : مراجعة مصادر المؤلف:

ومن الوسائل الناجعة في تحقيق النصِّ مراجعته على مصادره، وهذا أمر سهل حين يشير المؤلف إلى اسم كتاب بعينه، أو إلى اسم مؤلف ليس له إلا كتاب واحد كسيبويه، ولكن الأمر يزداد صعوبة حين يذكر مؤلِّفاً له كتبٌ كثيرة، من غير تعيين كتاب، أو عند عدم الإشارة إلى مؤلف أو كتاب فيحتاج المرء عندها مراجعة كثير من الكتب ليحصل على النص الذي يريد. (انظر عبد التواب، 1986، 99)

وإهمال الرجوع إلى مصادر المؤلف، لا يورث سوى الوهم والخلل والإبقاء على ما أصاب النصَّ من تحريف وتصحيف، وليس أدل على ذلك مما حدث مع محقق كتاب " المسائل والأجوبة " للبطليوسي، الذي وقع في سلسلة طويلة من الأخطاء، والتحريفات . (انظر عبد التواب، 1986، 99-100)

ثالثاً مراجعة المؤلفات المماثلة :

" كما يجب على المحقق الرجوع إلى المصادر التي نقل عنها المؤلف ويلزمه كذلك مراجعة المؤلفات المماثلة للكتاب الذي يحققه فإن كان يحقق كتاباً في النحو العربي، راجع مسائلَهُ في كتب النحو المختلفة أو كتاباً في الفقه الشافعي، راجع الكتب المتخصصة في موضوعه، أو كتاباً في الطب، لم يُغْفِلِ التراث الطبي عند العرب، فإن كلَّ ذلك يعين على تحقيق النصِّ على خير وجه".(عبد التواب، 1986، 102)

رابعاً : مراجعة النقول عن الكتاب، والحواشي والشروح :

ويشير الدكتور إلى أهمية مراجعة المحقق للنقول والاقتباسات عن الكتاب المحقق في بطون المؤلفات المختلفة – لإلقاء " الضوء على ما التبس من عبارة المخطوطة أو أصابه التصحيف والتحريف على أيدي النساخ، في مختلف الأزمنة". (عبد التواب، 1986، 106)

" ولولا الاقتباسات التي أودعها الصفدي، في موسوعة : " تصحيح التصحيف وتحرير التحريف من كتاب: " لحن العوام " لأبي بكر الزبيدي الأندلسي لما تمكنت من إخراج هذا الكتاب، منذ عدة سنوات، بصورة مرضية ".(عبد التواب، 1986، 106)

خامساً : ونقصد بتخريج النص البحث عمَّا يؤيده ويشهد بصحته في بطون الكتب ويراه الدكتور رمضان أمراً ضرورياً : " فقد يبدو النص واضحاً مفهوماً، وعندئذٍ يتكاسل المحقق في أمر مراجعته وتخريجه في المصادر المختلفة للتأكد من صحة مضمونه ".(عبد التواب، 1986، 108-109)

وأول النصوص التي ينادي الدكتور رمضان بتخريجها، هو القرآن الكريم " ولا يصح أن يثق المحقق بحفظه لكتاب الله العزيز، فإن بعض آياته تتشابه وكثيراً

ما يحدث فيها السهو والخلط - لدى بعض المؤلفين أو النَّساخ(عبد التواب، 1986، 108-109)

ومن أمثلة ذلك ما جاء في مخطوطة كتاب "الحيوان " للجاحظ: ﴿ فلما أتوا على وادي النمل﴾ وصواب الآية﴿ حتى إذا أتوا على وادي النَّمْل﴾ (النمل 18/27) (الجاحظ، 1950، 8/4)

ويستعان بالفهارس في تخريج النصوص القرآنية، ومن أقدمها كتاب : " نجوم الفرقان في أطراف القرآن " لجوستان فلوجل G. flugell وكتاب: " مصباح الإخوان لتحري آيات القرآن المطبوع سنة 1322 هـ . وكتاب: " المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم " لمحمد فؤاد عبد الباقي.

ولا يسارع المحقق إلى تخطئة نصَّ الآية في المخطوط، بناءً على ما في المصحف الذي بين أيدينا، بل لا بُدَّ أن يبحث عنه في كتبِ القراءات المختلفة ؛ مثل كتاب : " السبعة في القراءات " لابن مجاهد " و " التيسير في القراءات السبع " لأبي عمرو الداني، و " النشر في القراءات العشر" لابن الجزري، و " إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر " للبنا الدمياطي ، وفي كتب القراءات الشاذة مثل كتاب " مختصر في شواذ القراءات " لابن خالويه ، و " المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات " لابن جني وغير ذلك.(عبد التواب،1986 ،109)

ومما يلزم المحقق تخريج الأحاديث، ويعين على ذلك كتاب " المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في الكتب الستة ومسند الدارمي وأحمد بن حنبل وموطأ الإمام مالك " للمستشرق فنسنك " وكتاب : "مفتاح كنوز الستة " لمحمد فؤاد عبد الباقي، و "الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير " للسيوطي وغيرها.(عبد التواب،1986 ،109)

الأمثال العربية : ولا بُدَّ للمحقق من تخريج هذه الأمثال من مضانها الأصلية، ليطمئن إلى سلامة روايتها، وضبط كلماتها ومن هذه الكتب : " مجمع الأمثال " للميداني " و " المستقصى " للزمخشري، و " جمهرة الأمثال " لأبى هلال العسكري و " فصل المقال " لأبى عبيد البكري " و " أمثال العرب " للمفضل الضبي، وغيرها.

أما تخريج الأشعار " لا بَدَّ أن يرجع المحقق إلى ديوان الشاعر إن كان له ديوان، وإلاَّرجع إلى ما روي من أشعاره في المجاميع الشعرية المختلفة، كالاصمعيات، والمفضليات، وجمهرة أشعار العرب للقرشي، وحماسة أبي تمام، وحماسة البحتري، والحماسة البصرية وحماسة الشجري، والأشباه والنظائر للخالديين وغيرها ".(عبد التواب،1986، 110)

ولا بدَّ من تخريج الأعلام الواردة في النص من أسماء الأشخاص، والأماكن، والبلدان، للتأكد من صحتها، وخلوها من التصحيف والتحريف والسقط، فإن الأعلام ينتابها من الخلل الشيء الكثير على أيدي النساخ ".(عبد التواب،1986، 117)

وأخيراً لا بُدَّ على المحقق من الرجوع إلى معاجم اللغة:" فإن المحقق يحتاج إليها حين يريد التوثق من ورود كلمة بعينها في العربية الفصحى، أو الاطمئنان إلى المعنى الذي ذكره لها هنا أو هناك في النص الذي يحققه وعلى رأس هذه المعجم : لسان العرب لابن منظور، وتاج العروس لمرتضى الزُّبيدي وغيرهما ".(عبد التواب،1986، 117)

وبعْدَ كلِّ هذا العناء يصل المحقق إلى ما سمَّاه رمضان عبد التواب بـــ (إعداد النص المحقق للنشر " ويلزم المحقق الإلمام ببعض الأمور الفنية في إعداد النص المحقق للنشر . ويعالجها رمضان عبد التواب كما يلي : (عبد التواب،1986، 117)

أولاً : المقابلة بين النسخ .

والغرض من هذه المقابلة هو الوصول إلى الصورة الصحيحة للنص " أو التي تبدو أنها هي الصواب، وإثباتها في صلب النص عند نشره، ثم توضع فروق النسخ الأخرى في هامش الصفحة، مع الإشارة إلى هذه النسخة برموز معينة يختارها المحقق، ويشير إليها في مقدمة تحقيقه للكتاب ".(عبد التواب،1986،120)

ويشرح الدكتور رمضان طريقته في المقابلة بين النسخ، بعد عرضه لطريقة برجشتراسر في المقابلة قبل النشر قائلاً :" درجتُ في الكتب الكثيرة التي حققتها على نسخ الأصل نسخاً دقيقاً مَرَاجَعاً، مع مراعاة ترك سطر أبيض بين كلِّ سطر ين يستخدم لمقابلة النسخ الأخرى فوق الكلمات والعبارات المختلفة، واستخدام رموز معينة لكل نسخة وكتابة كلِّ هذه المقابلات بقلم الرصاص، ليسهل محوها بعد انتهاء كلِّ المقابلات وإثبات الصواب بالحبر في النص، وفروق النسخ والتخريجات، والشروح وغير ذلك في هوامش الصفحات بالأرقام".(عبد التواب،120،1986)

" وإذا أثبتت المقابلة إجماع النسخ المختلفة على قراءة بعينها، فلا يصح تغييرها إلا بدليل قاطعٍ على فسادها، لا كما صنع محقق النشرة البغدادية من كتاب: " نزهة الألباء في طبقات الأدباء " لأبي البركات بن الانباري، إذ غير نصّا أجمعت عليه النسخ الخطية والمصادر الأخرى ".(عبد التواب،1986 ،122)

ثانياً : إصلاح التصحيف والتحريف :

والتصحيف هو تغيير نقط الحروف المتماثلة في الشكل، كالباء والتاء والثاء والنون والياء، والجيم والحاء والخاء، والدال والذال، والراء والزاي، والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء، والعين والغين والفاء والقاف، والتحريف هو تغيير في شكل الحروف المتشابهة في الرسم، كالدال والراء، والدال واللام، والنون والزاي والجيم والقاف، وما إلى ذلك.(عبد التواب،1986 ،124)

ويشير الدكتور رمضان إلى أن أكثر التحريف قد يقع في الأعلام ويطالب المحقق بأن يكون: " ذا ثقافة عربية فسيحةٍ ، صبوراً وأميناً ومرهف الحس، يفطن إلى أي سقم في المخطوطة التي يحققها، ويعالجه بأمانة ودقة وإخلاص ". (عبد التواب،1986 ،125)

وقد ذكر الدكتور رمضان طائفة من التحريفات في المخطوطات. (عبد التواب،1986 ،127-147)

ثالثاً : الزيادة والنقص :

أشرنا فيما مضى إلى أن التحقيق هو قراءة النص كما أراده مؤلفه، وعلى ذلك فلا يجوز للمحقق : " أن يزيد في النصّ أو ينقص منه شيئاً إلا بشرط واحد

وهو أن يكون ذلك أمراً ضرورياً لا مفر منه، ولا بدَّ من وضع الزيادة بين قوسين معقوفين والتنبيه على مكان استجلابها في الهامش ". (عبد التواب،1986 ،149)

والزيادة والنقص في النص مرتبطان عند رمضان بمسألة انتقال النظر في القراءة " وهو أن تقفز عين الناسخ من كلمة إلى أخرى مثلها تماماً في نفس السطر. أو في السطور التي بعده، وتلك تؤدي إلى السقط أو الخرم، وقد يحدث الانتقال إلى كلمة متماثلة سابقة في النص وهذا يؤدي إلى حدوث تكرار وهذا يعني بعبارة أخرى أن انتقال النظر إن كان إلى أسفل حدث سقط، وإن كان إلى أعلى حدثت زيادة لا لزوم لها لأنها مكررة " (عبد التواب،1986 ،154) ويضرب الدكتور رمضان أمثلة كثيرة على ذلك من ذلك السقط الذي حدث في كتاب الأشباه والنظائر للسيوطي (جاءت علامة رفع الفعل بعد الفاعل وهو ثبات النون، وهو بعد الفاعل).فإن عود الضمير بالمذكر مما يثير الشكوك في هذا النص ومراجعته على مصدره هنا وهو (الإيضاح في علل النحو) للزجاجي تبين لنا ما سقط بسبب انتقال النظر، وصحة النص كما هو عند الزجاجي . وجاءت علامة رفع الفعل بعد الفاعل، وهي ثبات النون، وكذلك النصب والجزم لأنهما بحذف النون، وهو بعد الفاعل ". (االزجاجي ،1959 ،75لسيوطي، 1359، 82/1 وكذلك عبد التواب،1986 ،151)

هذا ويحذر الدكتور رمضان عبد التواب من الزيادة في النص بسبب بعض الحواشي التفسيرية التي يقحمها بعض النساخ وذكر أمثلة منها ما ورد في كتاب (المذكر والمؤنث) للمبرد (ومن هذا الباب في قول سيبويه قصباء يافتى) فقد شرحت كلمة قصباء على هامش مخطوطة الظاهرية بأنها(جمع القصب) فأضـــــــاف ناسخ المخطوطة التيمورية هذه الحاشية إلى النص غفلةً منه وسهواً، "قصار ومن هذا الباب في قول سيبويه جمع القصب قصباء يافتى".(انظر عبد التواب ،1986 ،259)

رابعاً : ضبط ما يشكل من الكلمات:

لا بُدَّ للمحقق من ضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط، بشرط ألا يتعارض ذلك مع قصد المؤلف . وعموماً ينبغي العناية بضبط آيات القرآن الكريم وأبيات الشعر بما لا يخل بالوزن وما يشكل من الألفاظ اللغوية والعبارات السليمة " وإذا كانت المخطوطة بخط المؤلف فلا يغير ما فيها من الضبط حتى ولو كان هذا

الضبط مخالفاً لقواعد اللغة والنحو، حتى يكون نصُّ المؤلف شاهداً على ثقافته، ولكن يشار الى ما يظنه المحقق صواباً في الهوامش . ويصدق ذلك على غير القرآن الكريم، فلو تيقن المحقق من المؤلف في ضبط النص القرآني فعليه أن يصلحه مع لزوم الإشارة في الهوامش إلى ما كان في الأصل من ضبط.(عبد التواب،1986 ،160-162)

خامساً : الإشارة إلى مصادر التخريج :

ويقصد بمصادر التخريج الوثائق التي يسوقها المحقق دليلاً على صحة النص الذي يحققه، ومنهج الدكتور رمضان فيها هو الاستقصاء، يتضح هذا من قوله " وأهم ما ننادي به هنا منذ عدة سنوات مضت هو الإكثار ما أمكن من ذكر المصادر لا الإكثار من النقل عن هذه المصادر " .

" وأول ما ينبغي أن يلتفت إليه المحقق، هو مراجعة مصادر المؤلف، ما دامت موجودة مخطوطة كانت أم مطبوعة، وعليه أن يشير في هوامشه إلى صنيع المؤلف في نصوص هذه المصادر وهل كان ينقلها نقلاً حرفياً في دقة وأمانة أم أنه كان يتصرف فيها بالنقص والزيادة عليها ؟ ويكفي في الحالة الأولى الإشارة إلى مكان ورود النص في مصدره . أمَّا الحالةُ الثانية فإنها تستدعي من المحقق نقل النص ووضعه في الهامش ؛ لكي يتمكن الباحث المقارنة بين النص الأصلي وما صنعه به المؤلف المقتبِس له ". (عبد التواب،1986 ،163)

" ولا يصح الاعتماد في تخريج النصوص على المصادر الثانوية فلا يصح الاعتماد في تخريج نص لابن جني على كتاب (الأشباه والنظائر) للسيوطي مثلاً، مع وجود كتاب ابن جني وإمكان الإطلاع عليه، إذ يعد كتاب الأشباه والنظائر للسيوطي مصدراً ثانوياً في حالة وجود كتاب ابن جني، ولا بأس من الإشارة إليه مع كتاب ابن جني كذلك، أما الاعتماد عليه وحده فإن ذلك يَضرُّ غاية الضرر ". (عبد التواب،1986 ،163-164)

ويحارب الدكتور رمضان تحت هذا الموضوع عدداً من البدع منها ذكر اسم المؤلف أولاً وبعده اسم كتابه، فيقال مثلاً (ابن قتيبة : عيون الأخبار –

ج2ص116) وهذه بدعة لم يعرفها العرب القدامى في مؤلفاتهم وإنما هي وافدة علينا من الغرب.(عبد التواب،1986، 164)

ونخلص إلى إجمال منهج رمضان عبد التواب في التخريج بقوله : " وجوب النص على مكان الآية في المصحف بذكر اسم السورة ورقمها ورقم الآية.وكذلك البحث على القراءة القرآنية المذكورة في النص في كتب القراءات المختلفة وتخريج الأحاديث والأمثال والأشعار والترجمة للأعلام والبحث عن أسماء الأماكن في معاجم البلدان وشرح الغامض من الكلمات والعبارات والوقوف أمام مشكلات النص بتقليب وجهات النظر والحدس والتخمين . وفي كل هذه الأمور لا بدَّ من بذل الجهد وحشد أكبر قدر من مصادر التخريج حتى يطمئنَّ المحقِّقُ إلى أن النص المختار صحيح لا يرقى إليه شَكٌّ ". (عبد التواب،1986، 169-170)

- **مكملات التحقيق والنشر**

أولاً : المقدمة .

وهذا الأساس مع ما يليه وهو الفهارس مكملان لأسس التحقيق السابقة، فالمقدمة لا بدَّ أن تشتمل : " على ترجمة وافية لصاحب الكتاب المحقق، وكلمة عن قيمة الكتاب وفائدته في فنه، مع العناية بإظهار تأثره بغيره وأثره فيمن اتبعه ". (عبد التواب،1986، 175)

أما ترجمة حياة صاحب الكتاب فقد اتبع فيها رمضان عبد التواب منهجاً خاصَّاً اشتمل على عشر نقاط، وهي :

1- تحقيق اسم الشخص بالضبط .
2- تحقيق تاريخ مولده ووفاته .
3- ذكر الشيوخ الذين تلقى، عليهم العلم .
4- ذكر التلاميذ الذين أفادوا من علمه .
5- ذكر طرف من حياته ومهنته وتنقلاته .
6- ذِكْرُ آراء العلماء فيه من المعاصرين وغيرهم .
7- ذِكْرُ المناظرات والخلافات التي جرت بينه وبين معاصريه إن وجدت.
8- ذكر طائفة من أشعاره إن كان له شعر .

9- ذكر كتبه مرتبةً هجائياً، مع بيان المطبوع منها والمخطوط ومكان وجوده في مكتبات العالم .

10- الرأي في مركزه العلمي مدعماً بالأدلة .

وتحتوي المقدمة كذلك على كلمة كاشفة لكتاب المحقق، يعنى فيها المحقق " بإبراز قيمة الكتاب في فنه، وما أضافه إلى هذا الفن من جديد، ومدى اعتماده على ما سبقه أو استقلاله في الرأي والمنهج، أو مدى إفادة المؤلفين الخالفين منه واعتمادهم عليه، وبيان أغلاطه ومساوئه إن وجدت وتوضح مذهب صاحبه واتجاهات فكره " (عبد التواب،1986، 181)

وتتضمن المقدمة كذلك وصفاً للمخطوط " توصف صفحة العنوان بدقة، ويوضح ما عليها من تمليكات، أو سماعات، أو وقف، عبر العصور، ويمكن للمحقق أن يترجم لمن ورد اسمه في هذه التمليكات والسماعات، إن أسعفته المصادر، حتى نعرف عصر المخطوطة إن خلت من تاريخ النسخ . ويتضح لدينا قيمتها إذا عرفنا أن مجموعة من العلماء المشهود لهم بالكفاءة والعلم قد تملكوها أو أجازوا روايتها لتلاميذهم، أو علقوا عليها هنا وهناك ". (عبد التواب،1986، 185)

ويرتبط بوصف المخطوطات " موقف المخطوطة من كتابه الهمزات، وموقفها من كتابه الألف اللينة، والألف الفارقة، وتاء التأنيث، والخصائص الخطية المختلفة بها فيما عدا ذلك ؛ لأننا نتبع في النشر في الوقت الحاضر طرقاً قد تخالف من قريب أو من بعيد ما عليه المخطوطات في هذه الأمور أو في بعضها ". (عبد التواب،1986، 190)

ثانياً : الفهارس .

يصفها رمضان عبد التواب : " بأنها مفاتيح الكتاب الحقيقية، لكي يصل الباحث عن طريقها إلى بغيته بأقصى سرعة ممكنة، وبأيسر سبيل ". (عبد التواب،1986، 213)

وأول الفهارس فهرس الموضوعات وهذا يحسن أن يكون مفصلاً تظهر فيها دقائق الموضوعات التي عالجها صاحب النص في كتابه، ويكون ترتيبها على نسق ورودها في الكتاب.(عبد التواب،1986، 213)

" وأما الآيات القرآنية فإنها ترتب في سورها، ثم ترتب السور حسب ورودها في المصحف الشريف. ومن الخطأ الشديد ما نراه في بعض الكتب المحققة من ترتيب الآيات القرآنية بحسب ورودها في النص المحقق ؛ فمثل هذا الفهرس بهذه الحالة مخالف لمقياس السرعة واليسر الذي تحدثنا عنه " . (عبد التواب،1986 ،214)

" وأمّا الأحاديث والآثار فإنها إن كانت قليلة في الكتاب المحقق رتبت جميعها بحسب أول حرف من أول كلمة وردت فيها . أما إذا كثرت فإن الطريقة المثلى في فهرستها _ في رأيي _ أن نفهرس كل كلمة منها في فهرس عام " . (عبد التواب،1986 ،214)

" وفي فهرس اللغة توضع المادة اللغوية في جداول، وبجوارها الألفاظ المستخدمة من هذه المادة ومعها صفحاتها، وترتب هذه المواد اللغوية ترتيباً هجائياً بحسب الأصل الأول والثاني وما يثلثهما. (عبد التواب،1986 ،214)

" وأما قوافي الشعر فإنها ترتب ترتيباً هجائياً على حروف الروى، ثم في داخل كل حرف يكون الترتيب بالروى الساكن والمفتوح المضموم فالمكسور، ومع كل حركة من هذه الحركات وصلها بالهاء، ثم ترتب كل حركة على حسب البحور بترتيب الخليل بن أحمد لهذه البحور على : الطويل، فالمديد، فالبسيط، فالوافر، فالكامل، فالهزج، فالرجز، فالرمل، فالسريع، فالمنسرح، فالخفيف، فالمضارع، فالمقتضب، فالمجتث، فالمتقارب .

" وإذا ذكر في النص صدر البيت أو عجزه أو قطعة منه، وعرف المحقق تكملته وجب وضعه في فهرس القوافي، مع وضع إشارة كنجمة مثلاً بجوار كلمة الروي للدلالة على جهد المحقق في إكمال البيت . ولا يوضع مثل هذا في فهرس أنصاف الأبيات إلا إذا عجز المحقق عن الاهتداء إلى تتمته ".(عبد التواب،215،1986)

وهناك مسألتان في غاية الأهمية ينبه عليهما الدكتور رمضان بالنسبة لفهرسة الشعر: (عبد التواب،1986 ،126)

أولاهما : " بدعة فصل الرجز عن القصيد في فهرس مستقل، فهذه البدعة تفترض في كلِّ باحث في هذا الكتاب أو ذاك عن بيت من الشعر أنه عالم بفن العروض، وأنه سيتجه مباشرة إلى الفهرس الذي يريد ". (عبد التواب،1986 ،216)

المسألة الثانية : التي ينبه عليها رمضان عبد التواب وينادي بها هي فَهْرسة " كل بيت ورد في الكتاب المحقق، وعدم الاكتفاء بفهرسة البيت الأول من المقطوعة أو القصيدة التي أوردها المؤلف ولا يستثنى من ذلك إلا الدواوين الشعرية ".

وبالنسبة لفهرسة الأعلام فيجعله " بعض المحققين شاملاً للشعراء كذلك، وبعضهم يفرد للشعراء فهرساً خاصاً بهم . وفي هذا النوع من الفهارس يغلب على جمهرة المحققين استبعاد الألف واللام للتعريف، فالعباس يذكر في العين، والزبيدي في الياء كما يغلب عليهم استبعاد كلمة أبو وابن وأم ".(عبد التواب،1986، 217-218)

أما فهرس المراجع فمنهج الدكتور رمضان يرفض تقسيمها إلى " مصادر ومراجع ومعاجم ودوريات ومقالات لأن هذا التقسيم في رأيه " ضرب من العبث ينبغي التخلي عنه في الكتب المحققة والمؤلفة لأن فيها تشتيتاً لجهد القارئ الذي يضطره الأمر إلى الكشف عن الكتاب الواحد في أكثر من قسم لأنه لم يستطع تحديد هويته من عنوانه ... فلتفهرس المقالة أو البحث ولتوضع في مكانها من قائمة المراجع وعندئذ يقال إنها منشورة في الدورية الفلانية أو مجملة كذا ". (عبد التواب،1986 ،218-219)

وينبغي أن تكون المداخل في فهرس المراجع مرتبة على أسماء الكتب لا على أسماء المؤلفين، وينبغي أن يحتوي هذا الفهرس على ذكر اسم الكتاب بالكامل، وذكر اسم مؤلفه على ما اشتهر به وذكر اسم المحقق إن كان الكتاب محققاً، ورقم وجوده في المكتبة التي يوجد بها إن كان مخطوطاً، كما يذكر مكان الطبع وتاريخه إن عُرف، فإن لم يُعرف لطبعه تاريخ قبل (بلا تاريخ) لكن ينبغي التثبت من ذلك أولاً بمراجعة غلاف الكتاب في أوله وآخره وصفحة العنوان وخاتمة المقدمة التي كتبها المؤلف أو المحقق والمكان الذي يذكر به عادة رقم الإيداع بدار الكتب" . (عبد التواب،1986 ،219)

هذا هو منهج رمضان عبد التواب، في تحقيق التراث، وقد أفدت في عرض هذا المنهج من كتاب رمضان عبد التواب (مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين بمقالات هامة في نقد تحقيق التراث، ويعبر كتاب رمضان عبد التواب هذا من أهم الكتب التعليمية التي وضعت في تحقيق التراث.

الفصل الثامن

مصادر دراساته

اتسعت الموضوعات التي طرقها رمضان عبد التواب في كتبه، فاتسعت بالتالي مصادره التي كان يأخذ عنها مادته، والمطلع على كتبه يمكن له ملاحظة هذا دون عناء، ولرمضان عبد التواب أن يدَّعي أنه ما ترك مصدراً في العربية إلا وأخذ عنه إلا في النادر القليل، حتى أن عبد التواب قد ألمح إلى ذلك في ذكرياته المقدم له من تلاميذه فيقول : " أنا وجدت نفسي منذ عرفت القراءة والكتابة أبحث عن الأشياء النادرة الغريبة عني وأجمعها في بطاقات وهذا كان ديدني في هذا الزمان البعيد وإلى يومنا هذا ما قرأت كتاباً قط لموضوع واحد وإنما لكي ألتقط من كلٍّ ما يهمني للمستقبل القريب أو البعيد لمشروع عاجل أو آجل ولذلك عندي أكثر من (ستين) ألف جذاذة يمكن أن تستخرج منها في كل دقيقة موضوعاً كاملاً لتكتب فيه موضوعاً قد يصلح لمقالة، لندوة، لمؤتمر، لفصل في كتاب ... إلخ (عبد المجيد الطويل وآخرون ،2001، 34)

وقد لاحظت هذا في دراستي لرمضان عبد التواب، حيث وجدت أن عدداً من كتبه هي عبارة عن أبحاث جمعها رمضان عبد التواب في كتاب واحد، ولكن الغريب الذي يسجل لرمضان عبد التواب، أنك وأنت تقرأ كتبه هذه لا تشعر بالتشتت والانقطاع بين الأبحاث التي شكلت فصولاً، وكأنما تقرأ كتاباً واحداً أولِّف في موضوع واحد دفعة واحدة .

فقد اختار رمضان عبد التواب الأسلوب الشاق في التأليف، الممتع للقراءة، فأنت عندما تقرأ كتاباً من كتبه تلمس قوة الكتاب وقوة كاتبه، وكأنما العربية مصادرها طوع يمينه يغرف منها ما يشاء فهو ينتقل من الكتاب القديم إلى الأقدم

ومن الحديث إلى الأحدث ومن المخطوط إلى المطبوع ومن المنشور إلى المقيد للنشر . فكأنما كتبه فهرس لمكتبةٍ بكاملها .

ومن هنا يتبين لنا منهج رمضان عبد التواب في تأليفه لكتبه إذ يقول : " لذلك كلُّ كتبي لم تؤلف من أولها إلى آخرها وإنما كتبت فصولاً ومقالات وبحوثاً في ندوات ومؤتمرات ثم جمعت في أبواب وفصول معينة، فصول في فقه العربية، بحوث ومقالات في اللغة، كتابي الجديد دراسات وتعليقات في اللغة . الكتاب الذي ألفته من أوله لآخره دفعةً واحدةً لأنه كان قد جمع له من فترة طويلة هو كتاب لحن العامة والتطور اللغوي، لأنه موضوع متوحد، الكتب موجودة أمامي وأنا أعددتها فكتبته في أكثر من سنة تقريباً وأنا أهذب وأنقح فيه إلى آخره ، كتاب التطور اللغوي كتبته أول مرة بحثاً صغيراً ألقي في موسم ثقافي في جامعة الرياض، ثم كبر بعد أن كان خمس عشرة صفحة تحول إلى خمسين صفحة ونشرته في كلية اللغة العربية في الرياض، ثم كبر مرة أخرى عندما جئت إلى مصر من الإعارة فوصل حجمه إلى مائة وأربعين صفحة وآخر طبعة له من ثلاث سنوات (1990) وصل حجم الكتاب إلى مائتين وأربعين صفحة وما يزال عندنا الكثير في هذا الموضوع المهم . مثلاً كتاب الهمزة الذي أخرجته في عام مضى مادته مجموعة من أكثر من خمس وعشرين سنة، طبعاً وأنا أنقب وأعلل وأبحث عن علة وأبحث عن ركام وأبحث عن تفسير، ولا يُعْجبني هذا التفسير فأحصل على آخر إلى أن ينضج الموضوع فيخرج إلى النور " (عبد المجيد وآخرون ،2001، 34- 35)

مصادره في الدراسات الصوتية : تعددت المصادر التي أخذ عنها رمضان عبد التواب مادته في الدراسات الصوتية بين القديمة والحديثة، مبتدئاً بالخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه الذي خصَّص للدراسة الصوتية فصولاً، في كتابه " الكتاب " فذكر عدد الحروف العربية، ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها، واختلافها، وذلك في باب عقدة للإدغام.

ومنها أيضاً سرُّ صناعة الأعراب " لابن جني الذي لا يكاد يخرج في نظر رمضان عبد التواب عمَّا قاله سيبويه، في تعداد المخارج، ووصف الحروف، فكثيراً ما يقتبس نصَّ العبارات التي جاءت في كتاب سيبويه ويقف عند حدودها (

انظر عبد التواب ،1997، 15) . ومن مصادره أيضاً رسالة ابن سينا، أسباب حدوث الحروف " وهي مقسمه على ستة فصول وكذلك كتاب المفصل " للزمخشري " الذي " يخصص القسم الأخير منه للدراسات الصوتية، فيردد فيه كلام الخليل وسيبويه، دون زيادة تذكر " (انظر عبد التواب ، 1997 ،15-16)

ويضيف رمضان عبد التواب عن مصادره قائلاً : " ولا نكاد نجد بعد هذا في كتب المتأخرين ما يمكن أن يتسم بالأصالة في دراسة أصوات اللغة، سوى تلك المحاولة التي جاءت في كتاب السكاكي : " مفتاح العلوم " في أوائل القرن السابع الهجري، في رسم بدائي لأعضاء النطق " (انظر عبد التواب ، 1997 ،18)

ومن مصادره أيضاً كتب القراءات، التي يرى رمضان عبد التواب أنها رغم كثرتها، لم تكن تتعرض لأصوات اللغة، وتكتفي ببضع صفحات، تصف فيها مخارج الحروف وصفاتها، في صورة مقضبة مختصرة، حتى انتهى الامر بها الى بضعة متون صغيرة، سُميتْ " بعلم التجويد " يحفظها الطالب غيباً دون فهم لها في غالب الأحيان . (انظر عبد التواب ، 1997 ،19)

أما مصادره في علم الأصوات في العصر الحديث، فكثيرة متنوعة منها : " التطور النحوي " لبرجشتراسر، وهي محاضرات ألقاها برجشتراسر على طلبة كلية الآداب، بالجامعة المصرية القديمة سنة 1929. وهو يهتم فيها بالمقارنات السامية اهتماماً بالغاً . (انظر عبد التواب ، 1997 ، 20)

علم الأصوات عند سيبويه وعندنا محاضرات للمستشرق الألماني شاده . ألقاها في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية في سنة 1931 باللغة العربية، ونشرت بصحيفة الجامعة المصرية سنة 1931 . وهذه المحاضرات خلاصة مُؤلَّفٍ باللغة الألمانية لهذا المستشرق .

الأصوات اللغوية، إبراهيم انيس، وهو أول كتاب متكامل باللغة العربية عن الدراسات الصوتية على المنهج اللغوي الحديث .

منهج الأصوات " فصل في كتاب : " مناهج البحث في اللغة " للدكتور تمام حسَّان، وفيه اهتمام كبير بعلم الأصوات التجريبي . وقد ظهر سنة 1955.

الأصوات اللغوية فصل في كتاب " فقه اللغة " لمحمد المبارك وهو عبارة عن دراسة تقليدية، تعتمد على ترديد أقوال السابقين من اللغويين العرب والكثير من المصادر الأخرى .

مصادره في فقه اللغة

تعددت مصادر رمضان عبد التواب في هذا الفصل تعدداً كبيراً قديمةً وحديثةً ؛ لتعدد الموضوعات التي طرقها فيه، وعلى رأس هذه المصادر تلك التي جاءت تحت مسمَّى " فقه اللغة " أو قريب منه مثل " في فقه اللغة وسر العربية " للثعالبي وإن لم يكن في هذا الكتاب الشيء الكثير من موضوعات فقه اللغة يقول رمضان عبد التواب في هذا : " وفي تسمية هذا الكتاب بهذا الاسم، شيء من التجوز في الواقع ؛ إذ ليس فيه من مسائل فقه اللغة، التي تحدثنا عنها فيما مضى، سوى باب : " سر العربية " في آخره وما عداه عبارة عن معجم للِّغة العربية، رتبه على حسب الموضوعات، تماماً كما فعل من قبله أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه : " الغريب المصنف في اللغة" (انظر عبد التواب ، 1983 ،13)

ومنها أيضاً " الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها " لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الذي أفاد منه رمضان عبد التواب الكثير من المسائل مثل نشأة اللغة، وخصائص اللسان العربي، واختلاف لغات العرب، ولغات العامة من العرب، والقياس والاشتقاق في اللغة العربية وآثار الإسلام في اللغة العربية، والترادف . (انظر عبد التواب ، 1983 ،13-14)

ولابن فارس كتاب آخر اسمه " مقاييس اللغة " ويشير رمضان عبد التواب إلى فكرتين جديدتين على التأليف في هذا الكتاب ويعدُّهَما في صميم " فقه اللغة " وهما فكرتا : " الأصول " والنحت " (انظر عبد التواب ، 1983 ،14)

ومن الكتب التي اعتمد عليها رمضان عبد التواب اعتماداً كبيراً، كتاب "الخصائص " لابن جني، الذي احتوى على كثير من البحوث اللغوية القيمة كبحثه في أصل اللغة، ومقاييس العربية، وتعليل اللغة، والقياس، والاشتقاق واللهجات وغير ذلك .

ومن مصادره أيضاً " المخصص " لابن سيده، الذي أفاد منه كثيراً في دراسته الترادف، والاشتراك، والتعريب، والاشتقاق، والتذكير والتأنيث، والمقصور، والممدود .

ومن المؤلَّفات التي كان رمضان عبد التواب يكثر الرجوع إليها " المزهر في علوم اللغة وأنواعها " للسيوطي يقول رمضان عبد التواب :" هو كتاب ضخم في مجلدين مليء بالبحوث اللغوية المختلفة، مثل البحث في نشأة اللغات، والمصنوع والفصيح والحوشي، والغريب المستعمل والمهمل، وتوافق اللغات، وتداخلها، المولَّد والمعرَّب، والاشتقاق والترادف والاشتراك والتضاد، والإبدال، والقلب والنحت، وغير ذلك وهو دائرة معارف واسعة، اعتمد فيها على الكثير من المؤلفات اللغوية المتخصصة، والتي فقد معظمها، وبقي منها تلك الاقتباسات، التي أدخلها السيوطي في كتابه المزهر "(انظر عبد التواب ، 1983، 15)

أما مصادره من المحدثين فقد تعددت وتنوعت هي الأخرى ومنها :

1- ابراهيم أنيس
- في اللهجات العربية .
- طرق تنمية الألفاظ في اللغة .
- من أسرار العربية المشتركة .
- اللغة بين القومية والعالمية .

2- ابراهيم السامرائي :
- دراسات في اللغة .
- الفعل وزمانه وأبنيته .
- التطور اللغوي التاريخي .

3- الدكتور أحمد علم الدين الجندي :
- اللهجات العربية في التراث .

4- عمر احمد مختار
- دراسة الصوت اللغوي.

5- إسرائيل ولفنسون
- تاريخ اللغات السامية.

6- الدكتور صبحي الصالح .

- دراسات في فقه اللغة .

7- علي عبد الواحد وافي .

- علم اللغة .
- فقه اللغة .

8- نولدكه:

- اللغات السامية

مصادره في الدراسات النحوية:

ليس لرمضان عبد التواب دراسات كثيرة في هذا الجانب، فهي لا تتعدى مناقشة بعض ما قاله اللغويون، منن مثل إبراهيم أنيس حيث ناقشَ رأي أنيس في الإعراب، وخلص إلى رأيه الخاص به، ومن المصادر التي اعتمد عليها في هذا الجانب الكتاب لسيبويه، والإيضاح في علل النحو للزجاجي، والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس . وناقش رمضان عبد التواب بعض القضايا النحوية من مثل : لغة أكلوني البراغيث، والاسم الموصول " ذو " .

ومن كتب المحدثين "من أسرار اللغة " لإبراهيم أنيس، ومدرسة الكوفه للمخزومي . ومن الكتب المترجمة " اللغات السامية " لنولدكه . " فقه اللغات السامية لبروكلمان، " العربية " ليوهان فك و " التطور النحوي " لبرجشتراسر .

مصادره في الدراسات الصرفية :

اقتصر رمضان عبد التواب في دراسته لهذا الجانب على بعض الدراسات من مثل أثر الوزن الشعري على بنية الكلمة، مراحل تطور الأفعال، ألف الاسم المقصور ياء وأبنية الأفعال.

ومن المصادر التي اعتمد عليها رمضان عبد التواب في هذا الجانب " الكتاب "لسيبويه، "والخصائص " لابن جني " اللسان"، لابن منظور،" تهذيب اللغة" للأزهري.

مصادره في الدراسات السامية : اعتمد رمضان عبد التواب على عدد من الكتب في هذا الجانب ، من مثل فقه اللغات السامية : لبروكلمان وتاريخ اللغات السامية ، لنولدكه والتطور النحوي لبرجشتراسر.

مصادره في تحقيق التراث :

يمكن لنا أن نجمل قولنا في هذا الجانب، بعد أن شرحناه في حديثنا عن منهج رمضان عبد التواب في التحقيق .

فقد أشار رمضان عبد التواب في أكثر من موضع إلى ضرورة الرجوع إلى المصادر الأصلية للنص، من خلال جمع النسخ المخطوطة للنص الواحد، والمقابلة بين هذه النسخ، وعدم إغفال المصادر الثانوية، فإذا كان بين أيدينا مخطوط وورد فيه نصٌّ لابن جني ، فعلينا الرجوع إلى هذا النصّ في كتب ابن جني والتأكد منه نسبةً ومادةً .

والناظر إلى تحقيقات رمضان عبد التواب يجدها من الدقة بمكان، وهذا ما دفعه إلى إعادة طبع عددٍ من الكتب المطبوعة أصلاً تحقيقاً وترجمة من مثل إعادة تحقيق كتاب " التطور النحوي " لبرجشتراسر، وكتاب " الفرق " لقطرب الذي نشره في الطبعة الأولى المستشرق رودلف غاير .

فرمضان عبد التواب يجمع لنصٍّ واحدٍ، مصادر كثيرة لِيَقْوى بها " فكلما عثر الباحث على النصّ الواحد في كتب متعددة، كان أوثق لهذا النصّ، لأن العبارة قد تصاب بتحريف في أحد المصادر، فيقومها المصدر الثاني " (انظر عبد التواب ، 1982 ،192)

وتكفي نظرة واحدة على أحد كتبه المحققة لنتأكد من هذا الأمر فمن مصادره:

1- كتب في فقه اللغة، كالصاحبي في فقه اللغة لابن فارس، والخصائص لابن جني .

2- معاجم عربية مثل : الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام، وفقه اللغة، العين للخليل بن أحمد، ومختصره لأبي بكر الزبيدي، وتهذيب اللغة للأزهري والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده .... الخ .

3- كتب لغوية متخصصة في موضوع واحد ؛ مثل : الإبدال لابن السكيت والأيام والليالي للفراء، وما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد، والمقصور والممدود لابن ولاد، والأضداد لأبي بكر بن الانباري ... الخ.

4- كتب في النحو والصرف، مثل : الكتاب لسيبويه، وأصول النحو لابن السراج، وارتشاف الضرب لأبي حيان، والتسهيل لابن مالك، ولمع الأدلة لأبي البركات الأنباري، وشرح التسهيل لأبي حيان ... الخ .

5- كتب في لحن العامة مثل إصلاح المنطق لابن السكيت، وتهذيبه للخطيب التبريزي، وأدب الكاتب لابن قتيبية، وشرحه للجواليقي، والفصيح لثعلب ... الخ .

6- كتب الأمالي ؛ مثل : أمالي ثعلب المعروفة بمجالس ثعلب، والأمالي لأبى علي القالي، وأمالي الزجاجي، امالي ابن دريد .... الخ

7- كتب النوادر كالكتب التي ألفها كل من أبي زيد الأنصاري، وأبي محمد اليزيد، وابن الأعرابي ويونس بن حبيب . الخ .

8- دواوين الأدب والمجاميع الشعرية " مثل " يتيمة الدهر للثعالبي، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والكامل للمبرد، وشرح المعلقات لأبي جعفر النحاس، ومقامات الحريري .. الخ .

9- مجاميع أمثال العرب ؛ مثل : الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري، وجامع الأمثال لأبي علي بن اسماعيل القُمىّ .

10- كتب في البلاغة والنقد القديم ؛ مثل : الإيضاح للقزويني، ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجي، وسر الفصاحة لأبن سنان والعمدة لابن رشيق .. الخ .

11- كتب في الأصول والفقه مثل : شرح منهاج الأصول للإسنوي، والمحصول لفخر الدين الرازي، والوصول إلى الأصول لأبي الفتح ابن برهان .. الخ .

12- كتب التفسير، مثل : تفسير الطبري، والبحر المحيط للزركشي والتفسير لوكيع، والتفسير لابن جزى .

13- كتب في الحديث ؛ مثل : صحيح البخاري، وصحيح مسلم والمستدرك للحاكم، وشعب الإيمان للبيهقي، وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام .

الخاتمة

وتشتمل خاتمة الدراسة على أهم النتائج التي توصل إليها البحث وهي :

يرى عبد التواب أنه رغم كثرة كتب القراءات في العصور المتأخرة، وعلاجها المسهب للقراءات السبع والعشر وغيرها، نرى أنها حين تعرض لأصوات اللغة تكتفي ببضع صفحات تصف فيها مخارج الحروف وصفاتها في صورة مقتضبه، وينتهي الأمر ببضعة متون صغيرة سميت بعلم التجويد .

ويرى أنه لا يوجد في كتب المتأخرين ما يمكن أن يتسم بالأصالة في دراسة أصوات اللغة، سوى تلك المحاولة التي جاءت في كتاب مفتاح العلوم " للسكاكي في رسم بدائي لأعضاء النطق .

يرى عبد التواب بأن سيبويه يقصد بالمجهور، والمهموس ما نعنيه نحن بالشديد والرخو، لولا أن سيبويه قسَّم الأصوات بعد ذلك إلى شديد ورخو وتعريفه للشديد يقترب من تعريفه للمجهور، كما يقرب تعريفه للرخو من تعريفه للمهموس كذلك ، وقد آثار تعريف سيبويه للمجهور والمهموس كثيراً من الشبه التي لم تجد حلاً معقولاً حتى الآن.

يغلِّط عبد التواب محمود السعران، حين قال عن صوت الظاء أنه مطبق الثاء أي أن بين هذا الصوت (الظاء وبين الثاء، ما بين الصاد والسين، فيرى عبد التواب أن صوت الثاء من الأصوات التي فُقدت في اللهجة العامية واستعيض عنها بالتاء وبالسين .

يشير كذلك إلى ضياع صوت الذال في اللهجة العامية المصرية وحلول الدال محله .

يخالف بعض العلماء في تسمية صوت الجيم، فيسميه الصوت المزدوج في حين سماه بعض العلماء بالصوت المزجي أو الصوت المركب .

يتعجب رمضان عبد التواب من تصنيف الخليل لـــ (الثاء والذال والظاء) تحت الأصوات اللثوية، ويرى أنها أصواتٌ أسنانية.

ويرى عبد التواب أنه التبس الأمر على انيس وتمام حَسَّان حين عَدَّا صوت الهاء مجهوراً، في حين يراه صوتاً مهموساً.

يشير إلى خطأ الدكتور كمال بشر، حين رأى احتمال أن يكون القدماء قد وصفوا الضاد المولَّدة، لا الضاد العربية الأصلية وقال عبد التواب أنه بنى رأيه هذا على نصٍّ مصحف منقول عن كتاب العربية ليوهان فك .

يرفض رمضان ما قاله برجشتراسر من أن العربية لم تكن تنبر وأنه لا يوجد لدينا نصٌّ يدل على ذلك ويرد عبد التواب عليه بأن برجشتراسر يغفل في كلامه التطور اللغوي وتأثير الشعوب المختلفة، التي غزتها العربية، بعاداتها في النبر .

كما يخالف برجشتراسر الذي يرى أن نطق الظاء كان قريباً من نطق الضاد وكثيراً ما تطابقتا وتبادلتا في تاريخ العربية .

يرى أن ما يقوله النحاة من أن (قال) أصلها قَوَل صحيح بصرف النظر عن تعليلهم هذا بتحريك الواو وانفتاح ما قبلها ويرى كذلك أن هذا حدث في لغة طيِّيء.

يقرر رمضان عبد التواب أن الظاهرة اللغوية الجديدة لا تمحو الظاهرة القديمة بين يومٍ وليلة بل تسير معها جنباً الى جنب مدة من الزمن، قد تطول وقد تقصر . وهي حين تتغلب عليها لا تقضي على كلِّ أفرادها قضاءً مبرماً .

عالج رمضان عبد التواب، كثيراً من لحن العوام في كتاب مستقل، وحاول أن يطبق عليها القوانين الصوتية والدلالية والصرفية والنحوية التي ارتضاها لتفسير كثير من اللحن .

استخدم رمضان عبد التواب المنهج الوصفي التاريخي في عرضه للظواهر اللغوية وتحليلها . كما تعرض لمحتويات التحليل اللغوي المختلفة من أصوات وأبنية وتراكيب ودلالة والقوانين اللغوية التي تحكم كلَّ جانب من هذه الجوانب . وفي خلال ذلك وضع كثيراً من المصطلحات لكثير من الظواهر اللغوية التي سجلت باسمه في المجامع العالمية لأنه الواضع الأول لها .

حصر أحوال الهمزة في العربية في سبعة أحوال ما بين تسهيل وتحقيق لا تجد هذه الأحوال مجتمعة في كتاب آخر .

تقدم رمضان عبد التواب من مجمع اللغة العربية بقاعدة عامة تخضع لها جميع الهمزات في الخط العربي، دون المساس بالتراث الإملائي، وقد أخذ المجمع باقتراحاته جميعها .

فسر رمضان عبد التواب كتابة بعض الكلمات بالهمز، وهي في الأصل غير مهموزة . وبهذا الكشف انتفى البحث الصعبُ عن مبرر صوتي لانقلاب الواو والياء همزة في بعض أمثلة العربية وحلَّ محلَّه قانون القياس الخاطئ أو الحذلقة .

تقدم عبد التواب باقتراح الى " لجنة اللهجات " في مجمع اللغة العربية، بحذف لقب " الغمغمة " من اللهجات لأنه في نظره تحريف للقب عجعجة قضاعة، وقد وافق المجمع على اقتراحه وقرر حذف هذا اللقب من القاب اللهجات .

اعتمد عبد التواب في كثير من دراساته في الساميات المقارنة على الدارسين الألمان من امثال نولدكه، وبرحشتراسر وبروكلمان .

يخالف رمضان عبد التواب قدامى اللغويين في قولهم، أي القدماء، أنه لا قياس على كلام العرب في الاشتقاق، وأن كلَّ كلام العرب توقيف.

وضع عبد التواب طريقاً من طرق خلق الرباعي وهو طريق المخالفة الصوتية.

وأشار كذلك إلى طريقة أخرى لتوليد الأبنية وهي استعمال وزن " افعأل " باقحام همزة فيه .

يؤيد عبد التواب الترادف، ويرى أنه رغم ما يوجد بين لفظة مترادفة وأخرى، من فروق أحياناً، فإننا لا ننكر الترادف .

ويرى كذلك أنه من العبث إنكار المعرب في العربية الفصحى والقرآن الكريم.

ويرى عبد التواب أن كثيراً من اللهجات العربية القديمة التي نجدها في المصادر العربية القديمة، كفحفحة هذيل وعنعنة تميم وتلتلة بهراء، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وقطعة طيِّئ، وعجعجة قضاعة، وغير ذلك من الظواهر اللهجية قد امتدت إلى بعض لهجاتها الحية المعاصرة .

ويرى رمضان عبد التواب أن للوزن الشعري أثراً على أبنية العربية . وهو المسئول كذلك عن وجود بعض أبنية العربية الأخرى .

خالف عبد التواب استاذه إبراهيم أنيس في نظرته لظاهرة الإعراب، فالنحو عنده يدل على المعاني، من الفاعلية والمفعولية وغيرها، وقد جاء بالأدلة على ذلك، ولم يكن حركات وصل بين الكلمات، كما يرى الدكتور أنيس .

وختاماً أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور يحيى عبابنه والأستاذ الدكتورزهير المنصور والدكتور فارس بطاينه لما تجشموه من عناء وقراءة الرسالة واعداً إياهم الأخذ بالملاحظات التي يقدمونها لي في تقويم هذه الرسالة وتصويبها . كما أشكر المشرف الأستاذ الدكتور عبد القادر مرعي ؛ لما قدَّم لي من إرشادات وتوجيهات في أثناء البحث ، ولما بذل من جهدٍ كبير في الإشراف على هذه الرسالة ، دون مللٍ أو كلل .

الرسائل الجامعية التي أشرف عليها الدكتور رمضان عبد التواب

رسائل الماجستير

1- عادل أحمد زيدان، أبو الطيب اللغوي وآثاره في اللغة.
2- محمد علي محمد، نصرة التأثير على المستهل البائل لصلاح الدين الصفدي دراسة وتحقيق .
3- صلاح الدين حسنين، ظاهرة التعريف والتنكير في اللغات السامية مع عناية خاصة اللغة العربية.
4- عبد الكريم محمد ، أبو الحسين الأشموني في كتابه منهج السالك إلى ألفية ابن مالك .
5- احمد شوقي النجار، التأنيث والتذكير في اللغات السامية مع عناية خاصة باللغة العربية .
6- عبد الحليم محمد، صيغة أفعل في النحو والصرف، دلالتها ووظيفتها.
7- محمد أبو بكر بعيج، ابن كيسان وأثره في الدراسات النحوية.
8- رفعت محمد هزيم، صيغة اسم الفاعل في العربية أصلها وتطورها

9- علي محمد أحمد، الجملة الأسمية في ديوان حافظ ابراهيم، دراسة تركيبية ودلالية .
10- أحمد الصافي، ظاهرة التثنية في اللغة العربية، أصولها وتطورها .
11- عبد الوهاب عبده، الصوت والدلالة في اللهجات اليمنية القديمة والحديثة، اصولها في العربية الجنوبية والشمالية .
12- محمد محمود السيد، صيغة البناء للمجهول في اللغة العربية، أصولها وتطورها .

13- أحمد ابراهيم هنيدي، الأبينة الصرفية في ديوان الشاعر اسماعيل صبري باشا .
14- عبد المنعم عمر خليل، شعر عبد الكريم الكرمي أبو سلمى، دراسة تحليلية .
15- أحمد مصلح ابراهيم، منهج الفيروز أبادي في التفسير من خلال تفسيره المسمى بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.
16- حسن محمد تقي سعيد، دلالة الألفاظ العربية بين علماء اللغة الأصوليين حتى نهاية القرن السادس الهجري .
17- السيد الدسوقي، التطور اللغوي في العربية حتى عهد الصفدي مع تحقيق كتابه تصحيح التصحيف وتحرير التحريف .
18- أحمد عارف حجازي، لهجة الواحات الخارجة دراسة وصفية تاريخية.
19- ابراهيم شريف ابراهيم، التوكيد في العربية، دراسة وصفية تاريخية .
20- نوال اسماعيل خليل، الوقف على آخر الكلمة في العربية الفصحى واللهجات العربية القديمة دراسة تاريخية .
21- سامية عمر عثمان، مذاهب نشأة اللغة الإنسانية عند علماء العرب والغرب .
22- محمد عودة سلامة، مفهوم الأمَّة في القرآن الكريم وتصوره حتى العصر الحديث .
23- مفرح السيد عبد البر، جموع التكسير في القرآن الكريم.
24- جمال محمد طلبه، معاجم المعاني في العربية حتى القرن الخامس مع تحقيق كتاب مختصر إصلاح المنطق للوزير أبي القاسم المغربي .
25- محمد السيد عزوز، جهود القرطبي النحوية والصرفية من خلال تفسيره للقرآن الكريم .

26- حازم علي جمال الدين، لهجة برديس المعاصرة، دراسة تاريخية وصفية في الأصوات والبنية .
27- حسن علي حسن، أبواب مضارع الثلايي دراسة وصفية تاريخية.
28- ناديا حسن محمد، تقويم الفكر اللغوي عند ابن فارس في ضوء علم اللغة .
29- رجب عثمان محمد، الإمالة في العربية القديمة ولهجاتها دراسة وصفية تاريخية .
30- منصور خلخال، بناء الجملة الطلبية في شعر المتنبي، دراسة توليدية تحويلية .
31- الشريف مبهوبي، بناء الجملة الخبرية في شعر أبي فراس الحمداني دراسة توليدية تحويلية .
32- سميرة أحمد عبد العظيم، الفعل الرباعي في اللغة العربية، دراسة وصفية تاريخية .
33- ضياء موسى، أساليب الاستفهام بالعربية، دراسة وصفية تاريخية .
34- عبد الغني جودة، دلالة الحروف الجارة العاملة من خلال آراء القرطبي وابن هشام .
35- عبد الحفيظ السيد أحمد، ظاهرة الإبدال في العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة مع دراسة للتراث الإبداعي .

رسائل الدكتوراة :

1- عبد الحسين مالك الفتلي، الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة مع تحقيق كتاب اشتقاق أسماء الله .
2- محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، تحقيق كتاب الكشف عن وجوه القراءات وعللها ونقده وتقويم مذاهب مكي بن أبي طالب في تحليل القراءات وأخبارها .
3- محمد خيري الحلواني، الاحتجاج وأصوله في النحو العربي .
4- محمد علي بن محمد، شرح أبيات الكتاب بدءاً من السيرافي، دراسة وتحقيق.

5- نشأت محمد رضا، حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام.
6- أحمد لطيف الخيامي، الدراسات اللغوية والنحوية في مصر منذ نشأتها.
7- حمود عبد الأمير، أبو علي الهجرا وكتابهُ التعليقات والنوادر، دراسة وتحقيق .
8- هادي عطية مطر، الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين .
9- السيد الشربيني أحمد، الترادف والاشتراك في العربية في ضوء علم اللغة الحديث .
10- محمد جواد الحاج، بناء الجملة في لهجة نابلس المعاصرة، دراسة وصفية تاريخية .
11- بكري محمد الحاج، بناء الجملة في لهجة الشاريقية، دراسة وصفية تاريخية .
12- فوزي حسن الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية .
13- ضاحي عبد الباقي ، لغة تميم، دراسة تاريخية وصفية .
14- مصطفى زكي حسن، القضايا الخاصة بتيسير النحو وتجديده في مصر في القرن العشرين .
15- عبد الوهاب عبده، الأفعال المعتلة في اللغة العربية، دراسة وصفية تاريخية .
16- حسن محمد تقي، ظاهرة الغريب في اللغة العربية حتى القرن الثالث الهجري مع تحقيق تفسير غريب القرآن لزيد بن علي .
17- علي محمد هنداوي، ظرف الزمان والمكان في العربية، دراسة وصفية تاريخية .
18- إبراهيم آدم إسحق، التعريب ودوره في بناء المعجم العربي الحديث، دراسة لغوية صرفية معجمية .
19- أحمد عارف حجازي، بناء الجملة في لهجة الواحات الخارجية، دراسة وصفية تاريخية .

20- أحمد مصلح إبراهيم، الفروق اللغوية في القرآن الكريم.
21- السيد دسوقي إبراهيم، حروف الجر في اللغة العربية عند النحاة العرب من سيبويه إلى ابن مالك، دراسة وصفية تحليلية في البنية والدلالة ونظام الجملة .
22- فارس فندي بطاينة، مشكلة الحرف الزائد في ضوء دراسات علماء اللغة العربية .
23- عبد القادر مرعي الخليل، المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء.
24- يحيى عطية عبابنة، منهج أبي حيَّان الأندلسي في اختياراته من القراءات القرآنية في تفسيره البحر المحيط في ضوء علم اللغة المعاصر .
25- محمد عوده سلامة، أساليب الشرط والقسم في القرآن، دراسة وصفية تاريخية .
26- حلزم كمال الدين ، بناء الجملة في لهجة برديس المعاصرة ، دراسة وصفية تاريخية .
27- محمد السيد عزوز ، موقف اللغويين من القراءات القرآنية الشاذة مع تحقيق اعراب القراءات الشواذ للعكبري .
28- محمد محمود السيد حمودة ، اللغة العربية بين القياس والسماع ، دراسة وصفية تطبيقية مقارنة على أبواب مصادر الفعل الثلاثي .
29- محمود محمد العمودي ، شروح الشواهد النحوية ، دراسة لغوية تحليلية مع تحقيق شرح أبيات الجمل لابن سيده .
30- مطاوع العمودي ، الجملة الخبرية في شعر امرئ القيس ،دراسة وصفية في ضوء المنهج التوليدي التحويلي .
31- محمد خلف السليم الهزايمة ، لهجة منطقة إربد في الأردن ، دراسة وصفية تارخية في الأصوات والأبنية .
32- جمال محمد طلبه ، الفكر اللغوي عند أبي العلاء في ضوء علم اللغة الحديث .

33- علي محمد غالب ، الاستشهاد في لسان العرب لابن منظور ، دراسة لغوية تحليلية .
34- حسن علي حسن ، العدد في اللغة العربية ، دراسة وصفية تاريخية في الأصوات والأبنية والتراكب .
35- ملهم محمد علي، منهج الشيخ ابن أبي حمزة / في كتابه بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري .
36- آمنه صالح الزعبيِ ، مصادر الأفعال الثلاثية في اللغة العربية ، دراسة وصفية تاريخية .
37- عبد الستار عبد اللطيف ، فصيح ثعلب وأثره في حركة التصحيح مع تحقيق موطئه الفصح لموطاه الفصيح لمحمد بن الطيب اللغوي الفارسي .
38- مازن أحمد الفارس ، الفكر اللغوي عند أبي هلال العسكري مع تحقيق كتابه الفروق اللغوية .
39- نوال اسماعيل خليل ، أدوات النفي وأساليبه في اللغة العربية ، دراسة وصفية تاريخية .
40- رجب عثمان عيسى ، الفكر اللغوي عند أبي حيان الأندلسي في ضوء علم اللغة الحديث . مع تحقيق كتاب ارتشاف العزب من لسان العرب.
41- يسرى عبد العال ، الدكتور ابراهيم أنيس وجهوده اللغوية ، دراسة المصادر والمنهج .
42- محمد عبد العال محمد ، الجموع السالمة للمذكر والمؤنث في اللغة العربية ، دراسة وصفية تاريخية في الصوت والصيغة .
43- محمد محمد الحسين ، أثر الترجمة على اللغة العربية في الصحافة المصرية منذ نشأتها وحتى الحرب العالمية الثانية .
44- نادية حسن عمر همام ، مفهوم الغرابة اللغوية في العربية مع تحقيق كتاب نظام الغريب للربعي .

45- جيهان محمود عبد السلام ، مفهوم المحن والبشائر في القرآن الكريم وكتب التفسير ، دراسة دلالية .
46- عمر تاسون يون ، أساليب العطف في اللغة العربية ، دراسة وصفية تاريخية .
47- إبراهيم محمود سلمان ، الظواهر اللغوية في التفسير الكبير للفخر الرازي ، دراسة في الأصول والأبنية .

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير 1963 – 1965النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق محمود الطناجي ، طبعة المكتبة الإسلامية.

ابن جني 1952 – 1956الخصائص، تحقيق الشيخ محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

ابن جني 1954 سرُّ صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، وزارة المعارف، مطبعة مصطفى البالي، القاهرة،. د. ط.

ابن جني 1386 المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، هـ .د.ط.

ابن جني 1954 المنصف، شرح التصريف للمازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، دار احياء التراث، القاهرة .

ابن الجوزي 1966 تقويم اللسان، نشر عبد العزيز مطر، دار المعرفة، القاهرة.

ابن حزم د.ت الإحكام في أصول الأحكام ، مطبعة الإمام ،.

ابن خالويه د. ت مختصر في شواذ القراءات ، تحقيق برجشتراسر ، دار الهجرة .

ابن درستويه 1975 تصحيح الفصيح، تحقيق عبدالله الجبوري، بغداد

ابن دريد 1344 هـ – 1351 هـ جمهرة اللغة، تحقيق كرنكو ، طبعة حيدر أباد الدكن، الهند.

ابن السراج 1985الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة، ، الطبعة الأولى.

ابن سعد 1990 الطبقات الكبرى ، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

ابن السكيت 1970 إصلاح المنطق، تحقيق احمد شاكر وعبد السلام هارون، ، مطابع المعارف ، الطبعة الثالثة.

ابن السكيت 1985 تهذيب الألفاظ ، نشرة لويس شيخو اليسوعي باسم كنز

الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ ، طبعة الكاثوليكية ، بيروت.

ابن السكيت 1903 القلب والإبدال (ضمن الكنز اللغوي في اللسان العربي كتب لابن السكيت والأصمعي) تحقيق هافنر ، طبعة الكاثوليكية ، بيروت.

ابن سلام الهروي 1964 – 1967 غريب الحديث، حيدر آباد الدكن الهند.

ابن سيده 1316 – 1321 هـ المخصص في اللغة ، بولاق.

ابن سينا 9183 رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسّان الطيان ويحيى خير علم ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق.

ابن الشجري أبو السعادات 1949 هـ أمالي ابن الشجري ، طبعة الهند.

ابن عبد ربه 1948 – 1953العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرين، القاهرة،.

ابن عصفور 1986 المقرب ، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبدالله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، الطبعة الأولى.

ابن فارس 1991 معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ، الطبعة الأولى .

ابن فارس اللغوي 9771 م الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي، القاهرة.

ابن القطّاع أبو القاسم 1360 هـ الأفعال ، طبعة الهند .

ابن مالك 2002 ألفية ابن مالك ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة.

ابن مرداس العباس 1968 ديوان ابن مرداس، تحقيق يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بغداد ، الطبعة الأولى .

ابن هرمة 1969ديوان ابن هرمة، تحقيق محمد نفّاع وحسين

عطوان، مطبوعات مجمع اللغة ، دمشق ، .

ابن هشام 1955 السيرة النبوية ، تحقيق السقا والأبياري وشلبي ، طبعة البابي الحلبي ، مصر .

ابن هشام الأنصاري 1964مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك محمّد علي، دار الفكر، دمش، الطبعة الأولى،.

ابن يعيش 1973شرح التصريف الملوكي ، تحقيق فخر الدين قباوة ، حلب.

ابن يعيش د. ت شرح المفصل، عالم الكتب، دون تحقيق، بيروت،.

أبو خازم بشر 1960م ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق عزة حسن، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق.

أبو زيد الأنصاري 1894م النوادر في اللغة، نشر سعيد الشرتوني، بيروت.

أبو الطيب اللغوي 1960 مالإبدال ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق .

أبو الطيب اللغوي 1963الأضداد في كلام العرب ، تحقيق عزه حسن ، مجمع اللغة العربي ، دمشق.

أبو الطيب اللغوي 1955مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة.

الأزهري 1964 – 1967 م تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

الاستراباذي 1982شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفاف، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

الأصفهاني أبو الفرج 1285 هـ الأغاني ، بولاق.

الأصفهاني الراغب 1961 ممحاضرات الأدباء ، بيروت .

الأصفهاني الغدة 1968بلاد العرب ، تحقيق الشيخ حمد الجاسر والدكتور صالح العلي ، الرياض.

الأصمعي 1993الأصمعيات، االطبعة السابعة تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، .

الأعشى 1981 م ديوان الأعشي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

أمية بن أبي الصلّت ديوان أمية بن أبي الصلّت ، دراسة وتحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي مطابع دار الشؤون الثقافية العامة .

الأنباري 1987الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

أنيس ابراهيم 1961الأصوات اللغوية، دار النهضة العربية، ، الطبعة الثالثة .

أنيس إبراهيم 1963 دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة الطبعة الثالثة .

أنيس إبراهيم 1965 في اللهجات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، المطبعة الثانية.

أنيس إبراهيم 1975من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، الطبعة الخامسة .

أولمان ستيفن 1986دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب المنيرة ، الطبعة العاشرة .

أبوب عبد الرحمن 1968أصوات اللغة، مكتبة الشباب، جامعة القاهرة،د. ط .

البحتري 1929 الحماسة، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة م .

برجشتراسر . G 1969م أصول نقد النصوص ونشر الكتب ، إعداد وتقديم الدكتور محمد حمدي البكري ، القاهرة .

برجشتراسر . G 1994التطور النحوي للغة العربية، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخاشجي ، الطبعة الثانية .

بروكلمان كارل 1977 فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض. د . ط .

بشر كمال 1970 علم اللغة العام، دار المعارف، ، الطبعة الثانية.

البغدادي 1299هـ خزانة الأدب ، طبعة بولاق ، مصر.

البغدادي 1982شرح شواهد الشافية، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفّاف، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،.

الثعالبي د. ت فقه اللغة وسرّ العربية، مطبعة الاستقامة، القاهرة،.

ثعلب 1960مجالس ثعلب، شرح وتحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف ، الطبعة الثانية .

الجاحظ 1956 البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة الاستقامة، القاهرة.

الجاحظ 1945م الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة مصطفى الباب الحلبي ، مصر .

الجمحي 1974 طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة،.

الجواليقي 1966المعرب في الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، أعيد طبعه بالأفست في طهران،.

الجوهري 1956 معجم الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة

الحريري 1299 هـ درة الغواص في أوهام الخواص، طبعة الجوائب باستنبول .

حسّان تمّام 1980اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، المغرب .

حسّان تمام 1979مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب .

الحطيئة 1987ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، الناشر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

الخفاجي 1339هـ شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي مكتبة الحرم الحسيني الكبرى،

الطبعة الأولى .

الداني ابو عمرو 1985م كتاب التيسير في القراءات السبع ، عنى بتصحيحه أوتوبرتزال ، الناشر ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثالثة .

الدسوقي محمد علي 1913م تهذيب الألفاظ العامية ، القاهرة.

رمضان محي الدين 1979 في صوتيات العربية، مكتبة الرسالة الحديثة، عَمَّان د. ط .

الزجّاج 1965م إعراب القرآن ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، المؤسسة المصرية للتأليف.

الزجاجي 1959 الإيضاح في علل النحو ، تحقيق مازن المبارك، القاهرة.

زلهايم رودلف 1984 الأمثال العربية القديمة، ترجمة رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة،.

الزمخشري 1962م المستقصى في أمثال العرب ، طبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر أباد الهند.

الزبيدي 1306هـ تاج العروس من جواهر القاموس ، القاهرة.

الزبيدي 1964لحن العوام، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ، الطبعة الأولى.

السجستاني 1994 كتاب الأضداد ، حققه ووضع فهارسه محمد عوده ، راجعه وقدم له رمضان عبد التواب ، مكتبة الثقافة الدينية.

السجستاني 1961 المعمرون والوصايا، تحقيق عبد المنعم عامر، مكتبة عيسى الحلبي، القاهرة .

سيبويه 1317 هـ الكتاب، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية ، الطبعة الأولى .

السيوطي 1359 الأشباه والنظائر ، حيدر أباد الدكن بالهند.

السيوطي 1999الاقتراح في علم أصول النحو وجدله، تحقيق طه

عبد الرءوف سعدي، مكتبة الصفا، القاهرة ، الطبعة الأولى.

السيوطي 1986 المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جار المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

الصالح صبحي 1983دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة العاشرة .

الصفدي 1987م تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تحقيق د. السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة .

الطبري 1960-1970 م تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مصر.

عبد الباقي محمد فؤاد 1987م المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث خلف جامع الأزهر ،.

عبد التواب رمضان 1982بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الأولى .

عبد التواب رمضان 1967 التذكير والتأنيث في اللغة، دراسة مقارنة في اللغات السامية مطبعة جامعة عين شمس، الطبعة الأولى.

عبد التواب رمضان 1981التطور اللغوي مظاهرة وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الثانية.

عبد التواب رمضان 1994دراسات وتعليقات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الأولى .

عبد التواب رمضان 1983 فصول في فقه اللغة العربية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية .

عبد التواب رمضان 1983في قواعد الساميات : العبرية والسريانية والحبشية مع النصوص والمقارنات، مكتبة الخانجي ، الطبعة الثانية .

عبد التواب رمضان 1999 لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، الطبعة الثانية .

عبد التواب رمضان 1977 اللغة العبرية : قواعد ونصوص ومقارنات باللغة السامية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة ، د.ط.

عبد التواب رمضان 1997 المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الثالثة .

عبد التواب رمضان 1994 مشكلة الهمزة العربية بحث في تاريخ الخط العربي وتيسير الإملاء والتطور اللغوي للعربية الفصحى، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى .

عبد التواب رمضان 1986 مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الأولى .

عبد التواب رمضان 1975 نصوص من اللغات السامية، والشرح والتحليل، والمقارنات، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة.

عَبد العال يسري 2001 بحث بعنوان " المدرسة الرمضانية ومنهجها في تحقيق التراث" منشور في نصوص ودراسات لغوية مهداة لشيخ المدرسة الرمضانية، دار الفردوس القاهرة.

عب المجيد الطويل 2001م نصوص ودراسات لغوية مهداة لشيخ المدرسة الرمضانية، دار الفردوس–القاهرة الطبعة الأولى.

العسكري أبو هلال د. ت الفروق اللغوية، تحقيق حسام الدين المقدسي، دار الكتب العلمية، بيروت،.

الفارسي أبو علي 1984 الحجة للقرّاء السبعة ، حققه بدر الدين قهوجي وبشير جوجاتي ، دار المأمون ، الطبعة الأولى .

الفراء 1955 معاني القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الدار المصرية للتأليف والترجمة د. ط .

الفراهيدي الخليل 1967 معجم العين، تحقيق عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد.

الفرزدق 1987ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ علي الفاعوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى.

فك يوهان 1980العربية " دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الثانية .

فندريس 1950 اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو، القاهرة.

الفيروزأبادي 1913 القاموس المحيط، القاهرة.

قطرب 1985الأضداد تحقيق حنا حداد، دار العلوم للطباعة،.

القالي 1344 – 1926الأمالي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الطبعة الثانية .

القالي 1324 هـ النوادر وهو ذيل الأمالي ، بولاق .

كانتينو جان 1966 دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرماوي، الجامعة التونسية.

كثير عزة 1971 ديوان كثير عزة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

كراع النمل 1976 المنجد في اللغة، تحقيق الدكتور أحمد مختار وضاحي عبد الباقي، القاهرة.

ماريوباي 1973 أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، منشورات، جامعة طرابلس.

المبرد 1956الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، دار النهضة، القاهرة.

المبرد 1963 – 1968 المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالف عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة .

محمود السعران 1962علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، القاهرة، ، دار

المعارف، الطبعة الأولى.

مختار أحمد 1976دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب ، القاهرة، الطبعة الأولى .

المثقب العبدي 1956ديوان المثقب، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين – بغداد.

المخزومي مهدي 1958مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر ، الطبعة الثانية .

المرادي 1992الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم، حلب ،.

المعري 1970 م عبث الوليد ، نشره أسعد الطربزو في الحسيني ، مكتبة النهضة ، الطبعة الثامنة ، القاهرة.

المغربي عبد القادر 1947 م الاشتقاق والتعريب ، القاهرة.

المغربي عبد القادر 1949 م عثرات اللسان في اللغة ، دمشق.

الميداني 1310 م مجمع الأمثال ، القاهرة.

مييه 1969 علم اللسان ، ترجمة محمد مندور ، القاهرة .

نولدكه تيودور 1963اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة دار النهضة ، القاهرة .

وافي علي عبد الواحد 1945 م علم اللغة ، دار النهضة ، مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، الطبعة السابعة .

المصادر الأجنبية

A.Dillmann , 1959 Grammatik der athiopishen Sprache , Graz.

G . flugel , 1898 congordantie corani Arabice, Leipzig,.

H. Kofler , 1940 – 1942 seste altarabischer Dialekte wzkm,wien.

D. Jones, 1947 An outline of Englishe Phonetics , cambridge.